

TIGHT BINDING BOOK

Osmania University Library

Call No ۸۹۲۵۷۵

Accession No ۱۵۲۹۱

Author

ابن حبان بن محمد - ج ۱

۱۵۲۹۱

Title الامتناع والموانع - المجلد الثاني

This book should be returned on or before the date last marked below

بجدة النايف والترجمة والنشر

كُتَابَات

الأمثلة في اللغة والنحو

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة
حاضر المؤلف بها الوزير أبا عبد الله العارض في أربعين ليلة

المجلد الثالث

صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه
أحمد أمين ، أحمد الزين

القاهرة

مطبعة النايف والترجمة والنشر

مجلة التأليف والترجمة والنشر

كتاب

الامتياز والموانسة

تأليف

أنى حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات فى فنون شتى
من الأدب واللغة والتاريخ والسياسة والفلسفة
حاضر المؤلف بها الورر أبا عبد الله العارض فى أربعين ليلة

المجلد الثالث

صححه وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه
أحمد أمين ، أحمد الزين

القاهرة

مجلة التأليف والترجمة والنشر

١٩٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثمَّ تَرَامَى الْحَدِيثَ إِلَى أَمْرِ الْمُطْعَمِينَ وَالطَّاعِمِينَ ^(١) ، وَالَّذِينَ يَهْشُونَ ^(٢) عِنْدَ الْمَائِدَةِ ، وَالَّذِينَ يَغْمِسُونَ ^(٣) وَيَجْمُونَ وَيُطْرِقُونَ ، وَالَّذِينَ يَصْخَبُونَ ^(٤) وَيَلْفُطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَفْتَخَطُونَ .

فَقَالَ : أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ فِي هَذَا أَكْثَرَ مَا فِيهِ ، وَيَعْرُبُنِي أَعْجَبُهُ ، فَإِنْ فِي مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ تَهْذِيبًا وَإِيقَاطًا كَثِيرًا .

فَسَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّ النَّاسَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا قَدْ خَاضُوا فِي هَذَا الْفَنِّ خَوْضًا بَعِيدًا ، وَمَا وَقَفُوا مِنْهُ عِنْدَ حَدٍّ ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْخَلِيفَةِ بِالْأَمْزِجَةِ ^(٥) الْمُتَبَايِنَةِ ، وَالطَّبَائِعِ الْمُتَنَائِيَةِ لَا يَكَادُ يَنْتَهَى إِلَى غَايَةِ يَكُونُ فِيهَا شِفَاءٌ لِلْمُسْتَمِيعِ الْمُسْتَفِيدِ [و] لَا لِلرَّائِيَةِ الْمُفِيدِ .

قَالَ : قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَمُونَا ^(٦) يَا أَصْحَابَنَا ، الْحَثُّ عَلَى الْأَكْلِ أَحْسَنُ ، أَمْ الْإِمْسَاكُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَكْلِ مَا يَكُونُ ؟

فَسَكَانَ [مِنْ] الْجَوَابِ : أَنَّ هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ بَعَيْنَهَا جَرَتْ بِالْأَمْسِ بِالرَّيِّ عِنْدَ

(١) فِي (١) بِالطَّاعِمِينَ ، وَالْبَاءُ مُحَرَفَةٌ عَنِ الْوَاوِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنَ السِّيَاقِ .

(٢) فِي (١) يَهْشُونَ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « يَغْمِسُونَ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٤) فِي (ب) « يَصْخَبُونَ » .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ بِالْأَمْزِجَةِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (ب) « إَعْلَمُونَا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أَبْنُ عَبَّادٍ مُتَنُوهٌ بِالسَّكَّامِ فِيهَا ، وَأَقْصَى [إِلَى] أَنْ أَوَّلَى الْحِثِّ وَالتَّائِيَسُ
وَالْبَسْطِ وَالطَّلَاقِ وَلَيْنُ اللَّفْظِ وَقِلَّةُ التَّحْدِيقِ وَاسْتِجَابَةُ الطَّرْفِ مَعَ [اللَّطْفِ]
وَالدَّمَائَةِ ، مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ عَلَى تَكَلُّفٍ فِي ذَلِكَ فَاضِحٌ ^(١) وَلَا إِمْسَاكٌ ^(٢) عَنْهُ قَادِحٌ .
وَحَكَى أَبْنُ عَبَّادٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ قَالَ : الطَّعَامُ أَهْوَنُ مِنْ
أَنْ يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : الطَّعَامُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ لَا يُحْتَّ عَلَى تَنَاوُلِهِ . وَمِزْجُهُ
الْحَسَنُ أَحْسَنُ .

قَالَ : وَلَقَدْ حَضَرْتُ مَوَائِدَ نَاسٍ لَا أَظُنُّ بِهِمُ الْبَخْلَ فَلَمْ يُحْتَمُونِي وَلَمْ يَبْسُطُونِي
فَقَبَضَنِي ذَلِكَ ، وَكَأَنَّ أَتْقِيَاضِي كَانَ بِمَعْوَتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِهِمْ
قَالَ الْوَزِيرُ : هَذِهِ فَائِدَةٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُتَهَادَى قَوْلُهُ ، وَتُتَرَاوَى
أَخْبَارُهُ ^(٣) .

نَحْمُ حَكِيَّتُهُ لَهُ أَنْ أَسْمَاءَ بِنَ خَارِجَةَ قَالَ : مَا صَنَعْتُ طَعَاماً قَطُّ فَدَعَوْتُ
عَلَيْهِ نَفَرًا إِلَّا كَانُوا أَمَنَ عَلَى مِثْقَالِ عِلْمِهِمْ . فَقَالَ : زِدْنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ
مَا كَانَ ، قُلْتُ : لَوْ أُذِنَ لِي فِي جَمْعِهِ كَانَ أَوْلَى ؛ قَالَ : لَكَ ^(٤) ذَلِكَ فَمَا
يَضُرُّنَا ^(٥) أَنْ تُطْرِبَ آذَانُنَا بِمَا تَهْوَى نَفْسُنَا .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ الْجَاهِظَ قَدْ أَتَى عَلَى جَهْرَةٍ هَذَا الْبَابِ إِلَّا مَا شَذَّ عَنْهُ

(١) فِي (١) نَاصِحٌ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « الْإِمْسَاكُ » وَلَا يُسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) فِي (١) وَتُتَرَاوَى اخْتِيَارُهُ .

(٤) فِي (١) « إِي » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) « يَنْصُرُنَا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَعًا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ
[به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ
مَنْ عَقَّدَ الْجَاحِظَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا أُمُورَ وَأُمُورَ ، وَهَنَاتٍ وَهَنَاتٍ ، وَغَرَائِبُ
وَعَجَائِبُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ،
وَحَلِيقَةً غَيْرَ مَعْمُودَةٍ ، وَبَدَأَ هَذِهِ الْمِثْبَينِ ^(١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَنْعَقِدُ شَرِيعَةٌ ،
وَتُظْهِرُ نَبْوَةً ، وَتَقْبُشُ أَحْكَامَ ، وَتَسْتَقَرُّ سُنَنٌ ، وَتَوُافِقُ أَحْوَالُ ^(٢) بَعْدَ نَظَامٍ
شَدِيدٍ وَتَلَكُّوْهُ وَاقِعٌ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَغِيلَ صَامَتْ دَابَّتُهُ ، وَأَسْتَعْفَى عَنِ
الْكَنِيفِ ، وَأَمِنَ التَّخَمَةَ .

وَقَالَ حَامِدُ ^(٣) اللَّفَّافِ الْمَتَزَهِّدِ ^(٤) : الْمَرَاتِي إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ
إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكُ ^(٥) بْنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي
مَا أَطْعِمُكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ ^(٦) إِلَيْنَا شَهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ
إِلَّا مِنْ أَجْلِسِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْزِي ^(٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْمَةٍ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (أ) وَبَدَّهَرَهُ الْمَتَيْنِ . وَفِي (ب) وَبَدَّهَرَهُ الْمَيْنِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ
وَمَا أَتَيْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ السَّكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٣) كَذَا فِي كِلَا الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ
ص ٦٩ مَنْسُوبَةً لِمَنْ حَاتَمَ ، أَيْ حَاتَمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » . (٥) فِي (أ) « خَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (أ) « الْمَرْءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحَقَّتْهُم بِلَطْمَتَيْنِ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : اجلسْ هَاهُنَا قَالَ : بَلْ هَاهُنَا ؛ وَأَحَقُّ النَّاسِ ثَلَاثَ لَطَمَاتٍ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : كُلْ ، قَالَ : مَا بَالُ صَاحِبِ الْبَيْتِ لَا يَأْكُلُ كُلُّ مَعْنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرْبَعٌ لَا يَنْبَغِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتِفَ مِنْهُنَّ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَالسُّؤَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَخِدْمَةُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم^(٢) : كَانَ يَقَالُ : الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامِ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجَهُّزِ اللَّيْلِ إِذَا مَاتَ ، وَتَزْوِيجِ الْبِكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ “ .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فَسَأَلَتْ عَسَلًا وَقَالَتْ : زَوْنَجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمَرَ لَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ^(٣) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرثِ : إِنَّمَا تَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدَرِهَا وَنُعْطِيهَا عَلَى قَدَرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفُ الْيَوْمِ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَاوْذَجًا ؛ فَفَسَّرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ .

(١) في (١) « ابن الجنبل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هذا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطموسة كلها .

وقال الحسنُ في الرَّجُلِ يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ فَيَرَى السَّلَّةَ فِيهَا الْفَاكِهِةَ :
لَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمرَ : أَهْدَيْتَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ —
شاةً فَقَالَ : أَخِي فَلَانُ أَخَوَجُ إِلَيْهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ ^(١) يَبْعَثُ بِهَا
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تَدَاوِلَهَا تِسْعَةُ لُيَاسَاتٍ ، وَرَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَنَزَلَتْ
الْآيَةُ : (وَيُرْوَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ كَانَ لَهُ
ظَهْرٌ فَلْيَعُدْ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ؛ وَمَنْ كَانَ لَهُ زَادٌ فَلْيَعُدْ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ،
حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ ^(٢) “ .

وَسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ : مَا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَشْبَعَ وَيَجُوعَ ،
وَأَلَّا يَلْبَسَ وَيَعْرَى ، وَأَنْ يُوَاسِيَهُ بِبَيْضَانِهِ وَصَفْرَانِهِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ يُنْفِقُ عَلَى جِيرَانِهِ أَرْبَعِينَ دَارًا سِوَى سَائِرِ نَفَقَاتِهِ ،
وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ بِالْأَضَاحِيِّ وَالْكَسْوَةِ فِي الْأَعْيَادِ ، وَكَانَ يُعْتَقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ .

وَكَانَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ يُفْطِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَمْسِينَ إِنْسَانًا ،
وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ كَسَاهُمْ ثَوْبًا ثَوْبًا وَأَعْطَاهُمْ مِائَةَ مِائَةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّنَاءِ وَلَمْ يَرْزُقِ اللَّهَ ذَاكَ الْبَخِيلَا

(١) سياق الكلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول ، وبعت بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك لاعتل به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنية ^(١) يَمُنُّ كثيراً أو يُعطى قليلاً
وقال النبي ﷺ عليه وسلم : ”تجافوا عن ذَنْبِ السَّخِيّ ، فإن الله
يأخذُ بيده كلما عثر“ .

وقال عليه السلام : ”من أدّى الزَّكَاةَ ، ورعى الضَّيفَ ، وآوى ^(٢) في النّائبة
فقد وثقَ شُحَّ نفسه“ .

وقالت أمّ البنين أختُ عمر بن عبد العزيز : أفتُ للبخل ، لو كان طريقاً
ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان سراجاً ما استضاءت به .

وقال الأصمعيّ : قال بعضُ العرب : ليست الفتوةُ الفسقَ ولا الفجور ،
ولا شربُ الخمر ، وإما الفتوةُ طعامٌ موضوع ، وصنيعٌ مصنوع ، ومكانٌ
مرفوع ، ولسانٌ معسول ، ونائلٌ مبذول ، وعفافٌ معروف ، وأذىٌ مكفوف .

وقال أبو حازم المدني : أسعدُ النَّاسِ بالخلقِ الحَسَنُ صاحبه ، نفسهُ منه في
راحة ، ثم زواجهُ ، ثم ولدهُ ، حتى إن فرسهُ ليصهل إذا سمعَ صوتهُ ، وكلبُه
يُسْرِشِرُ بذنبه إذا رآه ، وقطلهُ يدخل [تحت] مائدته ، وأنَّ السيِّءَ الخُلُقِ
لأشقى النَّاسِ ، نفسهُ منه في بلاء ، ثم زواجهُ ، ثم ولدهُ ، ثم خدْمُه ، وإنه ليُدْخِلُ
وهم في سُرُورٍ فيتفرّقون فرقاً منه ، وإنَّ دابَّته لتحميدُ عنه إذا رآه ، ممَّا تَرَى
منه ، وكلبُه يَنْزُو على الجدار ، وقطلهُ يقرُّ منه .

وكان علي باب ابن كيسان مكتوب : ادْخُلْ وَكُلْ .

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أثبتناه
هو المناسب للسياق .

(٢) في (١) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
بِأَبَى مَنْ لَمْ يَنْمَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ” إِنْ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ وَعَاءَ مُلَى شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ،
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاجْعَلُوا ثُلُثًا لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثًا لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثًا لِلرَّيْحِ “ . قال الشاعر :

لِيسُوا يَبْأَلُونَ إِذَا أَصْبَحُوا شَبَعَى بَطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَعُوا ^(١)

وَلَا يَبْأَلُونَ بِمَوْلَاهُمْ وَالْكَلْبُ فِي أَمْوَالِهِمْ يَرْتَعُ

وحكى لنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم مجرّجان [إمام الدنيا] قال : رأيتُ
أبا خليفة الفضل ^(٢) بن العُجّاب ، وقد دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ فَرَأَى الصَّحَافَ تَوْضَعُ
وَتُرْفَعُ ، فَقَالَ : أَلِلْحُسْنِ وَالْمَنْظَرِ دُعِينَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فَقِيلَ : بَلِ
لِلْأَكْلِ وَالْحَزَبِ ، قَالَ : فَاتْرَكُوا الصَّحْفَةَ يُبْلَغُ قَمَرُهَا .

وكان سليمان بن ثَوَابَةِ ضَعَفَ الْخِوَانِ ، كَثُرَ الطَّعَامُ ، وَافَرَ الرِّغِيفُ ،
وَكَانَ مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَاتَّخَذَ الْبِدَائِعَ وَالطَّرَائِفَ وَالْفَرَائِبَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛
وَكَانَتْ لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْحَلْوَى لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وَكَانَ خُبْرُهُ الَّذِى يُوضَعُ عَلَى
المائدة الرغيف من مكوك ^(٣) دقيق ، ولذلك قال أبو فرعون العدوى :

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبِطٌ وَخُوزَانٌ ^(٤) كَكَهْمَسٍ أَوْ عَمَرِ بْنِ عِمْرَانَ

(١) فى (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) الفضل بن الحبان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكابيل المراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة

منا وسبعة أمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — الأُمّ الناس وأسفلهم
نفساً .

(١) ضاق جرابي عن رغيف سلمان^(٢) أيرُ حصارٍ في حِرٍّ أمَّ فخطانُ
وأيرُ بعلٍ في أُنْتِ أمَّ عَدنانُ
(٣)

.....

وعَشِقَ رَجُلٌ جاريةَ رُومِيَّةَ كانت لقوم ذَوِي يسار ، فكتبَ إليها
يوماً : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، عندى اليومُ أحمأى ، وقد اشتَهيتُ سَكْباجَةً^(٤) بقرِيَّةَ
فأحبُّ أن توجِّهى إلينا بما يَعمُنَّا ويكفينا منها ، ودَسْتَجَةً^(٥) من نَبِيذٍ لنتغذى
ونشربَ على ذِكْرِكَ ، فلما وَصَلَتِ الرِّقْعَةُ وَجَّهَتْ إليه بما طَلَبَ ؛ ثم كَتَبَ إليها
يوماً آخر : فِدَاكَ نَفْسِي ، إخواني مجتمعون عندى ، وقد اشتَهيتُ قَلِيَّةَ جَزْورِيَّةَ ،
فوجَّهى بها إلى وما يكفينا من النَّبِيذِ والنَّقْلِ ، ليعرفوا مَنزَلَتِي عِنْدَكَ ، فوجَّهَتْ
إليه بكل ما سَأَلَ ؛ ثم كتبَ إليها يوماً آخر : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قد اشتَهيتُ أنا
وأحمأى رهوساً سماناً ، فأحبُّ أن توجِّهى إلينا بما يكفينا ، ومن النَّبِيذِ بما
يُرْوينا ؛ فكَتَبَتْ الجاريةُ عند ذلك : إِنِّي رَأَيْتُ الْعَبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبِّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمَعْدَةَ . وَكَتَبَتْ اسْفَلَ الرِّقْعَةَ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ^(٦) جَا ءَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَةِ

(١) في (١) صار ؟ وهو تحريف .

(٢) سلمان ، أى سليمان ؛ وهى لفة فيه .

(٣) ورد موضع هذه النقط في (١) وحدها كلام هذا نصه : انزل بقوم قفرة صام
ولم يأتوه به ولكن دلوه على موضعه ، وقالوا له : اذهب ما منه وكأنه يذم أم ميواء :

إذا دعيت بما فى البيت قالت نحن من الجدال وما حيث

ولا يخفى ما فى هذا كله من التحريف الكثير وقد بحثنا عنه فى مختلف المصادر التى بين أيدينا
فلم نجد . (٤) السكباجة : سرق يصنع من اللحم والحل .

(٥) وردت هذه الكلمة فى (١) مهملة الحروف من النقط ، وفى (ب) « دسجة » ؛
والصواب ما أثبتنا . والدستجة : إناء كبير من زجاج فارسيته دسطة .

(٦) فى (١) « حيث » ؛ وهو تصحيف .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصَارَ الحُبُّ في المِعْصَدَةِ

وقال جرير: ^(١)

وَلَا يَذْبَحُونَ الشَّاةَ إِلَّا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كَثِيرٍ تَفَاجِهِيَا لِئَسَامٍ قُدُورُهَا

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرْعَةَ الزَّيْبَرِيَّةِ فِي ابْنِهَا دَوْسٍ :

تَشْبُهُ ^(٤) دَوْسٌ نَفَرًا كَرَامَا

كَانُوا الذَّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّنَامَا

كَانُوا لِمَنْ خَالَطَهُمْ إِذَا مَا

كَالَسَمَنِ لَمَّا سَقَبَلَ الطَّعَامَا

يقال سَقَبَلَ رَأْسَهُ [بِالدَّهْنِ] وَسَقَسَهُ ^(٥) وَرَوَاهُ وَأَمْرَعُهُ ^(٦) .

قال الواقدى : قيل لَأَمَّ أَيُّوبَ : أَيُّ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمُقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لفسان بن ذهل يهجو جريرا وقيله :

لمرى لئن كانت بحيلة زانها جرير لقد أخزى كليبيا جريرا

إذا نزعتم يوما كليب وسومت تقاعس في ظهر الأثاث مغيرها

رأيت كليبيا يعرف اللؤم ريحها إذا اسود بين الأملحين جمورها

ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمئزر » ؛ وفي (ب) « بمئسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين .

والتصويب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عديم أمر

ذو بال لا يفعولونه إلا بواسطة قدام الميسر التي يشترك فيها الجمع وتفرق بينهم كل بنصيبه كما

يذبح الجزور في زمن الجذب والقط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسعسه » بمهملةين ؛ والمبنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللغة والتي في (١) « وأمرعه » بالتثنية المعجمة .

يُصَنِّعُ لَهُ بَقِيَّتَهُ ، وَلَا رَأْيَانَهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَعَابَهُ قَطَّ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ تَعَشَّى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قَصْعَةِ أَرْسَلٍ بِهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلٌ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقَصْعَةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَى فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْمَرِيْسَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَقْعَلُ لَهُ هَرِيْسَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قَصْعَةُ أَسْعَدَ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلَاؤُهَا ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ .

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَنَحْوُهُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطْبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُنْثُومُ بْنُ الْحِذَمِ ^(٤) أَمَّهَاتُ جَرَّادِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمِدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ تَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطْبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : لَخَفَلْتُ آكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَا كُلُّ الرُّطْبِ وَهُوَ رَمِدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَتَا كُلُّ الرُّطْبِ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟ “ فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا آكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةِ ، فَتَبَسَّمَ [رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] .

(١) الطفَيْشَلُ : نَوْعٌ مِنَ الْمَرْقِ .

(٢) فِي (١) الْقَدْرُ ؟ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) فِي (١) « ابْنُ مَيْرُومَ » ؛ وَفِي (ب) ابْنُ الْمَرْمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ

والتصويب عن كتب اللغة ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .

(٥) فِي (١) حَرَّافِينَ ؛ وَفِي (ب) حَرَّادِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ ؛ وَالتصويب

عَنْ كِتَابِ اللُّغَةِ وَكِتَابِ الْحَدِيثِ ، وَأَمَّ جَرَّادَانِ : نَوْعٌ مِنَ الرُّطْبِ كَبَارٌ ، وَهِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ نَخْلَهُ يَجْتَمِعُ تَحْتَهُ الْجَرَّادَانِ لِلْحَلَاوَةِ ثَمَرُهُ . وَأَمَّ جَرَّادَانِ آخَرِ نَخْلَةٍ بِالْحِجَازِ إِدْرَاكَا ، وَهِيَ أُمُّ جَرَّادَانِ - رَطْبًا ، فَإِذَا جَفَّتْ فَهِيَ السَّكْبِيْسُ .

وقال الأعشى :

لو أَطْعِمُوا النَّنَّ والسَّلَوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا

وقال الكُمَيْت :

وما اسْتَنْزَلَتْ فِي غَيْرِنَا قَدْرُ جَارِنَا وَلَا تُنْفِيتُ إِلَّا بِنَا حِينَ تُنْصَبُ
يقول إذا جاورنا جَارًا لم نُسْكَلْهُ أَنْ يَطْبُخَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويكون ما يَطْبُخُهُ
مِنْ عِنْدِنَا بما نُعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لَيْنُصَبُ^(١) قَدْرَهُ . ويقال لِلْحَيْسِ سَوِيطَةٌ^(٢) سَوِيطَةٌ^(٣)
وقال : الرِّغِيغَةُ^(٤) لَبَنٌ يُطْبَخُ . وقال : هِيَ الْعَصِيدَةُ ، ثُمَّ الْحَرِيرَةُ^(٥) ثُمَّ
النَّجِيرَةُ^(٦) ، ثُمَّ الْحَسَوُ^(٧) . وَاللَّوْقَةُ : الرُّطْبُ بِالسَّمَنِ^(٨) ، وَالسَّلِيلَةُ : الذَّرَّةُ
تُدْقُّ وَتُصَلِّحُ بِاللَّبَنِ ، وَالرَّصِيعَةُ^(٩) : الْبُرُّ يُدْقُ بِالْفَهْرِ وَيُبَلُّ وَيَطْبَخُ بِشَيْءٍ مِنَ
السَّمَنِ ، وَالْوَجِيئَةُ : التَّمَرُ يُوجَأُ ثُمَّ يُؤْكَلُ بِاللَّبَنِ .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلَى من لبن الخَلْفَةِ^(١٠)

(١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يخرج منه نواه .

(٣) السويطة : من السوط وهو الخلط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في اللسان أن « الرغيفة » : حسو من الزبد ؛ وقيل : لبن يغلى ويثر عليه دقيق .

(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم -

(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .

وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين « النجيرة » ؛ وهو تصحيف .

(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .

(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .

(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلناهما

على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره المؤلف هنا .

(١٠) الخلقة : الخاض من النياق .

وَالنَّخِيسَةُ وَالْقَطِيبَةُ يُحْلَطُ لَيْنٌ لِإِيلٍ بَلَيْنٌ غَنَمٌ^(١)

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغنانا باللَّيْنِ عَمَّا سِوَاهُ . ويقال أكل خبزاً قَفَّاراً وَقَفَّاراً وَعَفِيرًا : لاشيء معه^(٢) وعليه القَفَّار والدَّمَار وسوء الدار^(٣) ؛ وأَكَلَ خُبْزًا جَبِيْزًا^(٤) أَي فَطِيْرًا^(٥) يَابِسًا . وجاء بتمر فَصْرٍ^(٦) وَفَصًا وَفَذٍ وَحَثٍ^(٧) : لَا يَلْزَقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ .

قال أبو الحسن الطُّوسِي : أخبرني هشام قال : دَخَلَ عَلَى فَرَجِ الرُّخْجِيِّ وَقَدْ تَعَدَّيْتُ وَاتَّكَأْتُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ : إِنَّمَا تُحَسِّنُ الْأَكَلَ وَالْإِتِّكَاءَ . [قَالَ] : فَتَرَكْتُ [الْأَكَلَ] عِنْدَهُ أَبَامًا ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَبَعَثَ إِلَيَّ : إِنْ كُنْتَ لَا تَأْكُلُ طَعَامَنَا فَلَيْسَ لَنَا فِيكَ حَاجَةٌ . قَالَ : « فَأَكَلْتُ »^(٨) شَيْئًا ثُمَّ أَتَيْتُهُ « فَلَمْ يَعْتَذِرْ مِمَّا كَانَ .

(١) في كتب اللغة أن « النخيسة » و « القطيبة » ابن الماعز يخطأ بلين الضأن ، لا لين لبل كل هنا .

(٢) عبارة اللغويين « لا أدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج لإصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالمعنى المذكور هنا ، وهو الخبز اليابس .

(٥) « الفطير » هو الذي أعجل قبل أن يجتم .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج لإصلاحهما إلى نقليهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقدوحب » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين ، وهو أثبتناه عن كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف . نتعذر قراءتها ، والسياق يقتضي إثباتها على هذا الوجه

قال أبو الحسن : أخبرني القزّاء قال : العرب تسمّى السكّابجة^(١) الصّغفّة . وأنشد :

أبو مالكٍ يمتّادُنا في الظّهائرِ يَجْوءُ فيلقِي رَحْلَهُ عِنْدَ عامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب ويَجِيءُ^(٣) ويَجْوءُ لغتان .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْفَوَانِي إِذْ تَزَلَّتْ جَفَوْنِي أَبَا مَالِكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا^(٤)
أبو مالك هاهنا الشّيب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثّوري^(٥) عن أبي عُبَيْدَةَ في الحديث الذي يَرْوَى عن عمر بن الخطّاب أنّه رأى في رَوْثٍ قَرَسِيهِ حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال : لأجعلن^(٦) لك في عَرَزٍ^(٧) النَّقِيعَ ما يَشْغُلُكَ عن شَعِيرِ الْمُسْلِمِينَ . قال : والنقيع : موضع بالمدينة أحماه عمر [بن الخطّاب] لخليل المسلمين ، خلاف البقيع بالباء . قال الطّوسيّ : العرب تقول : « أيدي الرّجال أعناقها » أي من كان أطول يداً على المائدة تناول فأكل ، الهاء ترّجع على الإبل ، أي أيدي الرّجال أعناق الإبل ، أي من طال نال .

قال الأصمميّ : سألت بعض الأكلّة فيمن كان يُقَدِّم على مُيسَّرِي

(١) السكّابجة : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٢) عامر : من أسماء الحبز ، ويسمى أيضاً جابراً وعاصماً . والذي في الأصل : بجو مكان « بجوء » ... ويَجِيءُ ويَجْوءُ في التفسير بد ؛ وهو تحريف والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يعول عليه « يلمّ قِلَقِي » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يعول عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إن الفواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ وكلاما معروف .

(٥) في (١) لأجعلنك . (٦) العرز بالتحريك : نبات يشبه الثمام نبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؛ وهو تصحيف .

الناس كيف تصنع إذا جهدتك السكطة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً فمذك زينا — ؟ قال : أخذ روثاً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فأختلف^(١) عنه مزاراً ، فلا ألبث أن يلحق بطنى [يظهرى] فأشهى الطعام .

قال ابن الأعرابي : قال السكلاى : هو بندف الطعام إذا أكله بيده ، ويلقم الحسو ، واللقم بالشفة ، والندف : الأكل باليد . وقال الزبيرى : يتندف^(٢) .

وأشد ابن الأعرابي :

ويظل ضيف بنى عبادة فيهم مُتَصَدِّراً ويطونهم كتم

أى ممتلئة . والقصير : الهزال والنحافة ، كالنخل المذمر ، أى الذى قد ذوت^(٣) جذوعه . قال الشنوبذى فى قول الله تعالى^(٤) : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا [الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]) . قال : الذين يترذون وياكل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبنه تجاس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة ، فى ذراع كأنها جارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصتنى بها ، فزوجتها ، وصار يجاس معى على المائدة ابن لى ، فيبرز لى كفا كأنها كرنافة^(٥) ، فى ذراع كأنها كربة^(٦) ، فوالله إن^(٧) تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الخلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة نقصاً وقع من النسخ .

(٣) فى (١) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد القاف وفى « درت » بالdal المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتناه كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) فى « ب » فى قوله عن وجل .

(٥) الكرنافة : أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف .

(٦) الكربة بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض التى تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عيني إلى لُقْمَةٍ طَيِّبَةٍ إِلَّا سَبَقَتْ يَدُهُ إِلَيَّهَا .

وقال أعرابيٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نَذَرْتُ إِذَا بَلَغْتَنِي نَأَقِي أَنْ أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَيْدِهَا . قال : ” بئسما جازيتها ” .

أضَلَّ أعرابيٌّ بَعِيرًا لَهُ ، فطَلَبَهُ ، فَرَأَى عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بُحْتِيًّا ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ : هَذَا بَعِيرِي ، فَقَالَ : إِنَّكَ أَضَلَلْتَ بَعِيرًا وَهَذَا بُحْتِي . فَقَالَ : لَمَّا أَكَلَّ عَلَفَ الْأَمِيرُ تَبَحَّتْ . فَضَحِكَ مِنْهُ وَتَرَكَه [يَعِيدُ قَوْلَهُ وَيُعْجِبُهُ] .

السِّكْدَنَةُ : غِلْظُ الْأَعْمُرِ وَتَرَاكُمُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ هِشَامٍ لِسَالِمٍ — وَقَدَرَاهُ فَأَنْجَبَهُ جِسْمُهُ — : مَا رَأَيْتُ ذَا كِدْنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فَمَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ وَالزَّيْتُ . قَالَ : أَمَا تَأْجِجُهُ ^(١) ؟ قَالَ : إِذَا أَجْجَنُ تَرَكَتُهُ حَتَّى أَشْتَهِيَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ أَصَابَ فِي جِسْمِهِ بَرَصًا . فَقَالَ لِقَعْنِي ^(٢) الْأَحُولُ بَعِينُهُ ، فَمَا خَرَجَ هِشَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ .

وقال عبد الأعلى القاص ^(٣) : الْفَقِيرُ مَرَّقَتُهُ سِلْقَةٌ ، وَغِذَاؤُهُ ^(٤) عُلْقَةٌ ^(٥) وَخُبْزَتُهُ فَلْقَةٌ ^(٥) ، وَسَمَكَتُهُ سِلْقَةٌ ، أَيْ كَثِيرَةُ الشُّوْكِ ^(٦) .

قال رجاء بن سلمة : الْأَكْلُ فِي السُّوقِ حِمَاقَةٌ .

قيس لذؤيب بن عمرو : إِنَّكَ مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُمْعٍ ^(٧)

(١) أجَمَ الطَّعَامُ : مَثَلُهُ .

(٢) لقمه بعينه ، أَيْ أَصَابَهُ بِهَا .

(٣) فِي ب « الْقَاضِي » بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةُ ؟ وَفِي (١) الْهَامِصِ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةُ .

(٤) فِي (١) « وَرِذَاؤُهُ » ، وَفِي ب « وَغِذَاؤُهُ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) الْمَلْقَةُ : مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ . وَالْفَلْقَةُ : الْقِطْعَةُ ، كَأَفْلَازَةٍ .

(٦) فِي كِتَابِ الْلُغَةِ أَنَّ الشَّلْقَةَ شَيْءٌ عَلَى خَلْقَةِ السَّمَكِ صَافٍ لَهُ رِجْلَانِ عِنْدَ ذَنْبِهِ كَهَيْئَةِ

الضَّفْدِيعِ ، وَيَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ ، وَلَمَلُهُ الْمُرُوفُ عِنْدُنَا بِأَيْ جَنْبُو .

(٧) الْجَمْعُ بَضْمُ الْجِيمِ وَسُكُونُ الْمِيمِ : مَا يَمْلَأُ جَمْعَ السَّكْفِ ، أَيْ قَبْضَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ .

ولا حُفَالَةً^(١)، وَبَيْتَكَ عَامِرًا^(٢) بِالْفَارِ .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البتة إن كان يَمْنُهُمْ^(٣) مِنَ التَّحَوُّلِ عنه إلا أنهم يَسْرِقُونَ أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فيه ، لأنه لا هِرَّةَ هناك ولا أحد يأخذ شيئاً ولا يُؤذون ، وإن لهم لَمِسْقَةً مملوءة ماء كلما جفَّتْ سَكِبَ لهم فيها ماء .

جعلَ الخُبَرَ عن الفَارِ على التلخح ، كالخبرِ عن قومٍ عُقلاء .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . »
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَخْنِهَا^(٤) الْمُتَمَتَّاحُ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنِي الْجُلَاحِ
يقول من بعد السَّعَالِ آح

قال الأصمعي : الرَّجِيعُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالْمَقِيعةُ مَا يُحْرِزُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَمَ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال أنشدني عيسى بن عمر لمعاوية بن صعصعة :

مِثْلُ الذَّرَى أُحِبَّتْ عَرَائِسُهَا^(٥) لَحَبَّ الشَّفَارِ^(٦) نَقَائِعُ التَّهَبِ

(١) الحفالة : الحنالة ، أو عكر الدهن ؛ أو مارق من رغبة الابن ؛ كل من هذه المعاني الثلاثة تصح إرادته هنا . وفي (ل) « ولا صقالة » ؛ وهو تحريف .

(٢) سياتى ما يفيد تعليل كون بيته عامراً بالفار مع خلوه من الطعام .

(٣) « يَمْنُهُمْ » ، الضمير يعود على الفترة .

(٤) سخبها ، أى سحب البكرة التي يستقي بها من البئر . وفي (ب) « سخنها » ، وهو تصحيف . « والمتتاح » من امتاح الماء إذا أخرجه من البئر .

(٥) لحبت عرائسها ، أى أهزلت أسنمتها ، جمع عريكة .

(٦) لخب الشفار الخ : اللخب في هذا الشطر بمعنى القطع ، أى كما تقطع الشفار ، أى « السكاكين » — لحم النياق العظيمة ، أو لعله الشفار بالسين المهملة مكان الشين ، أى كما يهزل السفر تلك النياق بمشقته فيذهب بما فيها من لحم وشحم .

وقال مُهْمَلٌ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسِّيفِ رُءُوسَهُمْ
ضَرَبَ الْقَدَارِ نَقِيعَةَ الْقَدَامِ
الْقَدَارُ : الْجَزَارُ . وَالْقَدَارُ : الْمَلِكُ أَيْضًا . وَالْقَدَامُ : رُؤُوسُ الْجِيُوشِ ، وَالوَاحِدُ قَادِمٌ .

وقال مَعْنٌ ^(١) بن أوس يصف هدير قَدِيرٍ :

إِذَا التَّطَمَّتْ ^(٢) أَمْوَاغُهَا فَكَانَتْهَا
عَوَائِدُ دُحْمٍ فِي الصَّحْلَةِ قُبَيْلُ
إِذَا مَا أَنْتَجَاهَا الْمَرْمِلُونَ ^(٣) رَأَيْتَهَا
لَوْ شَكَّ قَرَاهَا وَهِيَ بِالْجَزْلِ تُشْعَلُ
سَمَتْ لَهَا لَفْظًا ^(٤) إِذَا مَا تَقَطَّعَتْ
كَهْدَرِ الْجَمَالِ رُزْمًا حِينَ تَجْفَلُ

وقال آخر :

إِذَا كَانَ فَتَدُّ الْعِرْقِ وَالْعِرْقُ نَاضِبٌ
وَكَشِطُ سَنَامِ الْحَيِّ عَيْشًا ^(٥) وَمَعْنَا

(١) كذا في (ب) والذى في (أ) « بكر » وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس المطبوع في ليون سنة ١٩٠٣ من قصيدة يمدح بها سميد بن العاص ؛ وأولها :

إِلَيْكَ سَعِيدُ الْحَسْرِ جَابَ مَطْبِي فُوجُ الْفَيَاقِي وَهِيَ عَوِجَاءُ عَيْلٍ

(٢) يريد بالظام الأمواج هنا اضطراب ما في القدر عند غليانها . ويريد بدوله « عوائد دحم » خيلا سودا حديدات النجاج . شبه القدر بتلك الخيل التي معها أولادها . وقيل : من الفائلة . ويروي « عوانب » مكان قوله : « عوائد » وهي التي تمشي على ثلاث قوائم وعقرت رابعها . شبه العدر بها ، لأنها توضع على أنافي ثلاث .

(٣) الرملون : الذين نعدت أزوادهم . والجزل : الحطب الفليظ . والذي في كتابنا النسختين : « إذا ما استطأها الموقدون » ؛ وهو تحريف .

(٤) اللفظ (بفتح أوله وتسكين ثانيه) : اللفظ بفتحهما معا ، وهو نشيش القدر . وفي كتابنا النسختين : « لفظا » ؛ وهو تحريف . والتصويب والتفسير عن ديوان معن بن أوس المطبوع في ليون . وتقطعت ، أي صوتت في غليانها . والرزم من الإبل : التي تخرج أصواتها من حلقها لا تنفع بها أفواهها ، كما ورد ذلك في التفسير المكتوب على هذا البيت في شعر معن بن أوس . وفي كتابنا النسختين : « تحفل » بالحاء المهملة مكان « تجفل » بالجي ؛ وهو تصحيف .

(٥) في رواية : « زادا ومطعا » . وكانت العرب في الجذب تشق أسنمة الإبل وهي حية وتأخذ ما فيها من الشحم وتأكله .

وكان عتيق^(١) القد خير شوائهم وصار عبوق الخود ماء مُحَمَّما
عَقَرَتْ لَهُمْ دُهْمًا مَقَاحِيْدَ^(٢) حِلَّةً وعادت بَقَايا الْبَرْكِ نَهَبًا مُتَسَمِّما
قال^(٣) : وإذا كان الْقَحْطُ فَصَدُوا الْإِبِلَ وعالجوا ذلك الدَّمَّ بشيء من
العلاج لها كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المَصْران ، ثم تشويه أو تطبخه ،
فيؤكل كما تؤكل التَّقَانِيقُ^(٤) وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والعريق ناضب » فإنما يعنى قلة الدَّم لزال البعير ، وكذلك
جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دَمًا إذا كان بين التهزول والسَّمين .
وقالت أم هِشَام السَّلُولِيَّة : ما ذَكَرَ النَّاسُ مذكوراً خيراً من الإبل
وَأَجْدَى^(٥) على أَحَدٍ بِخَيْرٍ ؛ هَكَذَا رَوَى .

وقال الأندلسي : إِنْ سَحَلَتْ أَثْقَلَتْ ، وَإِنْ مَشَتْ أَبْعَدَتْ ، وَإِنْ حَلَبَتْ
أَرْوَتْ ، وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ .

قال أبو الحسن التَّيْمِيّ ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأَجْمَرِي^(٦)
بِخَمْسِ سَفَائِفَ^(٧) دَمِيْقٍ ، وذلك في زمن مصعب وهو مُعَسِّكِرٌ بها فَلَقِيْنِي

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد . وكانت العرب تشويه وتأكله إذا أجذبت .
ويشير بالشرط الثانى إلى قلة اللبن حتى إن الخود (وهن الشواب الحسان الباعثات) لا يجدن اللبن
يفتقن به أى يضر به في المساء فهن يشربن الماء الحارَّ المسخن . يقال : سَمَّ الماء إذا سخنه .
وفى الأصل « الجود » بالجمع مكان « الخود » بالحاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المقاحيد من النباقي : العظيمة الأسمعة . والحلة : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباركة .

(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ ولعله الأصمعي ؛ إذ هو أقرب مذكور .

(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (٥) فى (أ) التى ورد

فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : واجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٦) بِأَجْمَرِي : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يسكن فيه مصعب

ابن الزبير . والقى فى (١) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحز وهو تحريف

صوابه ما أثبتنا نقلا عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع

سفيقة ؛ وهى النسيجة من الخوص نحو الزنبيل . وفى الأصل « سقائق » ؛ وهو تصحيف .

عِكْرِمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمَ أَخَذْتَهَا ؟ قَالَتْ تُسَمِّعِينَ أَلْفًا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ أَلْفًا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعَتْهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمُعَسْكَرِ يَوْمَئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : فَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهِ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَعَلَ كُلُّ قَوْمٍ يَمْعَجِنُونَ عَلَى حَيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ خَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَمَعُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا ^(٢) ... ^(٣) فَخَلَّوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٤) يَتَّبِعُهُمْ حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهَا الْفَرَسَ ، وَتَنَادَى الْفَرِيقَانِ : إِنْ فَرَسَ حَوْشَبَ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرِمَةَ . فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْعَمْدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرِمَةُ . *

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الضَّيْفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ أَبَانُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي أُبَيَاتِ عَمَّارِ
أَبَانُكَ ^(٥) اللَّهُ فِي أُبَيَاتِ مُعْتَمِرِ ^(٦) عَنِ الْمَسْكَرِ لَا عَفٍّ وَلَا قَارِي
جَلَدِ الْمَدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ كَأَنَّمَا ^(٧) ضَيْفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفحل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقط كلاماً ساقطاً من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس ، آخر ذكر لرجل منهم يسمّى حوشبا ، فخلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذاً من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصّة .

(٤) وهو ، أى فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فلعل فيه نقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أبانك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « معتمر » ، ولم نتبين له معنى يناسب السياق ، والصواب ما أثبتنا . والمعتز : المنتعش بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيقه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَيَهَيَّا كُلَّ
 وَهُوَ إِذَا قِيلَ لَهُ : وَيَهَيَّا^(١) فُلْ فَإِنَّهُ أَخْجَعَ بِهِ أَنْ يَنْفَكُلْ
 [قيل لـصوفي : ما حدث الشَّيْع ؟ قال : لا حدث له ، ولو أراد الله أن يؤكل بحدِّ
 لَبَيِّنَ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود ، وكيف يكون للأكل حدٌّ ، والأكلُ مُخْتَلَفٌ
 الطَّبَاعِ والمزاجِ والعارضِ والعادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّيْع حتى
 يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء] .

وقيل لـصوفي : ما حدث الشَّيْع ؟ فقال : ما نشطَ على أداء الفرائض ، وثَبَّطَ
 عن إقامة النوافل .

وقيل للمتكلم : ما حدث الشَّيْع ؟ فقال : حدثه أن يجلب النوم ، ويُضَجِرَ القوم
 ويبعثَ على النوم .

وقيل لـطائفةٍ : ما حدث الشَّيْع ؟ قال : أن يؤكَلَ على أنه آخر الزَّاد ،
 ويُؤْتَى على الحِلِّ والدَّق .

وقيل لأعرابي : ما حدث الشَّيْع ؟ قال : أمّا عندكم يا حاضرة فلا أدري ؛ وأمّا
 عندنا في البادية فما وجدت العين ، وامتدَّت إليه اليد ، ودارَ عليه الصُّرس
 وأَساغُهُ الحَقَّاق ، وانفتحَ به البطن ، واستدارت عليه الحَوَايا ، واستغاثت منه
 المَعِدَّة ، وتقوّست منه الأضلاع ، والتَّوَتَّ عليه العَصارين ، وخيفَ منه الموت .
 وقيل لطبيب : ما حدث الشَّيْع ؟ قال : ما عدَّلَ الطبيعة ، وحفِظَ المزاج
 وأبغى شهوةً لما بعد .

(١) « ويهيا قل » بالهاء ، أي إذا نودي باسمه لعظام الأورق قيل : يا فلان ، سئل عن
 الدماء وتكتسب . وفي الأصل : « قل » بالفاء ... ويتكل . وهو تصحيف في كلتا
 الكلمتين وتصويب عن اللسان . وفيها : كلمة حض واستحاث .

وقيل لقصار : ما حذُ الشَّبَع ؟ قال : أَنْ تَتَبَّ إِلَى الْجَفَنَةِ كَأَنَّكَ مِرْحَانٌ
وَتَأْكُلُ وَأَنْتَ غَضَبَانٌ ، وَتَمْنَعُ كَأَنَّكَ شَيْطَانٌ ، وَتَمْلَعُ كَأَنَّكَ هَيْمَانٌ ، وَتَدْعُ
وَأَنْتَ سَكْرَانٌ ، وَتَسْتَلْقَى كَأَنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل لِحَمَال : ما حذُ الشَّبَع ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ مَا رَأَيْتَ بِمَشْرِ يَدَيْكَ
غَيْرَ عَاطِفٍ وَلَا مُتَعَزِّزٍ ، وَلَا كَارِهِ وَلَا مُتَعَزِّزٍ .

وقيل لِمَلَّاح : ما حذُ الشَّبَع^(٢) ؟ قال : حَذُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فَا حَذُّ الشُّكْرِ ؟
قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْقَرَضِ ، وَلَا النَافِلَةَ مِنَ
الْقَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالسَّكْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له : فَإِنَّ السَّكْرَ
مَحْرَمٌ ، فَلِمَ جَعَلْتَ الشَّبَعُ مِثْلَهُ ؟ قال : صَدَقْتُمْ ، هُمَا سُكْرَانٌ : أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ
مُوصُوفٌ بِالْمَيْبِ وَالْخَسَارِ ، وَالْآخَرُ مَعْرُوفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ . قيل [له] :
أَمَا تَخَافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِنَّمَا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْتَعِي اللَّهَ عِنْدَ أَكْلِهِ ، وَلَا
يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْتَفِمْ وَيَسْتَهْرِئُ
وَيَقْرُمُ إِلَى الزَّيَادَةِ .

وقيل لبخيل : ما حذُ الشَّبَع^(٤) ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَحَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَفَى الْخَوْفَ ، وَسَكَنَ الضُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرَّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَرْحِ ، وَهَلْ هَلَاكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالتَّخَلُّعِ
وَالْبَطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُ
عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ التَّعَدَّى وَيَفْشُو الْخَلِيرُ .

(١) الأوان : العدل (بكسر الهمزة) ، كالأون (يسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو أنسب . والذي في (أ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما شَدَّ العَضْدَ ، وَأَحْمَى الظَّهْرَ ، وَأَدْرَّ
الوَرِيدَ ، وزَادَ فِي الشَّجَاعَةِ .

وقيل لزاهد : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما لم يَحُلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ . وإذا شكا إليك جائعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِاحْسَاسِكَ بِهِ .

وقيل لِمَدَنِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : لا عَهْدَ لِي بِهِ ، فكيف أَصِفُ
ما لا أعرف ؟

وقيل لِمَيْمَنِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ يُخْشَى حَتَّى يُخْشَى .

وقيل لتركِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ تَأْكُلَ حَتَّى تَدْنُوَ مِنَ الْمَوْتِ .

وقيل لسفويهِ^(١) القاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ ؟ قال : مَنْ مَاتَ بِالتَّخَمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لِسَمَرْقَنْدِيٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : إِذَا جَعِظْتَ عَيْنَاكَ ، وَبَسِمَ
لِسَانُكَ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَنْ بَدَنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبَعِ . قيل له : إِذَا كَانَ هَذَا أَوَّلُهُ ، فَمَا آخِرُهُ ؟ قال : أَنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لهنديٍّ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : المسئلة عن هذا كالمُحال ، لأنَّ الشَّبَعِ
من الأَرَزِّ النَقِيِّ الأَبْيَضِ ، السَّكْبَارِ الحَبِّ ، المطبوعِ بِاللَّيْنِ الحَلِيبِ ، المَعْرُوفِ
على الجَامِ البُلُورِ ، المَدُوفِ^(٢) بالشُّكْرِ الفائقِ ، مخالفٌ للشَّبَعِ من السَّمَكِ
المَمْلُوحِ وَخُبْزِ الدَّرَّةِ ، وعلى هذا يختلف الأمرُ فِي الشَّبَعِ . فقليل له : فَدَعْ

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من الكتب .

(٢) المدوف : المخلوط . وفي كلتا النسختين : « المدفون » ؛ وهو تحريف .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لقمة زَهَقَتْ نفسه إلى النار .

قيل لمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكن أُحِبُّ أنْ آكلَ ما مَشَى بِحَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لجمّال : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أَوَاصِلُ الْأَكْلِ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كُنْتُ أَنْتَهَى لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أَعْنَى أُنِي سَاعَةٌ أَلْتُ ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةٌ أَمَلْتُ اللَّمَّةَ ، وسَاعَةٌ أَثْرُدُ ، وسَاعَةٌ آكُلُ] وسَاعَةٌ أَشْرَبُ لَبَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أُنِي بَلَغْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ ، وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، وَاللَّهُ عَنْهُ ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لما بَلَغْتُ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : مَا أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : بَقِيَ مِنْهَا جُزْءٌ آخِرٌ ^(٣) . قال : دَعَا لِلَّيْلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْحَعَةَ الْوَدَاعِ . قُلْتُ : قِيلَ لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهَى ؟ قَالَ : مَائِدَةٌ رَوْحَاءُ ^(٤) عَلَيْهَا جَفْنَةٌ رَحَاءُ ^(٥) فِيهَا ثَرِيدَةٌ صَفْرَاءُ ، وَقِدْرٌ حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءُ .

قال ^(٥) : أَبَيْتَ ^(٦) الْآنَ [أَلَّا] تَوَدَّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ مَا تَقَدَّمَ ؟ وَأَنْصَرَفْتُ .

(١) فِي (ب) : « أَهْجَن » .

(٢) فِي (ب) : « عَنِ الْعَبْدِ » .

(٣) فِي (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يُقَالُ : جَفْنَةُ رَوْحَاءَ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً حَرِيصَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قَالَ ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلَا النُّسَخَتَيْنِ بِهَمْزَةِ الْحُرُوفِ تَتَعَدَّرُ قِرَاءَتَهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي لِمَتَابَتِهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ فقرأتُ ما بقيَ من هذا الفن .
قال رجلٌ من فزارة^(١) :

تَذْبِجُ أحيانًا وأحيانًا تَهْرِجُ وَتَتَمَطَّى^(٢) سَاعَةً وَتَقْدَحِرُ
تَعْدُو عَلَى الضَّيْفِ بِعُودٍ مُنْكَسِرٍ^(٣) يَسْقُطُ عَنْهَا ثَوْبُهَا وَتَأْتِرُ
لَوْ نُحِرَتْ فِي بَيْتِهَا عَشْرُ جُرُزٍ لِأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمٍ تَعْتَذِرُ
بِحَلْفٍ سَحَرٍ^(٤) وَدَمْعٍ مِنْهُرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا تَقِرُّ
المُقْدَحِرُ : المتهَيُّ للسَّبَاب .

وقال أبو دلامة الأَسَدِيُّ^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب .
وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد
في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أَمْ حِوَارِ ضَنْؤُهَا غَيْرُ أَمْرٍ صَهْصَهْلُ الصَّوْتِ بَعَيْنِهَا الصَّبْرُ
سَائِلَةُ أَصْدَاغِهَا لَا تَخْتَمِرُ الْخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وَتَمَطَّر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في اللسان « عَلَى الدُّب » .

(٤) سَحَر ، أى كثير متتابع ، كما في كتاب لإصلاح المنطق لابن السكيت المحفوظة منه
نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن
والأضداد : « سَبِيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والذي في الأصل :
« سَبِج » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « تَفَر » بالفاء ... « وَلَا تَقَر » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأَسَمِي » ؛ ولم نأخذ هذه النسبة
لأبي دلامة فيها راجعناه من الكتب . والذي وجدناه أن أبا دلامة كان مولى لبني أسد ،
فلعل الصواب ما أثبتنا .

قَدْ يُشْبِعُ الضَّيْفَ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْ الْهَمِيدِ ، وَالْحِرَادُ تَسَعُ^(١)
نَمْ يَقُولُ أَرْضُوا بِهَذَا أَوْ دَعُوا

وقال آخر :

حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدْرَى^(٢) وَاسْتَحَلَّ لَجَارَتَيْهِ نَمْ وَلَى فَفَنَسَلْ
ذَرَقَ الْأَثُوفَيْنِ^(٣) الْقَرْنَيْنِ وَالْجَعْلِ

وقال آخر :

[إِذَا^(٤) أَتَوْهُ بِطَعَامٍ وَأَكَلَ] بَامَتْ يُعْشَى وَخَسَدَهُ أَلْفَى جُعَلْ

وقال أبو النجّوم :

[تُدْنِي مِنَ الْجَدُولِ^(٥) مِثْلَ الْجَدُولِ] أَجُوفَ فِي غَالِصَةٍ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهيميد : حب الحنظل . والحيراد : ذكور الضباب ، الواحد حردون بالذال المهملة أو الذال المعجمة . وتسع ، أى تسع لأكله مما كثر .

(٢) كذا ورد هذا الشعر في كتاب الحيوان للجاحظ . وتدرى ، أى تمشط . والمدرى والمدرأة : المشط . والذي في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لجاذبته » مكان قوله : « لجارتيه » ؟ وهو تحريف . وتل ، أى راث .

(٣) الأثوى : لفظ يطلق على كل ما يأكل العذرة من الرخم وغيرها ، قاله الجاحظ في كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهدا على ذلك . والقرني : دويبة كالخنفساء وأعظم منها بسير طويلة الفواثم . وقد تسمى اللقويون الأثوى أيضا بأنه الطير الذى يبيض فى الهواء ولا يستقيم معناه هنا .

(٤) هذا الشعر ساقط من الأصل ، وقد أثبتناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به . ويشير بقوله : « بامت يعشى » الخ إلى أنه كثير البراز ، فيقول : لأنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جعل ، لأن الجمل تقتات بالبراز . قاله الجاحظ .

(٥) هذا الشعر ساقط من الأصل ؟ ولا يتم المعنى بدونه . ويشير إلى سعة فها ، فيشبهه بالجدول الذى يضرب منه .

(٦) الغالصة : متصل الحلقوم بالحلق . وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق .

تَسْمَعُ^(١) للماء كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ^(٢) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٣) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٤) مِنْ طُرُقٍ أَنْتَهَا مِنْ عَلٍ كَانَ صَوْتٌ جَرَّعَهَا الْمُسْتَفْجِلِ
وَقَالَ آخِرُ :

يَقُولُ لِلطَّاهِي الْمَطْرَى^(٥) فِي الْعَمَلِ ضَهَبٌ^(٦) لَنَا إِنْ الشَّوَاءُ لَا يُمَلُّ
بِالشَّخْمِ إِمَّا قَدْ أَجْمَنَاهُ^(٧) عَجَلٌ لَنَا مِنْ ذَا وَالْحَقُّ بِالْبَسَدَلِ
وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَالرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَالْعِيَالِ الذَّرْدَقِ^(٨) اللُّصُوقِ حَمَاءٌ مِنْ مَعْرِ أَبِي مَرْزُوقِ
تَلَحُّسُ خَذَّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ بَلَّيْنِ الْمَسِّ قَلِيلِ الرِّيقِ

- (١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسحل : المبرد .
(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي . والذي في الأصل : « مديديها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .
(٣) في الأصل : « يكفيه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن أرجوزة أبي النجم المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م وبليقه ، أي يلقى الماء وفاقله قوله بعد : « قذف » .
(٤) الأهدل : المسترخي .
(٥) دهنهتها ، أي دحرجتها .
(٦) المطرى : الطاهي الذي يخلط الطعام بالأفاويه . وطرى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .
(٧) ضهب ، أي اشو شيئا غير كامل النفع ، يريد الاستمجال . والتضهيب أيضا : شىء اللحم على الحيازة المحماة .
(٨) أجمناه ، أي مللناه .
(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والذي في الأصل : « الزردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُخْبِهَا الْفَتِيْقِ فَحَيْحُ^(١) ضَبِّ حَرْبٍ حَنِيقِ
فِي جُحْرِ ضَاقٍ أَشَدَّ الضِّيقِ

وَأَنشَدَ أَيضًا :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَةٍ قَيْلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٍ بَارِدَةٍ النَّيْسِ^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيَّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيْدَ الثُّدِيِّ

وَأَنشَدَ ابْنُ حَبِيبٍ :

نِعْمَ لَقُوحٌ^(٥) الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ وَرُؤُوسُهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى يَرْوِحُوا سُقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ^(٧) نَشْرَ الْخَوَاصِرِ

وَأَنشَدَ الْآمِدِيُّ :

كَأَنَّ فِي رِيْهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقْضُ^(٨) الْبَدَنَ الْمُدْرَعَا
لَوْ عَضَّ رُكْنًا وَصَفَا تَصَدَّعَا

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّرْحُ وَحْدَهَا : « بَحْج » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَهْبَتْنَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ اللَّفَّةِ . وَالْفَحِيجُ : صَوْتُ الضَّبِّ .

(٢) الْمِقْرَةُ : الْإِنَاءُ الَّتِي يُفَرِّقُ فِيهِ . وَالْقَيْلُ : اللَّبَنُ الَّتِي يَصْرَبُ نِصْفَ النَّهَارِ وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الشَّرْحُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا : « هَلْ لَكَ فِي الْمَرْيِ بَقِيلٍ بِي » ؛ وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنْ تَضَعِيفٍ .

(٣) الشَّكْوَةُ : وَغَاءٌ مِنْ أَدَمٍ يَتَخَذُ اللَّبَنُ وَالْمَاءُ . وَالنَّيْسُ : اللَّبَنُ الْحَلِيبُ يَصْبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ .

(٤) « تُخْرِجُ لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيَّ » ، أَيْ تَسْمِنُ الْمَهْزُولُ الضَّامِرُ .

(٥) اللَّقُوحُ : الدَّاقَةُ الْحُلُوبِ .

(٦) الْحَازِرُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ .

(٧) الْوَضْعُ : جَمْعُ أَوْضَعٍ وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ الْوَرَكَيْنِ وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالْأَوْضَعُ وَالْأَرْسَجُ وَاحِدٌ .

(٨) تَقْضُ : تَكْسِرُ .

وقال محمد بن بشير :

أَقْلَّ عَارًا^(١) إِذَا صَيَّفَ تَصَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمُكْثِرٍ فِي الْغَنَى سَيِّئَانِ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرَدُودِي
قال الأعرابي : نَعِمَ الْفَدَاهُ السَّوِيْقُ ، إِنْ أَكَلْتَهُ عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وَإِنْ
أَكَلْتَهُ عَلَى الشَّبَعِ هَضَمَ .

وقال العوامي^(٢) — وكان زوّارًا لإخوانه في منازلهم — : الْعَبُوسُ بُوسٌ ،
وَالْبِشْرُ بُشْرَى ، وَالْحَاجَةُ تَفْتَقُ الْحِيلَةَ ، وَالْحِيلَةُ تَشْحَذُ الطَّيْبَةَ .

ورأيتُ الحنبلي^(٣) يُنشدُ | ابنَ آدمَ — وكان مُوسِرًا بخيلاً | — :

وَمَا لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُخْلِدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيُخْلَدُ
فَلَا تَذْخِرْ زَادًا فَتُصْبِحَ مُلْجَأًا إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ

وحَكَمِي لَنَا ابنُ أَسَادَةَ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا — يَعْنِي بِأَصْفِهِمَا — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرَّةً إِنْسَانٌ رَغِيْفًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَلَمْ
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ | فِي دُعَاكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟ [فَقَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا عَشْرُونَ
سَنَةً مَا نَاوَلَنِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيْحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . والذي في (١) انوار فيها هذا الشعر وحدها : « لقد
غلاوا ؟ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) العراقي ولم نقف على العراقي هذا الموصوف بما ذكر . والذي أثبتناه
عن (ب) ؟ وإن كتبنا لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام ، إلا
أنه ورد ذكره كثيرا فيما سيأتي .

(٣) كذا في (ب) . والذي في (١) : « الحياوي » ؟ ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعناه من كتب الأنساب ومعجمات الأعلام التي بين أيدينا .

وقال آخر :

رُئِيَ جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ
يَجُوعُ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السكرَوَيْي :

وَلَا يَسْتَوِي الْأُنْثَانِ^(٢) لِلضَّيْفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَاطِبُ

وأنشد :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى نَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ الْمَرْءَ إِلَّا تَفَادِيَا^(٣)

وأنشد آخر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْخًا شَدِيدَ اللَّقْمِ هَلْقَامًا طَلِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابن سلام : كَانَ يُخْبِرُ فِي مَطْلَبِخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتْمَاةَ كُرٍّ^(٦) حِنْطَةً ، وَيُذَبِّحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةَ آلَافِ ثَوْرٍ وَعَشْرُونَ شَاةً ، وَكَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخر : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإناء » مكان قوله : « الانثان » ؟ وهو تحريف .

(٣) فوضى فضى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون غيره . ويريد بالسطر الثانى أنهم ليس لأحدهم سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موسى فضى مكان « فوضى فضى » ؟ وهو تحريف ؟ والتصويب عن اللسان .

(٤) الهقام : عظيم اللقم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : الغنم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل العشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل العشب الفصير الغليل وشبعت منه فإن الناقة لا تمدر على أكله لقصره وقتله فنلحه . يضرب للفقر يخدم الغنى . وعبارة الأصل : « إذا شعت لحست الحليلة » ؟ وفيه نقص وتحريف ظاهران ؟ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السكر : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حمار ، وقيل : أربعون إردبا .

(٧) في الأصل « بحاجته » ؟ وهو تحريف .

السَّيْل ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِين .

ولما وَرَدَ تِهَامَةٌ وَأَتَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِلنَّبِيِّ طَوْلَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافٍ نَاقَةً وَخَمْسَةَ آلَافٍ ثَوْرًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وقال لمن حَضَرَ : إِنَّ هَذَا الْمَسْكَانَ سَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعْرَابِيٌّ :

وَإِذَا خَشِيتُ مِنَ الْفَوَادِ لَجَاجَةً فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَأْسِ
وَرَوَى هَشِيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مِنْ كَرَمِ الْعَرَبِ أَنْ
يَطْلُبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ واقْدَ لَغَطَ ^(١) رباطه من
الجوعِ والعَطَشِ .

وأنشد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أَوْنِيهِ ^(٢) حَتَّى كَانَتْ جَنْيْبُ بِهِ إِنَّ الْجَنْيْبَ جَنْيْبُ
أَي جَاعَ حَتَّى كَانَتْ يَمُشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّقًا ^(٣) .

وقال أيضا : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عِشَاءِ الْحَيِّ ، أَيْ
لَا يُدْرِكُهُ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عِشَاءً عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن بطنه قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فشبّه ذلك
الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :
وبال الجوع في أرنبه حتى كأنه حبيب يدان إلى حبيب
وفيه تعريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المطلق لابن السكيت ولسان العرب .
(٣) متعقفا ، أي معوجا .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَصْطَبَحْتَ رَيْدَةً وَإِدَامُهُ ——— سَارُّ وَأَنْتَ تُدَبِّلُ
وَاللُّقْمَةَ وَاللُّقْمَةَ إِذَا جُمِعَتَا مِنَ التَّرِيدِ وَالْعَصَائِدِ يُقَالُ لَهَا دُبْلَةٌ ، وَمِنْهُ سَمِيَتْ
الدُّبَيْلَةُ ، وَهِيَ الْوَرَمُ الَّذِي يَخْرُجُ بِالنَّاسِ . وَأَنْشَد :

أَقُولُ لَنَا ابْتَرَكُوا جُنُوحًا بَقْصَعَةً قَدْ طُنَحَتْ تَطْفِيجًا
دَبَّلَ أَبَا الْجَوَازِ أَوْ تَطْفِيجًا^(١)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

فَدَبَّلْتُ أَمْثَالَ الْأَنْفَانِ كَأَنَّهَا رُيُوسُ أَعَادٍ قُطِّمَتْ يَوْمَ مَجْمَعٍ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَطِيبُوا
الطَّعَامَ فَإِنَّهُ أَنْفَى لِلشَّخْطِ ، وَأَجْلَبُ لِلشُّكْرِ ، وَأَرْضَى لِلصَّاحِبِ “ .
قَالَ بَشَّارُ .

يَغْنَصُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بَكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
الْمُسْعُورُ : الْجَائِعُ . قَالَ هَمِيَانُ بْنُ قُحَافَةَ :

* لَا قَى صِحَافًا بَطْنًا مَسْعُورًا *

وَقَالَ شَاعِرُ :

* يَمْشَى مِنَ الْبِطْنَةِ مَشَى الْأَبْرَحِ^(٢) *

(١) فِي الْأَصْلِ : « دَبَّلَ أَمَا الْجَوَازُ أَوْ بَطِيخًا » ؛ وَفِيهِ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ . وَالتَّصْحِيفُ
عَنِ الْمُخْصَصِ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا السَّكْلَامُ وَجَدَهَا دُونَ (ب) « الْأَنْزَح » ... « النَّزَح »
بِالنُّونِ وَالْهَاءِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا نَقْلًا عَنْ كَتِّبِ اللُّغَةِ .

الْبَرْخُ : دخول البطن وخروج الثَّغَّةِ أَسْفَلَ الشَّرَّةِ .

وقال آخر :

أَعْرُ كَصَبَاجِ الدُّجْنَةِ يَتَّقِي شَدَى^(١) الزَادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَابِيهِ
شَذَاهُ^(٢) : طيبه .

وقال أعرابي : بَنُو فُلَانٍ لَا يَبْزُرُونَ^(٣) وَلَا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطَّنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْبَةٍ .

[وقال الشاعر^(٤)] :

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ^(٥) وَصَوْتُ ذَنْبٍ مُقِيرِ
الْكَرِيبِ : الشَّوْبِقُ^(٥) وَهُوَ الْمَحْوَرُ وَالْمِسْطَح .
وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةٍ لَهُ بِوَجْهِهِ كَالذَّنَائِرِ : مَرَحَبًا
وَأَهْلًا فَلَا مَمْنُوعَ خَيْرٍ تَرِيدُهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ نُؤْوِيَا
قال الشاعر : اسْتَسْقِمْتَ عَلَى خِوَانٍ قَتِيلَةٍ ، فقال : مَا أَسْقِيكَ ؟ فقالت :
الْهَيْئُ الْوُجْدُ ، الْعَزِيزُ الْفَقْدُ . فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان السكمانتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالاقاف وهو تحريف .

(٢) لا يَبْزُرُونَ ، من بَزَرَ القدر إذا رميت فيها البزرة ، وهو التابل . ولا يَقْدُرُونَ ، من القدر بفتح القاف ، وهو الطبخ في القدر .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « السكريت » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح من إصلاح المنطق . وفي الأصل : « معقر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح من إصلاح المنطق كذلك .

(٥) في الأصل : « الشوبق » ؛ وهو تحريف . والتصويب من إصلاح المنطق . والشوبق هو الخشبة التي يبسط عليها الحجاز الحبز .

مرّةً مسكينٌ بأبي الأسودَ ليلاً وهو ينادى : أنا جائع ! فأدخله وأطعمه حتى شَبِعَ ، ثم قال له : انصَرِفْ إلى أهيك ، وأتبعه غلاماً وقال له : إن سمعته يسأل فأردّده إلى . فلما جاوزَه المسكينُ سأل كعادته ، فتشَبَّثَ به الغلامُ وردّه إلى أبي الأسود . فقال : ألم تشبّع ؟ فقال : بلى . قال : فما سؤالك ؟ ثم أمرَ به فحُدِسَ في بَيْتٍ وأغلق عليه الباب ، وقال : لا تُروّع مسلماً سائر الليلة ولا تكذب . فلماً أصبح حَتَّى سَبَّيْله ، وقال : لو أطمعنا الشُّوَالِ صرنا مثْلهم . وسمعَ دابةً له تَعْتَلِفُ في جَوْفِ الليل ، فقال : إني لأراكِ أَتَهَرِّينَ في مالي والناسُ نِيام ، والله لا تُصْبِحِينَ عِنْدِي . وباعها .

وأبو الأسود يُعَدُّ في الشعراء والتابعين والمحدثين والبُخلاء والمفاليج والنجويين والقضاة والعُرَج والمعلمين .

وقال الشاعر :

أَنْفِقْ أبا عَمْرٍو ولا تَعَذِّرْنا وَكُلْ مِنَ الْمَالِ وَأَطْعِمْ مَنْ عَرَا
لا يَنْفَعُ الدَّرَهْمُ إِلَّا مُذِيرَا

كان مُسلم بن قُتَيْبَةَ لا يجالسُ لِحْوانِجِ الناسِ حتى يَشَبِعَ من الطَّعامِ الطَّيِّبِ ، ويَرَوِي من الماءِ البَارِدِ ، ويقول : إِنَّ الْجَائِعَ ضَيَّقَ الصَّدْرَ ، فَقِيرُ النَّفْسِ ، وَالشَّبْعَانِ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَفَى النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيْثَةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعًا وَخَرَقَ مِعْدَتِي شَوْكُ الْقَتَادِ

(١) هريثة ، أي بردا . يقال قرة (بكسر القاف) فيها هريثة . أي يصيب الناس منها ضرر وموت كثير . والهريثة : وقت اشتداد البرد ، كما في اللسان .

وَحَبَّهٗ حَنْظَلٌ وَلُبَابُ قُطْنٍ وَتَنُومٌ يَنْظُمُ بَطْنَ وَادِي^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكرشاء^(٢) ليس بسارقٍ ولسكنه ما يسرق القومُ يأكل
ولديك الجن :

إذا لم يكن في البيتِ ملحٌ مطيبٌ وخَلٌّ وزيتٌ حولَ حُبٍّ^(٣) دقيقٍ
فرأسُ ابنِ أُمِّي في حِرَامٍ [إن] خالي
وقال آخر :

وما جيرةٌ إلا كليبُ بنُ وائلٍ لياليَ تحمى عنمةً منبتَ البقلِ
وقال مسعر بن مكرم لرقبة بن مصقلة : أراك طفيلياً . قال : يا أبا محمد ،
كلُّ من ترى طفيلياً إلا أنهم يتسكتون .

وقال شاعر :

قَوْمٌ إذا آنسوا ضيقاً فلم يجدوا إلا دمَ الرأسِ صَبَّوه على البابِ
قال المفعم : الرأسُ الرئيس .

اشتدَّ بأبي فرعونَ الشائبيُّ الحالُ فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة :
يا قاضيَ البصرةِ ذا الوجهِ الأغرِّ إليك أشكو ما مضى وما غبَرُ
عَمَّا زَمَانٌ وشِئْنا قد حَضَرَ إنَّ أبا عنمة^(٤) في بيتي أنجَحَرُ
يضربُ بالدَّفِّ وإن شاء زَمَرُ فاطرُده عني بدقيقٍ بُنتَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) النوم شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أي يملؤه وبعمه .

(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والذي في (ب) : « أبا العراء » ؟ وهو خطأ

الناسخ . (٣) الحُبُّ بضم الحاء : الجرة ؛ ولعاهم كانوا يضعون الدقيق في الجرار .

(٤) أبو عنمة : كنية الجوع .

ويقال : وَفَتَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حَلَقَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةِ ، وَوَسَّى مِنْ كَفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ فِلَافَةٍ . فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وفال ابن حبيب : يقال أَحَقَّقُ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةً^(١)
فِي غَدِيرٍ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَنَقُولُ : « يَا حَبْدًا طَعْمُ اللَّابَنِ » حَتَّى انْشَقَّ بَطْنُهَا
فَانْتَبَهَتْ . وَالتَّوْدِيَةُ : الْعُودُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلَافِ^(٢) لئَلَّا يَرْضَعَ الْفَصِيلُ أُمَّهُ .
دَعَا رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ^(٣) تُكْسِبُ الزِّيَارَةَ وَإِنْ لَمْ تُسَوِّدْ ، وَلَعَلَّ تَقْصِيرًا
أَنْفَعُ فِيمَا أَحَبَّ بَلُوغَهُ مِنْ رِكَ^(٤) . فَقَالَ صَاحِبُهُ : حَرَصْتُ عَلَى كِرَامَتِي
يَكْفِيكَ مَوْوَنَةُ التَّكَافُفِ لِي .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لَوْ كُنْتَ خَلِيفَةً كَيْفَ كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ
أَسْتَكْنِي^(٥) شَرِيفَ كُلِّ قَوْمٍ نَاحِيَتَهُ ، ثُمَّ أَخْلُو بِالْمَطْبَخِ فَأَمُرُ الطَّهَّاءَ
وَيُعْظَمُونَ^(٦) الثَّرِيدَ وَيُسْكِرُونَ الْعُرَاقَ^(٧) ، فَأَبْدَأُ فَأَكُلُ لُقْمًا ، ثُمَّ آذَنُ
لِلنَّاسِ ، فَأَيُّ ضِيَاعٍ^(٨) يَكُونُ بَعْدَ هَذَا ؟ !

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَوْدَقَةٌ » نَالِبَاءٌ وَالْفَافُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا نَقْلًا عَنْ
كُتُبِ اللُّغَةِ . وَبَعَارَةٌ بِحَمِّ الْأَمْثَالِ : تَزْعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ أَبَا الضَّبْعِ وَجَدَ تَوْدِيَةً فِي غَدِيرٍ . . .
الْحُ مَا هُنَا .

(٢) الْخِلَافُ : الضَّرْعُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخِلَافُ » بِالْمُهْمَلَةِ ؟ وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٣) هَذِهِ : إِشَارَةٌ إِلَى دَعْوَتِهِ إِلَيْهِ . أَيْ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ تَكْسِبُنِي زِيَارَتَكَ لِي وَإِنْ لَمْ
تَسْعِدْ أَيْ تَهْدِنِي عَلَى قَضَاءِ الْحَقِّ كُلِّهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَكْثُرُ » مَكَانُ « تَكْسِبُ » . وَهُوَ
تَحْرِيفٌ . وَلَعَلَّ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَجْهًا هَذَا الْكَلَامُ : « تَرَكَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (أ) : « اسْتَكْنِي » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (أ) : « فَيُعْظَمُونَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) الْعُرَاقُ (بِالضَّمِّ) : جَمْعُ عَرَقٍ (بِفَتْحٍ فَكُونَ) ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي أَخَذَ أَكْثَرُ

مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ .

(٨) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « صَنَاعٌ » ؟ وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفأناكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
 بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طوئتم بشار .
 وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : بأعك الله في الأعراب ؟ قال :
 لأننا نمرى جلده ، ونطيل كده ، ونجميع كبده .
 وقال طفيلي : إذا حدثت على المسائدة فلا تزدد في الجواب على نعم ، فإنك
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومُسِمِعاً للقممك ، ومُقْبِلاً على شأنك .
 وقيل لأعرابي : أى شيء أحد ؟ قال : كبد جائعة ، تلقى إلى أمعاء ضالعة^(٣) .
 وقيل لآخر : أى شيء أحد ؟ قال : ضرس جائع ، يلقى [إلى] معنى ضالع^(٤) .
 وقال آخر :

أَحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَحْبَلًا^(٥) وَوَرَلًا يَرْتَادُ رَمَلًا أَرْمَلًا
 قالت سُلَيْمَى لَا أَحِبُّ الْجُوزَلَا وَلَا أَحِبُّ السَّمَكَاتِ مَا كَلَا
 الْجُوزَلُ : فَرَسُ الْحِمَامِ . وَالْوَرَلُ : دَابَّةٌ^(٦) . أَرْمَلُ : صِفَةٌ لِلْوَرَلِ . وَإِذَا كَانَ
 كَذَلِكَ^(٧) كَانَ أَشْمَنَ لَهُ ، وَهُوَ^(٨) يَسْقُدُ فِيَهْزُلُ .

(١) في (١) : « ولا آجامكم » ؛ وهو تحريف .
 (٢) كدتا في (ب) . والذي في (١) : « نبت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .
 (٣) يريد بالضالمة هنا الفوية على احتمال ما يلقى إليها ، وكذلك الضالع الآت بعد . والذي
 وجدناه في كتب اللغة أنه الضليم ، من الضلالة ، وهى القوة . ولم نجد الضالع بهذا المعنى .
 والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي على القالى ص ٢٢ أن المحفوظ : ضرس قاطع بقذف في
 معنى جائع وهذا هو الصحيح .
 (٤) السحل : العظيم المسن من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه يسير .
 والأرمل : الذى لا زوج له . ويقال ذلك في الذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستشهداً
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رعى الربيع والشتاء أرملا » مكان قوله : « وورلا يرتاك » .
 (٥) في (١) : « بيت » ؛ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية
 قبل هذه . (٦) كذلك ، أى أنه أرمِل لا زوج له .
 (٧) في الأصل : « سرى » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضى ما أثبتنا .

ويقال : أَفْبَحُ هَزِيلَيْن : للراة والفرس ، وأطيبُ غَثِّ أكل غَثِّ الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أكل السعدان ^(١) ، وأطيب الفخيم لبناً ما أكل الحُرْبُث ^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سَقَالاً مُرَوَّبٌ ، وهو الذي يُسْقَى منه قبل أن يُمَخَّضَ ويُخْرَجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطِيهَةً ^(٣) ، وتَدَظَلَّتْ أَوْطَبُ ^(٤) الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب ^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنْلُنِي شَكَاتُهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَن .

وكان ^(٦) الحسنُ البصريُّ إذا طَبَخَ اللحمَ قال : هَلُّوْا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
قال سفيانُ الثَّوْرِيُّ : إِنِّي لِأَتَقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرَحَبًا فَيَايُنُ لَهُ قَلْبِي ،
فَسَكِيفُ بَيْنِ أَطْطَا بِسَاطِهِ ، وَآكُلُ مُرِيدَهُ ، وَأَزْدَرِدُ عَصِيدَهُ ؟

حكى أبو زيد : قد ^(٧) هَجَأَ غَرْنِي ^(٨) : إِذَا ذَهَبَ ، وَقَدْ أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ
غَرْنِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكتة حلقة الثدي ، وهو من أفضل مراعى الإبل ،
ويقال في المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحُرْبُث : نبت منبسط له ورق طوال رقائق طيب الرائحة يزيل بخر انهم .

(٣) في الأصل : « وَطِي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « طيبة » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في الحيوان ، ولم ينسبه كما هنا .

(٦) في (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من الداسخ .

(٧) في (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الغرن : الجوع .

فَأَخْزَاهُمْ^(١) رَبِّي وَذَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطَعَهُمْ مِنْ مَطْعَمٍ غَيْرِ مُهْجِيٍّ^(٢)
 قال : ويقال بَأَزَتْ^(٣) بُورَةٌ فَأَنَا أَبْأَرُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يُطْبَخُ فِيهَا ،
 وَهِيَ الْإِمْرَةُ . وَيَقَال : أَزْتُ إِمْرَةً فَأَنَا أَمْرُهَا وَأَرَا .
 وقال حستان :

تَحَالٌ قُدُورُ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ بُيُوتِنَا قَنَابِلَ دُهُمَا فِي الْمِبَاءَةِ صُيًّا
 قال أبو عبيدة : كَانَ الْأَصْمَعِيُّ بِخَيْلًا ، وَكَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ الْبُخْلَاءِ
 وَيُوصِي بِهَا وَلَدَهُ وَيَتَحَدَّثُ بِهَا .
 وَكَانَ أَبُو عبيدة إِذَا ذَكَرَ الْأَصْمَعِيَّ أَنْشَدَ :

عَظُمَ الطَّعَامُ بِعَيْنِهِ فَكَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلَّائِكَيْنِ طَعَامُ
 وَيَقَال : أَسَاذَتْ ، إِذَا أَبْقِيَتْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ الشُّوْرُ
 وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . وَيَقَال : فَأَذْتُ^(٥) الْخُبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزْتَهَا
 فِيهَا . وَالْمَفَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخْبَزُ بِهَا وَيُشْوَى . وَيَقَال : تَمَلَّأْتُ مِنَ الْأَكْلِ

(١) فِي الْأَصْل : « فَأَجْزَاهُمْ » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْل : « مُهْجِيٌّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْل : « نَأَزَتْ بُورَةٌ فَأَنَا أَنْأَرُهَا » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ فِي الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .

(٤) الصَّاد : الْمَعَايِشُ ، وَقِيلَ تَوَعَّدَهُ . وَفِي الْأَصْل : « الضَّأْنُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 وَالْقَنَابِلُ : طَوَائِفُ الْحَبْلِ ، الْوَاحِدُ قَنْبَلٌ وَزَانٌ جَمْعُهُ وَقَنْبَلَةٌ . وَفِي الْأَصْل : « قَنَابِلٌ » ؛ وَهُوَ
 تَحْرِيفٌ . وَفِي دِيوَانِ حَسَنِ : « فِي الْحَلَّةِ » ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ ؛ وَفِي الْأَصْل « فِي الْمَلَّةِ »
 وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ تَحْرِيفٌ مِمَّا أَنْبَتْنَا تَقْلًا عَنْ مُحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ . وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَحْبَلَتْ كَانَتْ عَلَيْهَا تَوْبٌ عَصَبٌ مَسْهَمًا

وَفِي دِيوَانِ حَسَنِ : « حَبِثَ قُدُورٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « تَحَالٌ » .

(٥) فِي الْأَصْل : « فَأَذْتُ » . وَأَفَادُهَا . . . وَالْمَفَادُ . . . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ
 الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .

(٦) الْمَلَّةُ : مَوْضِعُ النَّارِ .

والشراب تَمَلَّؤْا ، إِذَا شَبِعْتَ مِنْهُمَا وَامْتَلَأْتَ . وَيُقَالُ : لَفَأْتُ ^(١) اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ لَفَأً ^(١) إِذَا جَلَفْتُ ^(١) اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ . وَاللَّفِئَةُ ^(٢) هِيَ الْبِضْعَةُ الَّتِي لَا عَظْمَ فِيهَا فَهُوَ النَّحْفُضَةُ ^(٣) وَالْهَبْرَةُ وَالْوَذْرَةُ ^(٤) .

وَأُنْشَدَ يَعْقُوبُ :

سَقَى ^(٥) اللَّهُ الْغَضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ مَتَى كَانَتْ تَكُونُ لَهُمْ دِيَارَا
أَنْاسٌ لَا يُنَادِي ^(٦) الضَّيْفُ فِيهِمْ وَلَا يَقْرُونَ آيَةَ صِغَارَا
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : تَعْجِيلُ الْغَدَاءِ يَزِيدُ فِي الْمَرْوَةِ ، وَيَطْلُبُ
النَّكْمَةَ ، وَيُعِينُ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ .

قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَطْيَبُ مِضْغَةٍ أَكَلَهَا النَّاسُ صَيِّحَاتِيَّةٌ مُصْلَبَةٌ ^(٥) .
وَيُقَالُ : آكَلُ الدَّوَابِّ رِزْدُونَةً رَغُوثٌ وَهِيَ الَّتِي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا ^(٦) .
قَالَ أَبُو الْحَارِثِ حَمِيدٌ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْسَلَةَ الْبَذْرِ مِنْ قَدْرِ
سَقَيْتِ الْإِنِّ كَثِيرَةِ السُّكَّرِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَفَأَ ... لَفَاءً إِذَا جَعَلْتَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْفِئَةُ ... الْبِضْعَةُ ... وَالْوَذَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي هَذِهِ
الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .

(٣) فِي (أ) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَجَدَهَا هَذَا الشَّرُّ : سَلَّ اللَّهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَفِيمُ بِهِ
الْمَعْنَى ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَلَمْ نَحْدِثْ فِي الْبَيْتَيْنِ فِيمَا رَاجَعْتُهُمَا مِنَ الْكُتُبِ . وَالْخُبُوتُ :
جَمْعُ خُبْتٍ ، وَهُوَ الْمَطْمُوسُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٤) لَا يُنَادِي الْخُ ، أَيْ أَنَّهُمْ لَا تَكْفُلُونَ الضَّيْفَ مَوْثِقَةَ السُّؤَالِ
(٥) الصَّيْحَانِي : ضَرْبٌ مِنْ عَمْرِ الْمَدِينَةِ أَسْوَدَ صَلْبِ الْمِضْغِ . وَالْمِصْلَبُ : الَّذِي خَلَطَ
بِالصَّابِ ، وَهُوَ الْوَذْكُ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْمُتَلَامِّينَ الْمُتَوَاقِفِينَ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَقْلِيَّةٌ »
بِالْقَافِ وَالْيَاءِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا ، فَلَا عَنْ تَجَمُّعِ الْأَمْثَالِ .

(٦) يَلَاظِحُ أَنَّ تَفْسِيرَ الْبِرْدُونَةِ الرِّغُوثُ بِهَذَا الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ هُنَا غَيْرُ مَحْبُوحٍ ، لِإِذْ الْبِرْدُونَةُ
لَا وَلَدُهَا . وَالرِّغُوثُ مِنَ الْبِرَادِزِ هِيَ الَّتِي لَا تَنَكَّادُ تَرْفَعُ رَأْسَهَا مِنَ الْغَلَفِ . أَمَّا الَّتِي يَرْضَعُهَا
وَلَدُهَا فَهِيَ الرِّغُوثُ مِنَ الشَّيْءِ . فَلَمَّا فِي الْكَلَامِ نَقَصْنَا ، وَتَكَلَّمْتُ : « وَالشَّاةُ الرِّغُوثُ
هِيَ الَّتِي ... الْخُ » .

وقال الشاعر :

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزادِ أقرعاً
صم^(١) . عثمان بن رَواح^(٢) السُّفَرُ ورفيقاً له ، فقال له الرِّفِيقُ : امض إلى
السُّوقِ فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فمضى الرِّفِيقُ واشترى اللحمَ
ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطبخها الرِّفِيقُ .
ثم قال : قم الآن فأكرد . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فتردَّ الرِّفِيقُ . ثم
قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد أسْتَحْيَيْتُ من كثرةِ خلافي عليك ،
ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابنَ سِيرينَ فدَعَوْتُ الجاريةَ ، فسَمِعْتُهُ يقول : قُولِي
إنَّه نائم . فقلت : مَعِيَ خَبِيبٌ . فقال : مَكَانَكَ^(٣) حتى أخرجَ إليك .
قال أردشير : احذروا صَوْلَةَ السَّكْرِمِ إذا جاع ، والاثم إذا شَبِعَ .
قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : هَلَاكُ الرَّجُلِ
أَنْ يَحْتَقِرَ مَا فِي بَيْتِهِ أَنْ يَقْدِمَهُ إِلَى ضَيْفِهِ ، وَهَلَاكُ الضَّيْفِ أَنْ يَحْتَقِرَ
مَا قُدِّمَ^(٤) إِلَيْهِ .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جاثياً^(٥) بغير معنى وبلا فائدة
قد جنَّ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (١) : « فركابك » .

(٤) في الأصل : « واتدم » مكان قوله : « ما قدم » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جاثياً » يعني ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

وقال ابن بَدْر :

ونحن نَبْدُلُ عندَ القَحْطِ ما أَكَلُوا مِنْ السَّيْفِ إِذَا لم يُوْنَسِ القَرْعُ^(١)
وننَحِرُ الكُومَ^(٢) عَبْطًا^(٣) في أَرْوَمَتِنَا لِلْفَازِلِينَ إِذَا ما أَسْتَنْزَلُوا شَبِعُوا
وقال آخَر :

أَطْعَمَنِي بَيْضَةً وَنَاوَلَنِي مِنْ بَعْدِ ما ذُقْتُ فَقَدَهُ قَدَحًا
وقال أَيْ الأَصْوَاتِ تَسْتُلْنِي^(٤) ؟ يَزِيدُ ، إِنِّي أَرَاكَ مُقْتَرَحًا
فَقُلْتُ صَوْتِ المِقْلَى وَجَرْدَةً^(٥) إِنَّ خَابَ ذَا الأَقْتَرَا حُ أَوْ صَاحَا
فَقَطَّبَ الوجْهَ وَأَنْثَى غَضِبًا^(٦) وَكَانَ سَكْرَانًا طَانِعًا فَصَحَا
فَقُلْتُ : إِنِّي مَرَحْتُ ، قَالَ : كَذَا رَأَيْتَ حُرًّا بِمِثْلِ ذَا مَرَحَا ؟
قال ابن حبيب : كان الرَّجُلُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الشَّتَاءُ تَنَحَّى وَنَزَلَ وَحْدَهُ
لئَلَّا يَنْزِلَ بِهِ ضَيْفٌ فَيَكُونُ ضَعْفًا مُسْتَحَبًّا .

وهذا ضِدُّ قول زهير :

بَسَطَ البُيُوتَ لِكَيْ تَكُونَ مَطْلِيَّةً مِنْ حَيْثُ تَوْضَعُ جَفْنُهُ المُسْتَرْفِدِ
فَإِذَا كَانَ الشَّتَاءُ انْحَازَ النَّاسُ مِنَ الجَدْبِ والجَهْدِ ، وَإِذَا أَخْصَبُوا أَغَارُوا
لِلشَّارِ لا لِلسُّوَالِ .

(١) السيف : لحم السنام . والفزع بالقاف : السحاب . وفي الأصل : « الفزع » بالغاء .

(٢) الكوم واحده كوماء بفتح الكاف ؛ وهي الناقة العظيمة السنام .

(٣) في الأصل : « غبظا » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « فاسلني » يريد ؛ وهو تحريف .

(٥) الجردقة : الرغبة ، فارسية . وفي الأصل : « خودبة » ؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « حصنا » ؛ وهو تحريف .

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السَّنةِ الجَذْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَخُلُوهَا وَشَحْمًا تَائِبًا^(١) وَسَنَامًا
وقال مجاهدٌ في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَسَكًا) ، أى طعاماً ،
يقال : أَتَسَكْنَا عند فلان ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأصمعيُّ أن أعرابياً خَرَجَ في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وحَضَرَ وقتُ الغَداءِ وجعل بعضهم يَنْتَظِرُ بَعْضًا بالغَداءِ ، فلَمَّا أَبْطَأَ
ذلك عليهم عَمَدَ بعضهم إلى زادِهِ فألقاه بين يَدَيِ القَوْمِ ، فأقْبَلُوا يَأْكُلُونَ ،
وجلس صاحبُ الزادِ بَعِيداً لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يا سُودَدَاهُ !
وهل شَرَفَ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وَقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرَتْ في نَحْمَةٍ ويومِ مَسَقَةٍ ، وتفرَّدَتْ بِمَكْرَمَةٍ قَعَدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظَرَانِكَ ، فلا زالت نَعَمُ الله عليك غَادِيَةً وَرَاحَةً .

وفي مثله يقول حاتمُ الطائي :

أَكُفُّ يَدِي مِنْ أَنْ تَنَالَ أَكُفَّهُمْ إِذَا مَا مَدَدْنَاها وَحَاجَاتُنَا مَعَا
وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَادِ أَفْرَعَا
قال : الْمَخْمَصَةُ : الْمَجَاعَةُ . وَالنَّحْمَصُ : الْجُلُوعُ .

قال شاعرٌ يَذُمُّ رجلاً :

يَرَى الْخَمَصَ تَعْذِيباً وَإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ^(٥) الْهَمِّ مُبْهَمَا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .

(٣) في الأصل : « يمدُّ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل

الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخْصِبُوا يَغْنَوْا بِخَصْبِهِمْ أَوْ يُجْدُوا فَجْدُهُمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى أَخِي لَهُ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرَوِّى ظَمَأَ أَخِيكَ
بِقُرْبِكَ ، وَتُبَرِّدَ غَلِيلَهُ بِطَلْعَتِكَ ، وَتُوْنِسَ وَحْشَتَهُ بِأُنْسِكَ ، وَتَجْلُوَ غِشَاءَ
نَظَرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتَزَيِّنَ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجْمَلَ غَدَاؤُكَ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلِكَ
الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَعْمَتَ لَهُ الْمَرْوَرُ بِكَ بَاقِيَ يَوْمِكَ ، مُؤْتِرًا لَهُ عَلَى شُغْلِكَ ،
فَعَمَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَائِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَيْلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قال بعض الخطباء ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارَهُ
جَوْعًا وَقُرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُهُتٌ جُرْدٌ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ بِبَطْنٍ مُحْتَشٍ مِنْ حُلُولِهِ
وَحَامِضِهِ ، مُسْكِنٌ فِي كِنَتِهِ وَدِفْنُهُ ، مَزَيْنٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لُجَارُهُ
وَقَرِيبُهُ وَذِي حُلَّةٍ بِطَرِ ^(٤) رَفِهِ كَيْفَ يَأْمَنُ سَلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَّا لَوْ وَجَّهَ
بَعْضُ فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوْتِيَ .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَعِيفٍ مُقِيلٍ مَسَرَّ بِلِ سِرِّ بَالٍ تَخْلِي أَغْبَرِ

(١) في (١) : « كَاتِب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « الْقَيْل » ؟ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الْحَكَمَاء » .

(٤) في (ب) : « وَذِي خَلَّةٍ بِطُورِهِ » ؟ وهو تحريف .

(٥) هو الملوى صاحب الزنج ، كما في مجموعة النماذج .

أوتما إلى الكوماء هذا طارق^(١) تحرستى الأعداء إن لم تُنحرى
[وفى هذه الأبيات ما يُستحسن^(١) :

كم قد ولدتكم من كريم ماجد دامي الأظافر أو غمام ممطر
سدكت^(٢) أنا مله بقائم مرهف وبنشر عائدة وذروة منبر
يلقى السيوف بوجهه وبنجره ويقيم هامتة مقام المغفر
ويقول للطرف: اضطبر لسبا القنا ومقرت ركن المجدي إن لم تُعقر
وقال آخر :

وقال وقدّم^(٣) كشكيتة فكل شبعاً إننا في النهاية
تطفئ المرار وتنفي الخمار وما بعدها في النهايات غايه
ولا تتوقع أخيراً يحبسك فني أول المستطاب السكفاية
وقال آخر :

كأنما فوه إذا تمددا للقم أخلاق جراب أسودا
كأنه مختصر^(٤) قد جودا جاني جراد في وعاء مقلدا^(٥)

(١) وردت هذه الكلمة في ب مطبوعة الحروف تتعذر قراءتها بهل من النقط مظهر منها ؟ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها عن مجموعة المعاني .
(٢) سدكت أنا مله الخ ، أى أولعت بقائم السيف ، يقال : سدك بالدى ، إذا ألع به وخفت يده في محله .

(٣) فى الأصل : « وقد قدم للقوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « للقوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختصر الذى يضع فى خرصه (بكسر الحاء) أى جرابه ما يريد . وفى (أ) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها دون ب مخترس ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هنا » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد فى اللسان هذا الشطر ، مادة « قلد » شاهدا على أن المقلد (بكسر الميم) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبتُ غيرَ أبعدا تراه بين الحربَتَيْنِ مُسْنَدًا^(١)

الحُرْبَةُ : الفِرَارَةُ .

وقال جابرُ بنُ قَبِيصَةَ : ما رأيتُ أحلمَ جليسا ، ولا أَفْضَلَ^(٢) رَفِيقا ، ولا أَشَبَهَ سريرةَ بعلانيةٍ ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدتُ قومًا ورأيتهم بعيني ، فإِراءيتُ أَقرأ لكتابِ الله ، ولا أَفقهَ في دينِ الله ، من عُمر بن الخطاب رضى الله عنه . وما رأيتُ رجُلًا أعطى من ضَلَبِ مالِهِ في غيرِ ولائِهِ ، من طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله . وما رأيتُ رجلا أَسودَ من معاوية . وما رأيتُ رجلا أَنْصَعَ^(٣) ظَرْفا ، ولا أَخْضَرَ جوابا ، ولا أَكثَرَ صَوَابا ، من عُمرِو بنِ العاص . وما رأيتُ رجلا المعرفةُ عنده أَنْتَفَعَ منها عند غيره ، من المُفِيرةِ بنِ شُعْبَةَ .

ويقال : ما كان الطعامُ مَرِيئًا ولقد مَرَأَ ، وما كان الرجلُ مَرِيئًا وقد مَرُو . وقال لنا القَطَّانُ أبو منصور رئيسُ أَهلِ قَزْوِينَ : الرَّجُلُ من أَرضِ أَرْدَبِيلِ إِذا دَخَلَ بِلدًا يَسْأَلُ فيقول : كيف الخُبْزُ والمُبَرَّزُ^(٤) ، ولا يَسْأَلُ عن غيرِهما . فقيلَ له : لِمَ ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبزَ والمُبَرَّزَ ويأكلُ وَيَسْلُخُ^(٥) إلى الصباح .

قال الشاعر :

وما تُنْسِنَا الأَيَّامُ لا نَنْسَ جُوعَنَا بدارِ بَنى بَدْرٍ وطُولِ التَّالِدِ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الاصل :

وصاحب صاحب عيرا يعيدا تراه بين الحربتين ... الخ

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أبيض طرف » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للبطن .

(٥) في كلتا النسخين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَمْنَا كَأَنَّا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا نَحْمُرُ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضًا عَنْ مُصَابِهِ
عَلَى مِثْلِ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضًا بِالتَّجَلُّدِ
وَقَالَ آخَرُ :

دَعَوْنِي فَإِنِّي قَدْ تَفَدَّيْتُ آفَافًا
وَقَالَ آخَرُ يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الْجَوْعُ دُخِلَهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجَهَا
قَالَ الْهَلَالِيُّ : أَنَّى رَجُلٌ أَبَاهُ رِيْرَةٌ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ صَائِمًا فَوَدَخَلْتُ بَيْتَ
أَبِي فَوَجَدْتُ طَعَامًا ، فَتَسَيَّيْتُ فَأَكَلْتُ . قَالَ : اللَّهُ أَطْعَمَكَ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ
بَيْتًا آخَرَ فَوَجَدْتُ أَهْلَهُ قَدْ حَلَبُوا لَفَحَتَهُمْ فَسَقَوْنِي ، فَتَسَيَّيْتُ فَتَسَرَّبَتْ . فَقَالَ :
يَا بُنَيَّ ، هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الصِّيَامَ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مَزْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتَ مُبْتَدِئًا إِحْكَامَ طَاهِبِهَا^(٣)
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفًّا مُلْقَ كَفِّهِ فِيهَا
فَأَحْبَسَ رَسُولُكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قَالَ مَطْرُوفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر « والنوح »
وما أنشأه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .

(٢) المزورة : مرقعة تعمل بغير لحم يصفونها للرضى .

(٣) في الاصل : « ظاهبا » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفْرِزْ نَكَمُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ “ .

وقال آخر :

وَأَحْمَرُ مُبَيَّضُ الزُّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءَ عَرُوسٍ مُشْرَبٍ بِخَلْقٍ
له في الحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَطَعْمُهُ (١)
وَأَبْكَانُ يَلْقَاهُ بَلَوْنٌ حَرِيقٍ
كَأَنَّ بَيَاضَ اللَّوْزِ (٢) فِي جَنَابَتِهِ
قال يونس : أَشَدُّ طَعَامٍ ضُرًّا مَا كَانَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ ، وَهُوَ اللَّبَأُ الَّذِي
لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عَامٍ وَإِنْ كَانَ مُزِيدًا .
حَكَمَى يُونُسَ : التَّنَافُيطُ (٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ (٤) ثُمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ
ثُمَّ يُؤْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجَذْبِ .
وقال الشاعر :

جَاوَزْتُ شَيْبَانَ فَأَحْلَوَى جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلْجَارِ
وَكُتِبَ أَبُو دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكُتِبَتْ تَفْضُلًا مِنْكَ تَمْتَدُّ مِنْ تَأْخِرِكَ
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِقُصُورِ يَدَيْكَ عَنْ رِيٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشَبِّهُكَ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَغِيفٌ وَسُكَّرٌ جَعْلُهُ كَأَمْنٍ حَرِيفٌ يَنْقُبُ اللِّسَانَ بِحِرَافَتِهِ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ إِذَا أَنْشَدَ : * أُرْوَى مِنْ يَوْمٍ لَكُمْ قَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطَبِيه » .

(٢) فِي (أ) : « اللَّوْنُ » بِالتَّوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكَمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَهْدُرُ قِرَاءَتُهَا . رَقْدُ
أُنْبَتَانَاهَا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنَاءِ بَعْدَ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْحُلْدُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

لو شَهِدْتُ قَاتِلَهُ لَقُلْتُ : كَلْبُ الْحَارِسِ يَقُومُ مَقَامِكَ . هَذِهِ قِصَّةٌ فِي حُضُورِ
مَا يَشْبُهَنِي ، فَأَتَمَّا مَا يَشْبُهِكَ فَتَعَذَّرَ كَمَا قِيلَ :

* وَمَطْلَبٌ مِثْلِي إِنْ أَرَدْتَ عَسِيرٌ ^(١) *

وقال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : مَا أَعَدَدْتُ فِي كِفَانَتِي مَهْمًا
غَيْرَكَ . فَقَالَ : لَا تُعِدَّنِي فِي كِفَانَتِكَ فَوَاللَّهِ لَوْ قُتِلْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا ، وَلَوْ جَلَسْتُ
فِيهَا لَخَرَقْتُهَا . وَلَنْ أَنْتَظِرَ بِي مَا يَشْبُهِكَ طَالَ الْإِنْتَظَارُ ، وَالْعَامَّةُ تَتَمَثَّلُ ^(٢) —
عَلَى خُسَاسَةٍ لَقِظُهَا — : « إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا تُزَوِّجَ أَبْنَتَكَ فَقَالَ بِمَهْرِهَا » . وَأُمْلَى
فِيكَ عَلَى الْأَحْوَالِ بَعِيدَ ، وَظَنِّي فِيكَ جَمِيلَ ، وَلَسْتُ أَخْشَى فِيمَا لِي عِنْدَكَ
الْقَوْتَ فَأُعْجِلْهُ ، * وَهَلْ يُلَقِّمُ الْكَلْبُ إِلَّا الْحَجَرَ * .

الْعَرَبُ يَقُولُ : لَيْثِمُ جَبَانٌ ^(٣) .

وقال أعرابي : لَا يَكُنْ بَطْنُ أَحَدِكُمْ عَلَيْهِ مَغْرَمًا ، لَيْسَ كِسْرُهُ بِالْمَغِيرَةِ
وَالْكُسِيرَةِ وَالْبُقَيْلَةِ وَالْعُلَيْسِكَةِ .

قال ابن الأعرابي : الْفَرَزْدَقُ ، الرَّغِيفُ الْوَاسِعُ .

قِيلَ لِأَبْنِ الْقُرَيْشِيِّ ^(٤) : تَكَلَّمْ . فَقَالَ : « لَا أَحِبُّ الْخُبْزَ إِلَّا يَابَسًا » . أَرَادَ
لَا أَحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْتِثَاءِ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ فِي تَفْسِيرِ بَيْتِ الْأَعَشَى فِي دِيوانِهِ :

(١) فِي (١) : « عَزِيزٌ » .

(٢) فِي (١) : يَقُولُ .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْأَصْلِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ لَهَا بَقِيَّةً سَقَطَتْ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ الْقُرَيْشِ » .

(١) [إذا مامُ جَلَسُوا بِالْقَشَى] فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدَى هُصْنُ

قال : شبهتهم بأنسال عاد ، وم ثمانية ذَوُ وأحلام وسُوْدُ : مالك — وهو سيّد الثمانية — وعَمَار ، وطُفَيْل (٢) ، وشَمِير ، وفرزعة (٣) ، وَحْمَة ، ونَيْض (٤) ، ودُفَيْف ؛ وهم الذين بَثَّ لِقَانُ بْنُ عَادٍ جاريةً بَعْسٍ من لَبَن ، فقال لها : إِيَّتِي الْحَيُّ فَأُدْفِعِيهِ إِلَى سَيِّدِهِمْ لَا تَسْأَلِي عَنْهُ . فَأَتَتْ الْجَارِيَةُ الْحَيَّ ، فرَأَتْهُمْ مُخْتَلِفِينَ بَيْنَ عَامِلٍ وَلَا عِبٍ ، وثمانية على رءوسهم الطَّيْرَ وَقَارَا ؛ ورَأَتْ جاريةً من الْحَيِّ ، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا قَالَ لِقَانُ ؛ قالت : هؤلاء سادةُ الْحَيِّ ، وسَاصِفٌ لَكَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فَأُدْفَعِي الْعَسَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ . وَأَمَّا هَذَا عَمَّارٌ ، أَخَاذُ وَدَّارٌ (٥) ، لَا تَتَّخِذُ لَهُ نَارَ ، لِلْمُعْشَبَاتِ عَقَّارِ (المُعْشَبَة : التي تَسْنُ عَلَى شَحْمٍ قَدِيمٍ) ، وَأَمَّا هَذَا فَحُمَمَة ، غَدَاؤُهُ كُلُّ يَوْمٍ نَاقَةٌ سَنِمَة (٦) وَبَقَرَةٌ شَحِمَة ، وشاةٌ (٧) كَدَمَة . وَأَمَّا هَذَا فَمَرْزَعَة (٨) ، إِذَا لَقِيَ جَائِعًا أَشْبَعَهُ ، وَإِذَا لَقِيَ قَرْنًا جَفَّجَهُ (٩) وَقَدْ خَابَ جَيْشٌ لَا يَفْزُو مَعَهُ . وَأَمَّا هَذَا فَطُفَيْلٌ ، غَضَبُهُ حِينَ يَفْضُبُ وَيُبَلِّ ، وَرِضَاهُ حِينَ يَرْضَى سَيْلٌ ، وَلَمْ تَحْمِلْ مِثْلَهُ عَلَى ظَهْرِهَا إِبِلٌ وَلَا خَيْلٌ . وَأَمَّا هَذَا فَشَمِيرٌ ،

(١) لم يرد هذا الشعر الذي بين سريين في الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعنين المطبوع في أوروبا . وفي الأصل : « وأند » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وحضم بضمتين : جمع حضم ، وهو الجواد المتلاف .

(٢) في الأصل : « ونمیل » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلا الوضعين اللذين تحت هذا الرقم في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد من نصّ على تصحيحه بالمبارة .

(٤) كذا ورد هذا الاسم في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هنا وفي صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نصّ على تصحيحه فيها راجعاً من اللذان .

(٥) ودَّره : أهلكه .

(٦) في الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .

(٧) في الأصل : « وسماه » ؛ وهو تحريف . والهاء الكدمة : الغليظة السبينة

(٨) جمجمه : مخرو .

ليس في أهله بالشحيح القتر ، ولا المشرّف البطر ، ولا يحدّح الحمى إذا أوْثُر^(١) .
 وأما هسدا فدقيف ، قارى الضيف ، ومُعْمِدُ السيف ، ومُعِيلُ^(٢) الشتاء
 والصيف ؛ وأما هذا فنثّض ، أسدّت العوى فريض ، فقدّل مرّضه عندهم
 إسنانتهم (أى فحطّهم) ، ققاموا^(٣) عليه فأوسّعهم دقيقا ولحما غريضا ، ومِسْكا
 رميضا^(٤) ، وكساهم ثيابا بيضا ؛ وأما هذا فاللك ، حاميتنا^(٥) إذا غزونا ،
 ومطيم ولدنا إذا شتونا^(٦) ، ودافع كل كريمة إذا عدت علينا . فدعمت
 العس إلى مالِك ، فكان سيّدهم .

بشّرت امرأة زوجها بأن أبنا منه قد اتفر^(٧) ، فقال : أتبشّريني بعدو
 الخبر ؟ اذهبي إلى أهلك .

قال الشاعر :

من يشتري منى أبا زين بكر بن نطاح بفلسين
 كأنما الآكل من خبره يقلع منه شحمة العين
 وأنشد عليهم من بنى دبير^(٨) :

يأبن الكرام حسبا ونائلا حقا أقول لا أقول باطلا

(١) أوْثُر : استشير .

(٢) يقال : أعال الرجل أهله ، إذا كفاهم ومانهم ، كمالهم .

(٣) قاموا عليه ، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه .

(٤) الرميض : الحاد ، يريد هنا حدة الرائحة . والذى في الأصل : « رفيضا
 ولعله محرف عما أبنا . أو لعله : « فضيضا ، أى متفتتا متكسرا .

(٥) حاميتنا الخ أى أنه يحمى بيوت الحمى من المفيرين إذا خرج الرجال للغزو .

(٦) في الأصل : « صنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) اتفر الغلام والفرد : ثبت ثفره .

(٨) في الأصل : « دينار » ؛ وهو تحريف .

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نَحَجَّ الحَمَائِلَ^(١)
 القَتِيعُ : القَشْرُ ، أى قَشَرُوا حَمَائِلَ سُيُوفِهِمْ فباعوها لشدة زَمَانِهِمْ .
 وأنشد :

سَلَا أُمَّ عَبَّادٍ إِذَا الرِّيحُ أَعْصَمَتْ وَجَلَّ أَطْرَافَ الرِّعَانِ قَتَايُهَا^(٢)
 وَجَعَتْ بَقَايَا الطَّرْقِ إِلَّا نَضِيَّةً^(٣) يَصُدُّ الْأَشَافِي^(٤) وَالتَّوَاسِي سَنَامُهَا
 وَضَمَّ إِلَى اللَّيْلِ مَنَزِلَ رُقُقَةٍ تَرَامَتْ بِهِمْ طَخِيَاهُ^(٥) دَاجٍ ظَلَامُهَا
 تَسْكَادُ الصَّبَا تَهْنِئُ مِنْ ثِيَابِهِمْ شَدِيداً بِأَرْيَاطِ الرِّجَالِ أَعْتَصَامُهَا
 لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي مُنِيدٌ وَمُتِلِفٌ وَمُطْعِمٌ أَيَّامٍ يُحِبُّ طَعَامُهَا
 وقال آخر :

إِنَّ بَنِي غَاضِرَةِ الْكِرَامَا إِنَّ يُقِيمِ الضَّيْفُ بِهِمْ أَغْوَامَا
 يَكُنْ قِرَاءَ اللَّحْمِ وَالسَّنَامَا أَوْ يُضْبِحِ الدَّهْرُ لَهُمْ غُلَامَا
 يَكُنْ ظَرْفًا وَجْهَهُ كُرَامَا

وقال سَمَاعَةُ بْنُ أَشُولَ :

رَأَتْ إِبِلًا لِأَبْنَى عُبَيْدٍ تَمْتَعَتْ مِنْ الْحَقِّ لَمْ تُورِكَ بِحَقِّ إِيَالِهَا^(٦)

(١) فى الأصل : « الحلائل » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرعان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) فى الأصل : « قصبة » بالفاء والصاد ، وهو تصعيف .

(٤) الأشافي : الثاقب ، واحدته لاشفى بكسر الهزة وسكون الدين والفاء الفتوحة .

وفى الأصل : « نصد السلاف » وهو تحريف . يقول : لأن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه

الأشافي ولا الواسي : جمع موسى .

(٥) الطخياء : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد فيه

واجماء من الكتب .

فَقَالَتْ أَلَا تَفْعُدُونَا لِقَائِكَ هَكَذَا فقلتُ أَتَبْتَ ضَيْفَانُهَا وَعِيَالُهَا
فَمَا حَلَبْتَ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَّنَى وَلَا قِيَلْتُ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالُهَا
وَأُنْشِدُ أَبَا الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخُلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَاضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍّ^(٢) الْمَنَاحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخِرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَقِعَ^(٣) الْمَطْبِيُّ مِنَ الرَّجَا لَمْ يَطْوِ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَقٌّ تَوَوَّبَ بِهِ قَلِيلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخِرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيًا إِلَيْكَ وَنَحْوُ^(٥) النَّاسِ لَا أَتَزَوَّدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أُطْلَبُ نَائِلًا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرَمَدُ

(١) الثلاثة بضم التاء . أى الثلاثة بفتحها ؟ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاتنين . وقبلت بضم الفاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره نساب هكذا ؟ ورواها بعضهم قبلت بفتح الفاف من القيل بمعنى الذين الذى يعرب وقت الفائلة (السان) (مادة ثلث)
(٢) خف المانح ، أى خفتها ، مصدر خفف ؛ يريد قللة المانح ، جمع منيعة ، وهى الناقة المنوحة بالانفعا بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالجيم ؟ وهو تحريف .
(٣) فى الأصل : « رنغ المطى من الرجا » ؟ وهو تحريف فى كلنا الكلمتين . ويريد توافى المطايا ونحاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف مدحوجة بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كريم متخرق فى المروف وأن ذا مزوده (أى صاحب زاده القيم عليه) لم يمتصف بدقيقه ولم ينجسه ، بل يبذله للرملين من الرفاق .
(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؟ ولم نقب عليه فيما راجعناه من الكتب .
(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؟ وهو تحريف فى كلنا الكلمتين

ويقال : أزواد^(١) الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود^(٢) ابن المطلب بن أسد بن عبد العزی ، ومُساوِر بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يؤتدوا ناراً كانوا يَكْفُونَهُمْ .

وقال الشاعر :

وبالبدوِ جود^(٣) لا يزال كأنه رُكَّامٌ بأطرافِ الإِكامِ يَمُورُ

وقال آخر :

والناسُ إن شَبِعَتْ بِطُونُهُمْ فَمَيرُهُمْ^(٤) من ذاك لا يَشْبَعُ

وقال آخر :

دُورٌ تُحاكي الجنانَ حُسناً لَكِنَّ سُكَّانَهَا خِساسُ

متى أَرَى الجُنْدَ ساكِفِها وفي دَهايزِها يَداسُ

وقال آخر :

لولا مخافةُ ضَعْفِي عن ذَوِي رَحْمِي وحالُ مُعْتَصِمٍ بي من ذَوِي عَدَمِ

وحاجةُ الأَخِ^(٥) تَبْدُو لي فَأُنْجِجُها لم أَتُنِّ في عملٍ كَفَى على قَلَمِي

وقال آخر :

وأَوْرُ ضَيْفِي حِينَ لا يُوجَدُ القِرَى بَقِيَّةُ وَتِي أَحْبَبُهُ وَأَرْقُدُ طَاوِيَا

(١) في الأصل : « ازداد الرَّاكِب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمعة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « فعزتهم في » ؛ وهو تحريف

(٥) في الأصل : « لاح » ؛ وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْنَرْتُ نَفْسِي لِإِذْلٍ وَجْهِهِ نَوَالًا وَإِنْ كَانَ النُّوَالُ حَيَاتِيَا
وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيبُ : الشَّدِيدُ
الْأَكْلِ . وَالْمَنْهُومُ : الذى تَمْتَلِي بِطْنُهُ وَلَا تَفْتَحِي نَفْسُهُ .

وأنشد ابن الأعرابي :

وَإِنْ قَرَى أَهْلَ النَّبَاجِ أَرَانِي وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فَهُوَ قَائِلُ
إِذَا صَدَّ مُمْغُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مُعْرِضٌ قِيَوْمٌ عَلَى أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ
وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ حَرَجَفٌ^(٣) وَدُبُورُ
وقال آخر :

أَلَقْتُ قَوَائِمَهَا خَسًا^(٤) وَرَرَنْتُ طَرَبًا كَمَا يَرْتَمُ السَّكْرَانُ
يَعْنِي قِدْرًا . وَقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَثْنَى . وَخَسًا : فَرَدَ .
وأنشد :

بِئْسَ غِذَاءُ الْعَرْبِ الْمَرْمُوعِ^(٥) حَوَابَةٌ تُنْقِضُ بِالضَّلُوعِ
الرَّمَاعُ^(٦) : دَالُ . وَحَوَابَةٌ : دَلُوءٌ كَثِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْخَوْبُ : الْأَثَمُ

(١) المغمور : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل .

(٢) فى الأصل : * عينك * ؛ وهو تحريف .

(٣) الحرجف : الربح الشديدة ، وكنى بالحرجف والدبور عن الجذب ، وفى الأصل

« وقد شملهم جرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « قرأناها حسا » وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصحيح عن كتب اللغة .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع * خوانه الخ البيت » ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرفاع وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف فى جميع هذه الألفاظ

وقد ذكر القنويون أن الرماع داء فى البطن يصفر منه الوجه . وتُنْقِضُ الضَّلُوعُ ، أى تسمع للضلوع نقيضا ، أى صوتا من ثقل تلك الدلو .

والحيبة : الحال . والحواء : النفس ^(١) .

القرب تقول : ماء لا تين ^(٢) معه ولا غيره . خبز قفار : لا أدم معه .
وسويق جاف هو الذي لم يلبث يستمن ولا زيت . وحفظل مبسل ، وهو أن
يؤكل وحده .

قال الراجز :

بأس العلام الحفظل المبسل يجمع منه كبدى وأكسل ^(٣)
ويينجع أيضا .

وقال أبو الجراح : المبسل يحرق الكبد . والمبكل ^(٤) : أن يؤكل
بتعير ^(٥) أو غيره يقال بكلوه ^(٦) لنا ، أى اخلطوه . قال : وعندنا طعام يقال
له : الخولع وهو أن يؤخذ الحفظل فينقع مرات حتى تخرج مرارته ،
ثم يخلط معه تمر ودقيق فيكون طعاما طيبا .

وقال : الخليطة والنخيسة والقليبية : أن يخلب لبن الضأن على لبن
المعزى ، والمعزى على لبن الضأن أو حلب النوق على لبن القم .
قال :

* اسقنى ^(٧) وأبرد غليلي *

(١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت
إنما هي من مادة « حأب » والحوب القى ذكره من مادة (حوب) .

(٢) يريد بالتين ما يجم أنواع الطف .

(٣) في الأصل : « وأبسل » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالذال مكان الباء ؛ وهو
بف صوابه ما أمبنا نقلا عن كتب اللغة . يقال : بكه : إذا خلطه .

(٥) في الأصل : « ممرا وغيره » ؛ وهو تحريف .

(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجد في راجعناه من الكتب .

مَلِي الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفِيلُ الْقِرَاسِ : كَمْ أَثْنَيْنِ فِي أَثْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَرْغِفَةٍ .

وقيل له : حُسِكِي أَنَّ الْقَرْبَ تقول : نَحْنُ الْقَرْبَ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،
فقال : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وقال العُمَانِيُّ :

مِنْ كُلِّ جِلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرَّمًا جَعَدٍ يُرَى مِنْهُ التَّصَنُّعُ رِيًّا ^(٢)
لَمْ يَتَجَسَّأْ مِنْ طَعَامٍ بَشِمًا ^(٣)
وَلَمْ يَبْتَ مِنْ قَتَرَةٍ مُوصِمًا ^(٤) يَفْمِزُ صُدُغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظُمَا
إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَحْرِمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَخْشَ الظَّمَا
يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَكْمَا

(١) فِي الْأَصْلِ حَلَفَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَقَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ مُصَرَّمًا ، إِمَّا أَنْ يَفْسَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُنْتَعِلًا ، مَا خَرِذَ مِنَ الصَّرْمِ بِكسْرِ الْعَادِ وَهُوَ الْخَفِ الَّذِي لَهُ نَعْلٌ . وَإِمَّا أَنْ يَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مَا خُوِذَ مِنَ الصَّرْمَةِ بِكسْرِ الْعَادِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنْ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي عَدِّهَا .

(٢) رِيًّا ، أَيْ يَتَصَنَّعُ رِيًّا يَنَالُ بَيْتَهُ . وَفِي الْأَصْلِ رِيًّا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْقِي وَضَعْنَا فِيهِ هَذِهِ النِّقْطَ شَطْرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ مَهْدِلٌ أَكْثَرُ حُرُوفِهِ مِنَ النِّقْطِ وَمَطْمُوسٌ بَعْضُهَا ، وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ ، كَمَا أَنَّنَا لَمْ نَعْتَرِ عَلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي الْمُبَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَهِيَ هِيَ هَذَا الشَّطْرُ كَمَا فِي الْأَصْلِ :

❖ وَلَمْ يَرْحَنَّا غَرَانَا أَدَمَا ❖

(٤) يُقَالُ يَقَالُ وَصَمْتُهُ الْحَتَّى بِتَشْدِيدِ الْعَادِ إِذَا جَمَلَتْ فِي جِسَدِهِ قَتَرَةٌ . وَيُقَالُ وَصَمْتُهُ التَّمَبُ إِذَا فَتَرَ جِسْمَهُ وَأَكَلَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « قَتَرَةٌ » بِالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ : إِذَا أَجَاعَ قِبْطَةٌ تَخْدَمَا . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ . وَسِيَاقُ الشَّعْرِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٦) الْقَارِصَةُ : الطَّائِفَةُ مِنَ الْبَنِّ الْحَامِضِ الَّتِي يَحْمِزُ الْإِنْسَانُ بِمِرَافِقَتِهِ .

وَحَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُعِيْمَا أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
لَا يَغْفِرُ الشَّارِفَ إِلَّا تُحْرِمَا^(٢) وَلَا يَمَافُ^(٣) بَصَلًا وَسَلَاجِمَا
يَوْمًا وَلَمْ يَغْفَرْ لِبَطْنِيخٍ فَمَا نَهَوَ صَحِيحٌ لَا يَخَافُ سَقَمًا
أَسْوَدُ كَالْمِحْرَاثِ^(٤) يُدْعَى شَجْعَمًا^(٥) صَمَحَمَحُ^(٦) مِنْ طُولٍ مَا تَأْتَمَا
لَمْ يَبَلْ^(٧) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْعَمَى وَلَمْ يَحْجُجْ الْمَسْجِدَ الْمَكْرَمَا
وَلَمْ يَرْزُ حَطِيمَتَهُ وَزَمَزَمَا وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّفْهَمَا
لَوْ لَمْ يَرْبْ^(٨) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا مَا عَبَدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَمَمَا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرَّجَالِ مَغْنَمًا إِلَّا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا
وَهَزَّ فِي السَّكَبِ وَأَبْدَى النِّعْمَا هِرَاوَتَيْنِ^(٩) نَبْعَةً وَسَلَمَا
يَتَرَكُ^(١٠) مَا رَامَ رُفَانًا رَمَا وَإِنْ رَأَى إِهْرَةً^(١١) تَرَعَمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَرَعَمَا وَإِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنْهَمَمَا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدَرَقَمَا وَأَنْ يَدُقَ طِينَتَهُ الْمُخْتَمَمَا

(١) وحلة منه أى من اللين ، واحدة الحل ، معروف ، أى الطائفة منه . والحل قد يكون من اللين كما فى كتب اللغة .

(٢) فى الأصل : لا يعرف الشاداف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسباق الشعر يقتضى ما أثبتناه . والشارف : المسنة من الإبل ، أى لا يعرف الناقة إلا فى الحج حين يجب عليه عقرها .

(٣) فى الأصل : « ولا يأف » ؛ وهو تحريف .

(٤) المحراث : حديدة تحرك بها النار .

(٥) التجمع من الحيات : الشديد الفليظ . وفى الأصل : سجعما بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٦) الصممعج : الشديد المتجمع الألواح .

(٧) فى الأصل : « يلك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « يرث » بإثاء التثنية ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصل : « إهاؤه يبعثه » وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) فى الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .

(١١) الإهرة : الضيف الرأى الذى يوافق كلا على ما يريد ولا رأى له

صَمَمَ ماضٍ إذا ما صَمَمَا إذا أَعْتَرَتْهُ عِزَّةٌ^(١) ثُمَّ أُنْتَمَى
 فِي تَرْوَةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَمَا ظَلَّ يَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَّمًا^(٢)
 أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَالْأَ يَظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُذَكَّرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكُلُ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْفَيْشَلِ^(٣)

وقال آخر :

بِلَادٌ كَانَتْ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا

بَدَخَلِ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُطْعِمُ الْكَرِيَّ^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًا

مُخْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نِيًا

وقال الأصمعي : قال الهيثم بن جرّاد — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « عزي » مكان « ندى » وحرير مكان خزير ؛ وهو تحريف كما ترى والتصحيح عن النقائص ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفاراً ويلقى في الماء فإذا أُميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الجندب مثل بضرب للأصم يشتد حتى يقلق صاحبه . والأصل فيه أن الجندب إذا مرض في شدة الحر لم يقر في الأرض وطار فتسمع لرجليه صريراً . والجندب طائر أصفر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكريت إنساناً بعيرك أو أكرأك بعيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والمجرر : القول بلفظ أهل العراق ؛ أو هو نبت . والقي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كرية » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه الكلمة على عدة وجوه .

مَلَاةٍ فَتَقْصِصْكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ آلُ رَيْفٍ فَنَأْكُلُونَ. فقيل: لوزِدْتَ؟ فقال: ما بَعْدَ هذا شيء.

قال: وما أشبه هذا الجواب بقَوْل عقيل بن عُلْفَةَ^(١) حين قيل له: لم لا تطيلُ الهجاء؟ قال: يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ.

وقيل لابن^(٢) عَمْرٍ: لودَعَوْتَ الله بدَعَوَات؟ فقال: اللهم عَافِنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا. فقيل له: لوزِدْتَنَا؟ فقال: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ.

قال شاعر:

إِذَا أَغْلَقَ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْقَرْيِ فليس على باب الفَرَزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أُغْبِرَ مِنْ بَرْدِ الشَّتَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال: وكلَّ اللحمِ وخُبْرٍ أَنْضِجَ دَفِينًا فهو مَلِيلٌ؛ وما كان في تَنَوُّرٍ فهو
شِوَاءٌ؛ وما كان في قَدَرٍ فهو حَمِيلٌ^(٣).

قال الأحنفُ لعمرو بن الخطاب: إني إخواننا من أهل الكوفة والشام
تَرَأُونَا فِي مُقَلَّةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مُتَفَجِّرَةٍ، وَثِمَارٍ مُتَدَايَةٍ، وَتَرَأُونَا

(١) كذا في ب والذى في (أ): «ابن علفمة».

(٢) في ب «لأبي عمرو».

(٣) كذا في الأصل؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والذي وجدناه بالمعنى المذكور «قدِير» أي مطبوخ في القدر؛ ولعل قوله جميل بالحاء المهملة مصحف عن جميل اللحم؛ وهو أشحم المذاب، فيكون هنا كلام سقط من الناسخ قبل هذه الكلمة المصحفة التي نحن بصدددها.

(٤) مقلة الجمل وحولاء الناقة يتمثل بهما في الحصب والنخلة، فيقال: هم في مثل حدقة البعير، وذلك أن حدقة البعير أخصب ما فيه، لأن بها يعرفون مقدار سنه، وفيها يبق آخر النقي، وهو مخ العظم. ويقال صاروا في حولاء الناقة إذا صاروا في خصب؛ وإذا وصفت الأرض قبل كأنها حولاء الناقة، لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة. والحولاء: الماء الذي يخرج على رأس الولد إذا ولد، وليس في الكلام فعلاء بالكسر ممدودا إلا حولاء =

بَسِيخَةٍ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِينَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلْقُومٍ^(٢) النَّعَامَةُ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، بِمَا
أَنْ تَشُقَّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِمَا أَنْ تَرْفَعَنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ الْقَنَمِ ، وَالْفُقَرَاءَ
بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتِ يُمْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْدَى ،
أَوْ عَزَبٍ يَتَزَوَّجُ ، أَوْ حَمَلٍ حَمَالَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارِبُكَ ؟ قَالَ : أَبِيعُ الْإِبِلَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ
أَنْ أَفَوَّاهَهَا حَرْبَ^(٣) ، وَجَلُودَهَا جَرْبَ ، وَبَعْرَهَا حَطَبَ ، وَنَأْ كُلُّ الذَّهَبِ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبَعَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبَرَّازِينَ لِلْجَمَالِ
وَالدَّعَةِ ، وَالْحَمِيرُ لِلْحَوَاجِ ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وَقَالَ آخَرُ :

يَقْذِفْنَ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْفَلَاصِمِ^(٤) قَذَفَ الْجَلَامِيدُ بَكَفِّ الرَّاحِمِ
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُقُوقَ .

== وَعَنْبَاءٌ وَسِيرَاءٌ . وَقِيلَ : الْحَوْلَاءُ غُلَافٌ أَخْضَرٌ كَأَنَّهُ دَلْوٌ عَظِيمَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً وَتَتَفَقَّأُ حِينَ تَقَعُ
عَلَى الْأَرْضِ وَهِيَ قَائِدُ السَّلَى أَيْ يُخْرِجُ قَبْلَهُ ؟ وَيُقَالُ أَيْضًا مِمَّنْ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى . انْظُرْ
مَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ الْمُحِبِّيُّ وَلِسَانُ الْعَرَبِ .

(١) نَشَاشَةٌ ، أَيْ نَزَازَةٌ بِالْمَاءِ لَا يَجِفُّ ثَرَاهَا ، وَلَا يَنْبِتُ مَرْعَاهَا .

(٢) حَلْقُومُ النَّعَامَةِ وَمَرَىءُ الْحَمَلِ : مِثْلَانِ فِي قَلَّةٍ مَا يَأْتِيهِمَا مِنَ الْمَاءِ وَضِيقِ مَسَابِلِهِ إِلَيْهِمَا .

(٣) حَرْبٌ ، أَيْ ذَاتُ حَرْبٍ ، وَهِيَ وَالْكَلْبُ وَاحِدٌ وَزَنَا وَمَعْنَى ؟ وَجَلُودَهَا جَرْبٌ ،

أَيْ ذَاتُ جَرْبٍ .

(٤) الْفَلَاصِمُ : جَمْعُ غُلَاصَةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ الْحَلْقُومِ . يُرِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْإِبِلَ تَقْذِفُ الطَّعَامَ

فِي حَلْوَقِهَا وَأَعْنَاقِهَا قَذْفَ الْحَبَّارَةِ . يَصْنَعُهَا بِقُوَّةِ الْقَذْفِ قَذْفَ الطَّعَامِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ :

« يَهْدِمُنْ » « مَكَانٌ » « يَقْذِفُنْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال آخر :

نَقَارُ إِذَا مَا الرُّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى وَنَقَرَى عَبِيْطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءُ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَسْكَرِمُ لَانَقُ^(٢) مُصْرَمَةٌ تَرعى الْقَلَاةَ وَلَا قَمْبُ مِنَ الْآبِنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ الْمَسْكَرِمُ لَأَقَمْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْمُلُغَاءِ التَّجَارِ فَقَالَ : لَا يَوْجِدُ الْأَدَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَمُدَبَّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعَدُّهُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَقِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلِفًا ، وَدَنَاءَةً مَعْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَعْدُومَةً ، وَإِلْغَاءَ الْإِفْيَافِ^(٤) ، وَجُجَازِبَةً عَلَى الطَّفِيفِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَاجَعَةً^(٦) وَخَبَرَ بِالْإِيمَانِ ، قَوَّى الْأَيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت ندى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، ولواء الجامس : الجامد . يقول إنهم يفارون على النساء إذا اشتد الفزع وكشف الرعب عن سيقانهن فأبدى من خلاخيلهن فهم إذ ذاك يجمونهن ويكفينهن ما يفزعهن ؟ ثم يقول في الشطر الثاني إنهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يقرن أضيافهم عبيط اللحم ؟ وفي رواية سديف ؟ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يفار إذا ما الزرع أبدى عن الثرى . ويقرى الخ وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؟ والتصويب عن ديوان ذى الرمة وغيره .

(٢) الثاني : جمع نافذة . وفي (١) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب » بالباء ؟ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي المسنة من الإبل — لا تكون مصرمة . أى بالغة صرمة ؟ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القمب : القدح الضخم . (٤) الإفيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من المتاع .

(٦) يريد بالمراجة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه الساعة كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .

الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِيَأْخُذَ بُرْجُحَانٍ أَوْ يُعْطَى بُنْقَاصٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوْقِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِنَقْدٍ وَيُعْطِيكَ بَغِيرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمِبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَّكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَبَكَ ، وَإِنْ صَدَقْتَهُ زَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةً عَلَى الْمُعَامِلِينَ ، وَصَاحِبُ سَمَتِهِمْ نِقْمَةً عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاطَاوَا الْمُنْكَرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَاقَرَا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَصْلَحَ الْبَضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسَرُّ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزَقُهَا ^(٣) لِسِلْعَةٍ يَنْفَقُهَا ، وَغِيلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَحْمِيهِ الْإِسْلَامُ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حَيَاتَهُ وَغِيلَتَهُ غَدَا قَادِرًا عَلَى حَرْدِهِ ، فَفَرَّ وَضَرَّ ، وَآبَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَغْتَبِطًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ [وَانْتَهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعُدُّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حِذْقًا بِالتَّكْسِبِ وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتَ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنَى الْقَائِمَةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةُ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكِتَابِ وَالتُّغَاةِ ^(١) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ حَالَ الزَّمَانُ إِلَى آخِرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّفْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنَ الزَّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ، وَأَعْتَزُّ الْقُدُوطَ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به واتكالا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو تحريف . (٢) الوضائع : الحاسائر .

(٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المعنى إلا أنه لا يستقيم به السجع . (٤) التُّغَاة : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد تَغَاة .

فقال ابن زُرَّعة وكان حاضراً : هذا لأنَّ الزمان من قبيل كان ذا لبّوس من الذين رافع ، وذات يدٍ من السّياسة بسيطة ، فأخلاق الأبوس [وبلى ، بل تدرى] وفنّى ، وضعت اليد بل شلت وقطعت ، ولا سبيل إلى سياسة دينية لأسباب لا تنفق إلاّ بهل فلسكية ، وأمور سماوية ، حينئذ يكون انقياد الأمور الجانحة^(١) لها ، في مُقابلة حِران الأمور الجانحة^(٢) عنها ، وذلك مُنتظر في وقته ، وتدعى ذلك قبل إبانهِ وسواسُ النَّفس ، وخورُ الطّباع ، والناس أهدافٌ لأغراض الزمان ومُقبلون بحوادث الدهور^(٣) ، ولا فكّك لهم من المكاره ، ولا اعتلاق لهم بالحجاب [إلاّ] بالدواعي والموارف التي لا سبيل لهم إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، واختيارهم للتوجه إلى محبوبهم أو الإغراض عن مكروهم ضعيفٌ طفيف ، ولولا ذلك لكانت الحسرات نزول في وقتٍ ما يراد^(٤) ، والفتنة تملك^(٥) بإدراك ما يتمنى ، وهذا شأونٌ محكومٌ به بقوة النَّفس ، غيرُ مُستيقظٍ إليه^(٥) بقوة الحس .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليّ في هذا الوصف ، « وإنَّ نَفْكَ^(٦) ليدلُّ على أكثر من ذلك » ، ولو كان البالُ ظافراً بنعمة ، والصّدْرُ فارغاً من كُرْبَةٍ ، لسكنا نبلُغ من هذا الحديث مبلغاً نشفي به غليلنا [قائلين] ونشفي به مُستعيعين ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في ب والتي في (أ) « في فوت الإرادة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسختين « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين في ب والتي في (أ) « وأن تقبله

كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولكنني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ مِنْ غير كاف التشبيه ، والله ما أمالكَ تصرُّفي ولا فِكْري في أمرِي ، أرى واحداً في قتلِ حَبِلٍ^(١) ، وآخر في حفرِ بئرٍ ، وآخر في نصبِ فَنعٍ ، وآخر في دَسِّ حيلةٍ ، وآخر في تقبيحِ حَسَنٍ ، وآخر في شَحْذِ حَدِيدٍ ، وآخر في تَمْزِيقِ عِرْضٍ ، وآخر في أخْلاقِ كَذِبٍ ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَسِمٍ ، وآخر في حَلِّ عَقْدٍ ، وآخر في نَفْثِ سِجَرٍ ، وناري مع صاحبي رَمَادٍ ، وريحه على عاصِفةٍ ، ونَسِيمي بيني وبينه سَمومٌ ، ونَصِيبِي منه هُمومٌ [وغموم] ، وإني أحدثكم بشيء تعلمون [به] صِدْقِي في شَكْوَايَ ، وتَقِفون منه على تَفْشِيخي^(٢) تَحْتَ بَلْوَايَ ، ولولا أنني أظنُّ بالحدِيثِ لَهَيَّا قد تَفَرَّطَ صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وأَحْشَى فَوَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَحَدَّثْتُ بِهِ ، ولو أَسْتَطَعْتُ طَيِّهَ لَمَا نَبَذْتُ بِحَرْفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتَابِي لِلْحَدِيثِ أَنْقَبُ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنْ أَلَعْتَلَةِ سُورِ الْقَصْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامِ فَوْصَلَتِ^(٣) إِلَى الْجُلُوسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْعَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْعَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلْ ، وَفِي تَذَكُّرِي^(٤) أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرَضُهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ^(٥) بِكَذَا وَكَذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمْسُ هَذَا كَلَّهٌ ، وَأَصْنَعُ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ اعْتِرَاضٌ ؛ فَانْقَلِبْتُ عَنِ الْجُلُوسِ إِلَى زَاوِيَةِ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّرَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقِي ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كِدْتُ أَنْتَضِعَ

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مهملة بعض حروفها من النقط تتعذر قراءتها .

(٢) في كلتا النسختين « تفشحي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « دخلت » . (٤) في (أ) « وفي فكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أي يؤمر به .

فَدَنَا مِنِّي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
 بُرُوزَكَ بِالْخَلْعَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمِيمُونِ ، وَأَنْتَ فِي تَوَحُّحٍ وَتَدَمُّمٍ ؟؟ فَقُلْتُ :
 تَنَحَّ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أَطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
 عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
 يُبَاطِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَاطِرْنِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُه
 بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخِيلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنْ غَيْرِي يَقِفُ
 مَوْقِفِي ، فَيَقُولُ فِي قَوْلٍ مُزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَمْرًا مُؤَلَّفًا ، فَيُفْضِي ذَلِكَ
 أَيْضًا لَهُ كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَّقَ لِي ^(٢) هَذَا
 النَّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كِرَافَةً عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
 أَوْ كَمَنْ يَنْفُخُ فِي غَيْرِ نَفْثٍ ، أَوْ يَلْبَسُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلَ حَيْثُ قَالَ :
 وَإِنْ أَمْرًا دُنْيَاؤُهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمْسْتَمْسِكْ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ
 غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنَّا لِي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ :

اعْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) لِلْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
 وَقَوَّيْتُهُ ، وَنَسَجْتُهُ وَنَوَّقْتُهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « فَوَجَدْتُهُ » ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَافِي (٦) .

(٢) فِي (أ) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « فِي مَد » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنْاسِبُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ مَحْرُوفٌ
 عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا غَرَفِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (أ) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (أ) : « وَقَوَّيْتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيُلَاحِظُ أَنَّ (أ) وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ
 فِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السبيل ، ونكون قد أخذنا بطريق من السعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كنا نسلط عليه التمتي من الإرادة فتجمع بين علو المرتبة ، وشرف الرئاسة ، ونيل اللذة ، وإدراك السرور ، وأصطناع المعروف ، وكسب الفناء ، ونشر الذكر ، وبمد الصيت ، فعاد ذلك كله بالصد ، وحال إلى الخلاف ، ووقف على الفكر المضني ، والخوف المقلق ، واليأس الحى ، والرجاء الميت ؛ وما أحسن ما قال القائل :

أُظْمِنْتُ^(١) الدُّنْيَا فَلَمَّا جُمْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَى مَصَانِبِهَا

فقال له ابن زُرعة : إن الأمور كلها بيد الله ، ولا يستنجز الخير إلا منه ، ولا يستدفع الشر إلا به ، فسله جميل الصنع [وحسن النية] وأبونا الخير ، وبث الإحسان ، وكل أعداءك إلى ربك الذى إذا عرف صدقك وتوكلت عليه قلل حذمهم ، وعفر خذمهم ، وسبح الفرات إلى بحرهم حتى يطفئها ، وسأط الأربعة على أبدانهم حتى تقرضها ، وشغلهم بأنفسهم ، وخالف بين كلمتهم ، وصدع شمل جميعهم ، وردهم إليك صاعرين ضارعين ، وعرضهم عليك خاضعين ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإن الله مع المحسنين على المسبيين .

قال : والله لقد وجدت روحاً^(٢) كثيراً بما قالت لكم وما سمعت منكم ، وأرجو أن الله يعين المظلوم ويهين الظالم . قد تمطى الليل ، وتفوزت النجوم ، وحن البدن إلى الترفه ؛ فإذا شئتم . فأنصرفنا متمججين .

(١) فى (١) : « أظمتنى » . وفى (ب) : أظمتنى ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

والبيت للمتنبى .

(٢) الروح بفتح الراء والراحة كلاماً بمعنى واحد .

الليلة الثالثة والثلاثون

- (١) عُذْنَا إِلَى مَا كُتِبَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِحَةِ — وَكَانَ قَدْ أَسْتَرَّ أَدْنَى — فَسَكَنْتُ لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتِ وَرَأَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ مِمَّا يَكُونُ صِلَةً لِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، خَزَلْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

وَلِتَحْقَادِ الرَّاوِيَةِ : عَنْ فَتَاذَةَ قَالَ زِيَادُ لَعْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ يُحَدِّثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْنِهَا لِنَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصَبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ عَالِيَانُ : حَدَّثَنِي عُمَى قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [سَبْعٌ فِي الْجَاهِلِيَةِ] أَحَصَّتْ ^(١) كُلَّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرٍ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَسَكَنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْكُلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى دَنَوْتُ ^(٢) إِلَى حِوَاءِ ^(٣) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَيْتٌ جَحِيشٍ ^(٤) عَنِ الْحَيِّ ، فَبَاتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حُسَانَةٍ ^(٥) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قَالَتْ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ لَا آتُرُّنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلِهِ ، جُسُ هَذِهِ الْبُيُوتِ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَلُوكَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَخُذْهُ . فَفَقَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ ^(٦) إِلَيْهِ ، فَارْحَبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قَالَتْ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ [مِنْ] طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَحْلَكَت » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَمَسَ الشَّعْرَ وَنَحْوَهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَقَعَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَحِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ جَحِيشٌ الْمَحَلُّ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَخْتَلِطْ بِهِمْ . يَرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَانْفِزَالَهُ عَنْ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حُسَانَةٍ ، أَيْ طَوِيلَةُ حُسْنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : (دَفَعَتْ إِلَيْهِ) ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا

لا ، قال : فوالله ما وقرّ في أذني شيء ، كان أشدَّ عليّ منه . فقال : هل عندك من شراب ؟ قال : لا ، ثم تأوّه وقال : قد أبقينا في ضرع فلانة^(١) شيئا لطارق إن طرق ، قال : فأت به ، فأنى العطش فأبتعها ، فحدثني عمي أنه شهد فتح أصنهان وتستر ومهرجان^(٢) فذق وكور الأهواز وفارس ، وجاءه عند السلطان وكثر ماله وولده ، قال : فما سمعت شيئا قط كان ألدَّ إلي من شخب تلك الناقة في تلك العلبة ، حتى إذا ملأها ففاضت من جوانبها وأرتفعت عليها رغوّة كجُمّة^(٣) الشيوخ أقبل بها نخوي فعثر بعود أوحجر ، فسقطت العلبة من يده ، فحدثني أنه أصيب بأبيه وأمه [وولده] وأهل بيته ، فما أصيب بمصيبة أعظم عاياه من ذهاب العلبة ؛ فلما رآني^(٤) كذلك ربّ البيت خرج شاهرا سيفه ، فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظمها سناما ، على ظهرها مثل رأس الرجل الصعل^(٥) ، فكشف عن فوهته^(٦) ثم أوقد نارا ، وأجتب سنامها ، ودفع إلى مذبة وقال : يا عبد الله ، اضطل واجتمل^(٧) فجعلت أهوى بالبقعة إلى النار ، فإذا بلغت إناءها أكلتها ، ثم مسح ما في يدي من إهالتها على جلدي ، وكان قد قحل^(٨) على عظمي حتى كأنه شن^(٩) ، ثم شربت ماء وخرزت مغشيا علي ، فما أفقت إلى السحر .

(١) فلانة : كناية عن اسم بعض نياقه . وفي (١) : الغلابة ؛ وهو تحريف .

(٢) تستر : مدينة عظيمة بخوزستان . ومهرجان فذق : كورة ذات مدث وقرى قرب الصيمرة ، من نواحي الجبال . وغير هذين من البلاد المذكورة هنا معروف فلا مقتضى للتعريف به . (٣) الجمّة : مجتمع شعر الرأس ، وهي أكبر من الوفرة .

(٤) في (ب) : « فلما رأى ذلك » . (٥) الصعل : الدقيق الرأس .

(٦) فوهة الشيء : أعلاه ، يريد أعلى السنام . وفي الأصول ما يشبه في الرسم كاة عرقوبها ولا مقتضى لكشف عرقوب الناقة هنا . (٧) اجتمل الشحم : أذابه في النار .

(٨) قحل على عظمي ، أي يبس من وهج الحر وبمد عهده بالماء .

(٩) الشن : المزاودة اليابسة الحقة .

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَمَنْ
الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ عَامِرُ ^(٢) بَنُ الطَّغْيَلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ .

وَاسْتَعَاذَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامَ اللَّهِ عُلُوَّةَ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّمَعُّبِ ،
وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأُعْطُوا الْكَلَامَ .

تَفَدَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرَمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ : قَدَرُكُمْ
هَذِهِ قَدْ طَبِخَتْ بِشَطْرِنَجٍ ؟ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قِدْرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قَدْرُ أُمِّ قَهْرٍ ؟
وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَابَبَ الرَّابِعَةَ
فَسُقِيَ شَرِبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : | لَعَلَّ | مَرَقْتُمْكُمْ ^(٥) تَعْتَرِيهَا حُمَّى ^(٦) الرَّبْعِ .

قَالَ سَلَمَةُ : بَقِيَ أَبُو الْقَعْقَامِ بِبَعْدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِجَفْنَةٍ
فِيهَا جُودَابٌ ^(٧) فَجَعَلَ أَحْبَابُنَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بِسَمُودٍ فِيهِ يَرَابِيعُ فَسَلَّتْهَا فِي
الْجَفْنَةِ ، فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيمُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتِ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بِأَيْتَهُمَا أُبْدَأُ ؟
قَالَ : « بَادَأْتَهُمَا بَابًا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّغْيَلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ حَمَّامٍ بْنِ كَلَابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَبِيدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْعِظَامُ الَّتِي أَخَذَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ وَصْفَ مَا فِي الْقِدْرِ بِالْبَيْسِ وَالصَّلَابَةِ كِيَادِقِ الشَّطْرِنَجِ .

(٥) الْمَزْمَلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَاسِيَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقَبٌ فِيهِ قَصْبَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ أَوْ الرِّصَاصِ

يَسْرِبُ مِنْهَا .

(٦) حُمَّى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعُ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ

(٧) الْجُودَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ قَارِسِيٌّ

(٨) فِي ب « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُفْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ قُوَّتِهِ ، لِيُخْصِمَ عَلَيْهِ بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [به] على نفسه
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ صَرَّةٌ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْزَخَةٌ^(٢) يَرْخُهَا ثُمَّ يَنَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ مَسَلَةٌ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ^(٤) وَتَشَقَّةٌ^(٥) يَمْلَأُ مِنْهَا كَفَّةٌ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَةٌ

وقال أبو فرعون الشاشي يخاطب الحُجَّاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمَمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيقَا
وَأَطَعُوا ذَا الْكُفْلِكَ وَالسَّوِيقَا وَالْحُشْكَنَانَ^(٧) الْيَابِسَ الرَّقِيقَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ ويناسب هذا الشعر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ . والمِرْزَخَةُ : زوجة الرجل لأنه يَرْخُهَا ، أي يجامعها ؛ والفَخَّةُ : نومة القداة ، وقيل نومة الثعب . وفي الأصل : الفخخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والرطب ؛ وهي كالزنبيل . والملة : المرأة .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ ، والمهرشقة : خرقعة ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تنصر في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شاهداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشفة : خرقعة تنشف بها اليد .

(٦) السكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثانٍ جيد ؛ أي وهو في راحة ودع ،

(٧) الحشكان : الحنز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالسكوكيت . انظر المجمع الفارسي الانجليزي لاستاينجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِلَّةُ السَّكْفِ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صَلَّى الله عليه وسلم "الطاعم" (١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر .
قَبْلَ مَزِيدٍ (٢) جَارِيَةٌ بَخْرَاءَ ، فقال لها : أَطْنُكَ تَمْشِيَتْ بِكَرْشٍ ، أَوْ احْتَمَشْتِ
صَحْنًا (٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرْدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النِّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْشَوْنَ الْقُطَيْعَاءَ ضَيْفَهُمْ وَعِنْدَهُمُ الْبَرْنِيُّ فِي جُلَلٍ دُسْمٍ (٤)
وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسَكِيَّ (٥) مِنْ سَمَاحَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنِيَّ إِلَّا مِنْ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحِجَاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ الْخَبَزِ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ فَقُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخَبَزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ
يَعَصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلِ الْخَبَزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدَهُمَا ،

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المطموم .

(٢) فى كلنا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو تصحيف . ومزيد بالوحدة هو صاحب النوادر المعروف .

(٣) الصحن والصحناء . — ويمدان ويقصران — لإدام يتخذ من السمك الصغار ؛ مشة مصطلح للعدة .

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرني نوع جيد من التمر . والجللة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدم : الفلاط .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الحاشية السابقة واحد ؛ وفى المخصص « اللؤم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النقي لا تأكل أحدهما ، والتقدير في الإيجاب انتِ أيهما شئت ؛
فهذه خاصية أو . السويق : الجشيش ^(١) ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المِجَشَّة : رَحَى
صغيرةٌ يُجَشُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشُّبْرَمَ ^(٢) عند
أسماء بنت عميس فقال : ” حَارٌّ حَارٌّ “ ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا ^(٣) .

ويقال : أَكَلُ البَطِيخِ ^(٤) بَجَفَرَةٍ ، أى يَقَطَعُ ماء النكاح .

ويقال : فلانٌ عَظِيمُ المُجَرَّاشِ ^(٥) أى الوَسَط ، فرسٌ مُجَرَّشٌ ^(٥) الجنين
وَأَجْرَأَشْتِ ^(٥) الإبلُ ؛ إِذَا بَطِنَتْ ، وإِبلٌ مُجَرَّشَةٌ ^(٥) أى بَطَان ؛ ويقال :
كُثَاةٌ ^(٦) قَدِرْكُم ، وهى ما أُرْتَفَعَ منها عند الغلى .

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه ابن عباس قال : سمعته يقول : ” ليس
بمؤمنٍ مَنْ بَاتَ شَبْعَانِ [رَبَّانٍ] وَجَارُهُ جَائِعٌ طَاوٍ “ .

قال عُمر : مُذْمِنُ اللَّحْمِ كَمُذْمِنِ الْخَمْرِ .
وقال لَقِيَطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَهْلَ بَيْتِهِ يَوْمَ جَبَلَةٍ :

(١) في الأصل : « الحشيش » ؛ وهو تصحيف .

(٢) الشبرم : نبات له حب كالعدس ، وأوراقه تشبه الطرخون . وفي النهاية لابن الأثير
عن أم سلمة أنها شربت الشبرم الخ فقال إنه حارٌّ حارٌّ ، وفسر الثبرم بأنه حب كالحص يطبخ
ويشرب ماؤه للتداوى ، وقيل إنه نوع من الشيع أخرجه الرخغسرى عن أسماء بنت عميس .

(٣) السنا : نبات معروف في الأدوية ، له حمل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلا
الواحدة سناة ، وعرفه بعضهم بأنه نبات يشبه الحناء ، زهره إلى الزرقة وحبّه مفرطح إلى
الطول عريض الأوراق وأجوده المجازى ، ويعرف بسنامكة ؛ وقد يقال له السنالسكى ؛ ونوع
آخر ينبت ببلاد الروم ويقال له السنا الرومى .

(٤) في الأصل : « البطيخ » بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٥) وردت هذه الألفاظ التى تحت هذا الرقم في الأصل بالحاء والسين المهملتين ؛ وهو
تصحيف ؛ والتصويب عن كتب اللغة .

(٦) في الأصل : « كبة » بالباء الموحدة ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن كتب اللغة .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَّاسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْهَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدُبٍّ : لِمَ تَقَرُّ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عَيْنِيهِ ؟ فقال :
لَا تَلْعَنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْجَحِرُ فِيهَا فَلَا أَتَلْعَظُ إِلَّا بِالْهَوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَفْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَأُطْعِمَ لَحْمَهُ
الْمَسَاكِينَ سُمِّيَ مَتَمِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ أَبُو نُورَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَتَمِّمُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَتْنِي الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الْأَدْمَا
الْثُرُثُمَ ^(٣) مِنْ فَنَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ التَّرْتُمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ] ^(٤) الطَّعَامِ فِي

الْإِنَاءِ [، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نُزُلٍ ^(٥) . وَالْمَلِيحُ وَالْمَلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ : تَمَلَّحْتَ
الْجَارِيَةَ وَتَحَلَّحْتَ إِذَا سَمِمْتَ .

وقال أبو الطمجان القينى ^(٦) :

وإِنِّي لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطَتْ مِنْ جِلْدِي أَشَعَتْ أَغْبَرًا
هَكَذَا سَمِمْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَرَسٌ ^(٧) ، وَالْخَرَسُ ^(٨) : الدَّنُّ
بَعَيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : "إِنَّ آخِرَ الْخَرَسِ لِدُرْدِي" ^(٩) لِدُرْدِي أَي آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي .

(١) أفدح الرجل ، أى ضرب بالقداح في الميسر .

(٢) كذا ورد هذا البيت في اللسان ؛ والذي في الأصل : « سمي الأتافي » . مكان قوله :
متني الأيدى ؛ وهو تحريف . والأدم : بضمتين هو الأدم بفتحين الدال ، أى ما يؤتدم به .
يقول : لأنه يفوز بهذا اللحم فيطعمه للمساكين .

(٣) في الأصل : الترم ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن كتب اللغة .

(٤) لم ترد هذه العبارة في (١) المتقول عنها وحدها هذا الكلام ، غير أنها تكملة يقتضيهما
سياق الكلام أخذنا من كتب اللغة ؛ وواضح أن الكلام بدونها يكون ناقصاً .

(٥) ذو نزل ، أى ذو بركة .

(٦) في الأصل : « العتي » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في الأصل : « الحرش » ؛ وهو تصحيف في المواضع الثلاثة التي تحت هذا الرقم

وَأُنْشِدَ :

حَبَّذَا الصَّيْفُ حَبَّذَا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
زَمَنُ الظَّمْرِ وَالْمَاسُورِ وَالْجَشَدِ بِنِ^(١) وَوَزْدِ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
زَمَنُ كَانَتِ الْمَضَارِ^(٣) فِيهِ بِلُحُومِ الْجِدَاءِ وَالْحُمَلَانِ
وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْحَلِّ^(٤) وَالْأُورَى وَنَثَرِ السَّذَابِ وَالْأَنْجَذَانِ^(٥)
وَسِمَانٍ مِنَ الْفَرَارِيجِ تُغَلَى بِعَصِيرِ الْأَعْنَابِ وَالرُّمَاتِ
وَشَوَا الْوَزَّةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنِ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكْرِ الْمَذَى حَوْلَ فِي الثَّلْجِ فِي الزُّجَاجِ الْبَيَانِ
وَقِلَالٍ تُحَطُّ مِنْ بَكَرَاتِ مُرُويَاتٍ غَلَائِلَ الْقَطْشَانِ

(٢) وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأُنْشِدَ ابْنُ عُيَيْنَةَ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :
الْعِلْمُ يُجَالُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلَّى سَوَادُ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
وَقَالَ أَيْضاً :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(١) الْجَشَنُ : لَفْظٌ فَارْسِيٌّ مَعْنَاهُ مَجْتَمَعَاتُ النَّاسِ فِي الْأَعْيَادِ وَالْوَلَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، كَمَا فِي الْمَعْجَمِ الْفَارْسِيِّ الْأَنْجَلِيزِيِّ لِاسْتَاينْجَاس . وَلَمْ نَجِدْ لِلْمَاسُورِ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى السَّيَاقِ ، فَلَمَّا تَحْرِيفٌ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ : (وَمِنْ) مَكَانَ (زَمَنِ) ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « وَبَرْد » مَكَانَ (وَرْد) ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْ كَانَتِ الْمَضَارِ » ؟ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى . وَالْمَضَارِ : جَمْعُ مُضِيرَةٍ وَهِيَ لَحْمٌ يَطْبَخُ بِاللَّيْلِ الْمُضِيرِ ، أَيْ الْحَامِضِ ، وَقَدْ يَخْلُطُونَ بِهِ الْحَلِيبَ . أَمَّا كَيْفِيَّةُ عَمَلِهَا فَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الْأَطْعِمَةِ فَاَنْظُرْهَا .

(٤) الْأَنْجَذَانُ : نَاتٌ لَهُ أَصْلٌ أَغْلَظُ مِنَ الْإِصْبَعِ ، وَقُرُونٌ كَقُرُونِ الْوُبْيَاءِ ، فِيهَا حَبٌّ قَالِمَسٌ ؟ وَهُوَ فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ .

آخر:

الْعِلْمُ يُنْعِشُ أَقْوَامًا فَيَنْقَمُّهُمْ^(١) كَالْفَيْثِ يُذْرِكُ عِيدَانًا فَيُخْهِبَهَا
فقال الوزير: عندى فى صحيفة حفظ الصبا: العلمُ سراجٌ يُجَلِّى الظلمةَ ،
وضياءٌ يَكْشِفُ القمى .

التذللُ مكروهٌ إلّا فى استغاثته ، والجِرْصُ مذمومٌ إلّا فى طلبه ، والحسدُ
منهىٌ عنه إلّا عليه .

(٣) ثم عاد الحديث إلى المأدبة :

حدثنى مطهر بن أحمد الكاتب عن ابن قرة العطار قال : اجتمع ذات
يومٍ عندى على المائدة أبو على بن مُقْلَةَ وأبو عبد الله اليزيدى ، وكان ابن
مُقْلَةَ يُفَضِّلُ الهريسة ، وكان اليزيدى يُفَضِّلُ الجوزابة ، وكان كل واحد
منهما يصف النوع الذى يقول به ويؤثره ، فقال اليزيدى : الهريسة طعامُ
السُّوقِيِّينَ والسَّفَلَةِ ، وليست الجوزابة بهذه الصفة ؛ فقال لى ابنُ مُقْلَةَ : ما أسم
الجوزابة بالفارسية ؟ فقلتُ جَوَزَاب^(٢) ، فقال : ضَمُّ الكاف^(٣) . وفهمتُ
ما أَراد ، فقلتُ : نسألُ الله العافية ، والله لقد عافتها نفسى ، وسَكَتَ اليزيدى .
قال يزيد بن ربيع : السكبابُ طعامُ الصَّعَالِيكِ ، والماءُ والمِلْحُ طعامُ
الأعرابِ ، والهرائسُ والرَّهْهَسُ طعامُ السُّلَاطِينِ ، والشَّوَاءُ طعامُ الدُّعَارِ ،
والتَّحْلُ وَالزَّيْتُ طعامُ أمثالنا

(١) ينقمهم ، أى يروهم ، وفى الأصل « ينقمهم » بالفاء ؛ ولعل صوابه ما أنبتنا
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدها لما تقتضيه النكتة
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالتال أو الزاي كما فى معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذى
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالسكاف هذا السكاف الفارسية وهى تنطق جيا مصرية ويشير إلى لفظ جوز
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو يرمز من هذا الطعام بهذه النكتة .

وَحَدَّثَنِي أَبُو صَبْعَوْنَ الصُّوفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِيُّ ^(١) صَاحِبُ
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَتَّى نَتَعَدَّى ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطْجَنَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِ . قَالَتْ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، فَأَيُّ الْأَدَمِّ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُودَابِ
وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَضْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ،
وَيَجْلُو النَّاطِرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأُذْنَيْنِ ، وَيُحَمِّرُ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي
الْمَنِيِّ ، وَهُوَ طَعَامُ شَهْوَى ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ الْمَنْصُورَ وَصَفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّي مَا وَصَفَهُ وَلَا نَقْبَلُ أَكْلَهُ .

وَقَالَ وَرَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ : التَّمَتُّينِ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكَأَلِ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُبْزِ ، وَالسَّمِيدُ الْأَبْيَضُ أَخْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يُحِبُّ ^(٥) الْجُودَابَ ، فَبَاغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ [يَحْضُرُ] عِنْدَهُ
يَعِيبُ الْجُودَابَ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّفْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَكَأَمْتُ
عَلَيْهِ بِضَعْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْمِيمِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُودَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفُ مَا أَكَلِ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلُ الْمَدْخَلِ ،
لَذِيذُ الْمَطْعَمِ ، حَمِيدُ الْغِذَا ، قَلِيلُ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .

أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيَرَةٌ ، فَأَبْدَاهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالَّذِي فِي (أ) : « ابْنُ أَبِي عَمْرٍو الصَّرَافِي » .

(٢) الْمَصُوصُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْحَلِ ؛ وَبِكَوْنِ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كُفْرَابٌ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَجْعَلُ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْمَبْرَدِ الْمَصْفَى

مِنَ الدَّهْنِ . (٤) التَّمَتُّينِ : تَقْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

(٥) فِي (أ) : « يُؤْثِرُ » .

بالسلام ، وما مِنْ مَدْعُوٍّ إِلَّا وَلَهُ حِشْمَةٌ ، فابْدِءْهُ بِالْيَمِينِ ^(١) .

قال محمدان : قلتُ لجاريةٍ أَرَدْتُ شَرَاءَهَا — وكانت ناعمة البَدَنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةً بَضَّةً — : ما كان غِذَاؤُكَ عِنْدَ مَوْلَاكَ ؟ قالت المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأُرْزُ الرِّبَانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالفالوْدَجِ الرِّبَانِ مِنَ الْعَسَلِ ، والحَبِيبِصَّةِ الرِّبَانَةُ مِنَ الدَّهْنِ وَالسُّكَّرِ وَالزَّعْفَرَانِ . قلتُ : حَقٌّ لَكَ .

وقال ابن الجصاص الصوفي : دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ رَوْحِ الْأَهْوَازِيِّ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي صَحْفَةِ أُرْزٍ مَطْبُوعٍ ، فِيهَا نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، عَلَى حَافَتَيْهَا كُثْبَانٌ مِنَ السُّكَّرِ الْمَنْخُولِ ، فَدَمَعَتْ عَيْنِي . فقال : مَا لَكَ ؟ قلتُ أُبْكِي شَوْقًا إِلَيْهِ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ بِالْعَوَاصِ وَالرَّدَادَتَيْنِ . فقال لِي : مَا الْعَوَاصِ [وَالرَّدَادَتَانِ] ^(٣) ؟ قلتُ : الْعَوَاصِ الْإِهَامُ ، وَالرَّدَادَتَانِ : السَّيَابَةُ وَالْوُسْطَى . فقال : أَحْسَنَتْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رَجُلٌ لِي إِلَى عُمَرَ الْجَوْعِ فَقَالَ : أَكْذَاكَ وَأَنْتَ تَذِثُ نَفْسَ ^(٤) الْحُمَيْتِ ؟ أَيْ تَرَشِّحُ كَمَا يَرَشِّحُ الزَّقُّ .
وقال ابن سكرة :

أَطْمَعَنِي فِي خَرَوْفِكُمْ خَرَفِي فَجِثْتُ مُسْتَفْجِلًا وَلَمْ أَفِ
وَجِثْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَقَدْتُ فِي طَرَفِ السَّمَاءِ ^(٥) فِي طَرَفِ

(١) فِي (١) : « بِالْيَمِينِ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشَّطْبَةُ : الْجَارِيَةُ الْحَسَنَاءُ الْفَضِيَّةُ ؟ وَقِيلَ الطَّوِيلَةُ .

(٣) لَمْ تَرُدْ هَذِهِ السَّكْمَةَ فِي الْأَصْلِ ؟ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا أَخْذًا مِنَ الْجَوَابِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « تَمَّتْ مَت » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَا قَلَاعِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ

أَيْدِينَا ، وَنَصَبَهُ فِيهَا ؟ وَفِي حَدِيثٍ عَمْرٍ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : هَلَسْتَ . فَقَالَ لَهُ : أَهْلَسْتَ وَأَنْتَ تَذِثُ كَمَا تَذِثُ الْحُمَيْتُ ؟ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَالسَّمَاءُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ

وَحَدَّرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي
عَايِنْتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرْفٍ
مَاجِلٍ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيسَةً التَّلَفِ

ويقال : القانع غنيٌّ وأن جاعَ وعري ، والحريص فقير وإن ملكَ الدنيا .
قيل لابراهيم الخليل — عليه السلام — : بأي شيء اتَّخَذَكَ اللهُ خَلِيلًا ؟
قال : بأني ما خُيِّرْتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَرْتُ الَّذِي لِلَّهِ ، وما أَهْتَمَمْتُ لِمَا
تَسْكُفُلُ لِي بِهِ ، وما تَغْدِيْتُ وما تَعَشَيْتُ إِلَّا مَعَ ضَيْفٍ .

وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ فَقَالَ : أَنَشَدَنِي بَيْتِي ابْنُ غَسَّانَ الْبَصْرِيُّ فِي حَدِيثٍ
بِخْتِيَارٍ ، يَعْنِي عِزَّ الدَّوْلَةِ ، فَأَنَشَدَنِي :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَاِ سِتِّينَ لَيْلَةً يَدْبُرُ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَدْمَرَا
يَدْبُرُ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمًى وَأَوْسَطُهُ نُكْلًا وَآخِرُهُ خَرًا

فَقَالَ : مَا أَعْجَبَ الْأُمُورَ الَّتِي تَأْتِي بِهَا الدُّهُورُ ! عُذُّ إِلَى قِرَاءَتِكَ ،
فَعُدْتُ وَقَرَأْتُ .

رُويَ فِي الْحَدِيثِ : لَا تَأْكُلُوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِيهَا .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلَكُ الْعَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،
وَالْمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلَاغَةُ أَحَدُ السَّيْفَيْنِ ^(١) وَالنَّمْيُ أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أَرَادَ مُزِيدٌ أَضْحِيَّةً فَلَمْ يَجِدْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيُضَحِّيَ بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ دِيرَانَهُ
شَاةً شَاةً حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سَبْعُ شِيَاهٍ ، فَقَالَ : دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِرْحَاقِ
لأنه فُدِيَ بِكَبْشٍ وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : الشَّيْئَيْنِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؟ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَقْبَتْنَا

(٢) فِي الْأَصْلِ : « السُّلُوكِ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

السَّكَنُ : اللَّحْمُ ^(١) ، وَالْعَيْمَةُ ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
الْبَلَسِ " ، قِيلَ : هُوَ التَّيْنُ .

وقال أعرابي :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَيْخِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ
وَكُنْتُ مِنَ الْمُهْمومِ رَخِيَّ بِالِ فَحَلَّ مِنَ الْمُهْمومِ عَلَى نَفْلُ
فَقُلْتُ لَهُ : مَنَنْتَ بِسَيْرِ مَنْ وَمَالَكَ بِالَّذِي أَسْدَيْتَ فَضْلُ
أَعَزَّابَ الْقَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ
عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي خَالِ عَيْشٍ رَخِيَّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَدْلُ

قال إسحاق الموصلي : أَمَلَى بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّعَرَ إِلَّا فِي الْفَقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّعَرِ إِلَّا فِي الْفَقْهِ .

قيل لميسرة الرأس ^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَيْتَا جَعَةٍ
مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ : هَذَا أَكَلُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكُلُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأُحْدِثِي ^(٤)
إِلَى اللَّيْلِ فَنُشِلَ الْخَيْلُ .

تَتَأَكُلُ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيَحْكُ ، تَأْكُلُ
التَّحَّيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يَقَالُ : الطَّعْمَةُ : النِّكْسَبُ . وَيُقَالُ : جِئْتُ بِالطَّعْمَةِ . وَالطَّعْمُ : الطَّعَامُ :

(١) السكتل اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفى الأصل « السكل » بالباء ؛
وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة فى الأصل مضطربة الحروف تنعذر قراءتها ، وما أمثناه
عن كتب اللغة . (٣) فى (ب) : « التراس » .

(٤) فى كلتا النسختين : « وأجشأ » ؛ وهو تحريف .

والطَّعْمُ : الذَّوْقُ . وهذه الأرضُ طُعْمَةٌ لَكَ وطُعْمَةٌ .

قال اسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف السكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد السكاتب ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أجِدُ شيئاً مما أنتم فيه . قال اسحاق : فهان عليَّ وخَفَّ في عيني ، فقلت له كالمستهزئ به : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَصَدْتُ إلى أرقِّ شيء خَلَقَهُ اللهُ وَأَلَيَّنِيهِ عَلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ ، وَأَظْهَرَهُ لِلشُّرُورِ وَالْفَرَحِ ، وَأَنفَاهُ لِلْهَمِّ وَالْحُزْنِ ، وما ليس للجوارح منه مؤونةٌ غليظةٌ ، وإنما يَقْرَعُ السَّمْعَ وهو منه على مسافة ، فَتَطَرَّبُ له النفس ، فذمته ؟ ولكنه كان يقال : لَا يَجْتَمِعُ في رجل شهوةٌ كُلُّ لَذَّةٍ ، وبعد ، فإن شهوة كُلِّ رجلٍ على حذر تَرْكِيهِ ومزاجِهِ . قال : أَجَلْ ، أما أنا فالطعامُ الرقيقُ أعجَبُ إلى من الغناء . فقلت : إِي واللهِ والحلمُ البقر والجواميس والتموس الجبائية بالبادنجان المبرز أيضاً تُقَدِّمُهُ ؟ فقال : [الغناء ^(١)] مُخْتَلَفٌ فيه ، وقد كَرِهَهُ قوم . قلتُ فَاَلْمُخْتَلَفُ ^(٢) فيه أَطْلَقَهُ لَنَا حَتَّى تُجْمِعُوا على تحريمِهِ ، أعلمتَ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — أَنَّ الْأَوَائِلَ كانت تقول : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ [على] حَقِيقَتِهِ مات . فقال : اللَّهُمَّ لَا تُسْمِعْنَاهُ على الحقيقة إِذَا فَنَمُوت . فاستظرفته في هذه اللفظة ، وَقَدَّوْا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشَغِلَ عَنْ ذِمِّ الْغِنَاءِ .

قال سعيد بن أبي عروبة : نَزَلَ الْحَجَّاجُ في طريق مكة ، فقال الحاجبه : اُنْظُرْ أَعْرَابِيًّا يَتَغَدَّى مَعِيَ ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ ، فنظر الحاجب إلى أعْرَابِيٍّ بَيْنَ شَمْلَتَيْنِ ، فقال : أَجِبِ الْأَمِيرَ ، فَأَتَاهُ ، فقال له الْحَجَّاجُ : إِذْنٌ فَتَغَدَّ مَعِيَ . فقال : إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : اللَّهُ عَزَّ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أنبتنا .

وَجَلَّ دَعَانِي إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ ، قَالَ : أَنَى هَذَا الْيَوْمِ الْحَارَ ؟ قَالَ : نَعَمْ صُمَّمْتُهُ
لْيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ غَدًا . قَالَ : إِنْ ضَمَنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى
غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ
عَلَيْهِ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَّازَ . وَلَكِنَّ الْعَافِيَةَ
طَيِّبَتُهُ ، وَلَمْ يُفْطِرْ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

قال أعرابي : هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ ، مُحَسَّنَةٌ لِلْجَسَمِ .

قال أبو حاتم : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَيْفِيلَةَ الْحِمْيَارِيُّ^(١) : قَالَ
أَعْرَابِيٌّ : ضِفْتُ رَجُلًا فَأَتَانَا بِجُبَيْرٍ مِنْ بَرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِيرُ النَّفْرَانِ^(٢) ، وَأَتَانَا
بَشَمْرِ كَأَنَّكَ الْوِرْلَانِ^(٣) ، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ .

وقال آخر : ونظر إلى رجلٍ يأكل باليمين والشم واليد والرأس والرجل :
لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ أَمَا ذَكَرَهُ ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ :
يَلْعَبُ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْعَةٍ لِقَبِّ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قال ابن الأعرابي : كَانَ الْمُحَسَّنُ الضَّبِّيُّ^(٤) شَرَّهَا عَلَى الطَّعَامِ ، وَكَانَ
دَمِيمًا ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ : كَمْ عِيَالُكَ . قَالَ : تِسْعُ بَنَاتٍ . قَالَ : فَأَيْنَ هُنَّ
مَدَكَ . فَقَالَ : أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكِلُ مَنِّي ؛ فَضَحِكَ . وَقَالَ : جَازَ^(٥)
مَا سَأَلْتَ لَهْنًا . وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ] :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْجَرْمَارِيُّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) النَّفْرَانُ : جَمْعُ نَفَرٍ بِضَمِّ فَتْحٍ ، وَهُوَ فَرَخُ الْمَصْبُورِ أَوْ طَائِرٌ يَعْجَبُهُ .

(٣) الْوِرْلَانُ : جَمْعُ وِرْلٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ .

(٤) فِي (١) الْحَمَشِيُّ مَكَانُ « الْحَسَنِ » وَفِي ب « الْأَلْبِيِّ » مَكَانُ الضَّبِّيِّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) جَازَ مَا سَأَلْتَ ، أَيْ نَفَذَ أَمْرًا بِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : السَّرُورُ تَوْقِيعُ جَائِزٍ ، أَيْ نَافِذٌ

مَاضٍ ؛ وَفِي كَلَامِنَا الدَّخْتَيْنِ : « جَاءَ » .

إذا كنت مُرْتَادَ الرِّجَالِ لَنَفْعِهِمْ فَنَادِ^(١) زِيَادًا أَوْ أَحَا زِيَاد
يُجِبُّكَ أَمْرٌ وَيُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ إذا ضَنَّ بِالْمَعْرُوفِ كُلُّ جَوَادٍ
وقال سنان بن أبي حارثة :

نَمَّةٌ أَطْعِمَ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ الْمَحَلَّةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَارِي^(٢)
قَدْ يَقْلُمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرَمَلُوا الزَّادَ أَتَى مُنْفِدَ زَادِي
وقال السفاح بن بكر :

وَالْمَاءُ الشَّيْزِيُّ^(٣) لِأَضْيَانِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَانُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رَوَاهُ شِبَاعٌ

أُورِدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ الْمَاءِ أَنْ يُحْيِزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أُورِدْتَ فَشَرِطْ أَنْ تَقِفَ بَمِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِرْ^(٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَمَلٌ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيخٍ مِنْ جِلِّ مُلْهَوِّجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْصَجِ
حُسٌّ بِشَيْءٍ مِنْ ضِرَامِ الْقَرْفَجِ^(٥)
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلَّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شُرْبُ النَّبِيدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ^(٦) فِيهِ الشَّمَاءُ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فبادر » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .

(٣) الشيزى بكسر الشين وفتح الزاى خشب أسود تصنع منه القصاع . ويريد هنا
نفس القصاع ؛ وأعضاء الحوض ما شد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله :
« الشيزى » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجة : المانعة .

(٥) حش النار : أوقدها ، والمرفع ضرب من النبات سهلى سريع الانقاد وهو من شجر
الصيف وهو ابن أغبر إلى الحضرة له ثمرة خشناه كالחסك وزهره أصفر ولهبه شديد الحرارة .

(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وإذا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجٌ عَلَيْكَ رَكائبُ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ عَمِيَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأَحْذَرُ بِجَهْدِكَ أَنْ تُرَى كَجَنَابَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ
قال حمزة المصنف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسمان
الفارسي : أَنْ اتَّخَذَ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كطعامِ الوليمة ، وهى فارسية .

قال شيخنا أبو سعيد السيرافي : أخطأ هذا المتأول ، وإنما أراد النبي صلى
الله عليه وسلم : أَنْ سَلَّمَ أَنْ تَخْذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَصَّ^(١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جُمَيْفِرَانُ الْمُؤَسَّسُ فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءٌ عَصِيدَةٌ حَمْرَاءُ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءُ الْخُلُقِ^(٢)

تَرِلُّ عَنِ اللَّهَامَةِ تَمَرُّ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ فِي الْعُرُوقِ

قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءُ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ
وَعِشْقٌ بِلَا وَضَلٍ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ^(٣) ، وَلَحْصَةٌ بِلَا فَضْلٍ .

قيل لصوفي : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال آ كَلُّ حَتَّى يَقَعَ عَلَى السُّبُتِ فَأَنَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَاوَى أَطْرَافِي عَنِ الْأَرْضِ .

وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال . أَنْ أُدْخِلَ إِبْصَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « خَصَّ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ « تَجَلَّى » مَكَانُ « تَحْكِي » وَ « الْخُلُقُ » مَكَانُ « الْخُلُقِ » ؟ وَهُوَ
تَحْرِيفٌ . وَالْخُلُقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ قِوَامُهُ الزَّعْفَرَانُ .

(٣) النِّقْلُ : مَا يَنْتَقَلُ بِهِ عَلَى الطَّعَامِ .

قال يعقوب : أصبحتُ خالفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوف البطن تَفْيَرُهُ .
ويقال : مَعَسَنِي بَطْنِي ، وهو الْمَغْس ، ورجل مَمْعُوس .
ويقال : عَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَلَكَني .

والمائة تقول : كلُّ ما في القِدْرِ تُخْرِجُهُ المِغْرَفَةُ ، ورجل مُقْرَضِبٌ ^(٢)
وقَرَضِبٌ ^(٣) وقِرْضَابٌ ^(٤) إذا كان أكلًا ، وكذلك السَّيْفُ واللَّصُّ ، قال الشاعر :
وليس يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَا ضَى الْقَزَائِمِ
ومرَّ ابنُ عامرٍ على عامرٍ بنِ عبدِ القيسِ وهو يأكلُ بَقْلًا بِمِلْحٍ ، فقال :
لقد رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالْذُّنْيَا عَوْضًا
عن الآخِرَةِ .

قال عبد الملك بن مروان : لا تَسْتَأْكَنَّ إِلَّا عَرَضًا ، ولا تأكلَنَّ إِلَّا عَصًا
ولا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَصًّا ، ولا تركنْ إِلَّا نَصًّا ^(٥) ، ولا تَقْعِدَنَّ ^(٦) إِلَّا وَصًّا .
ويقال : ماله قَرَّاح ؛ وخُبْرٌ قَفَّار : لا أدمَ مَعَهُ ، وسَوِيقٌ جافٌ ولَبَنٌ
صَرِيحٌ : لم يَخَالِطْهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سلمة : شيطان لا تَسْمِعُ مِنْهُمَا بَيْعَدَادَ : السَّمَكُ والرُّطَبُ .

قال أعرابي : أَسَكْتُ « فِرْسِكَةً » ^(٧) وعلى خَوْخَةٌ ، فجاء غلام حَزَوْرٌ ^(٨)
فَنَظَرَ حُرَّتِي ^(٩) .

(١) في الأصل : « عَمَزَنِي » بالعَيْن والراء المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قَرْضِب وقَرْضِب ؟ وما أُبَيِّنَاهُ عن كتب اللغة .

(٣) النمس : الارتفاع . (٤) في الأصل « يَقْعِدَنَّ » مكان « يَقْعِدَنَّ » ؟ وهو

تحريف . وما أُبَيِّنَاهُ هو الملائم للوس ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل (الفرشلة) بالثين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح

والضبط عن المخصص . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديق » بالذال ؛ وهو تحريف .

الفريسة : الخَوْخَةُ المقدَّدة . والخَوْخَةُ : القميصُ الأخضرُ بطنُ بَقَرٍ .
والعُرَّةُ^(١) : الأذن .

قيل لحاتم الأصم : بِمَ رُزِقْتَ الْحِكْمَةَ ؟ قال : بِخَلَاوَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَابِدَةِ اللَّيْلِ .

وقال شقيق البلخي : الْعِبَادَةُ حِرْفَةٌ ، وَحَانُوتُهَا الْخَلْوَةُ ، وَآلَتُهَا الْجُوعُ .
قال لقمان : إِذَا أُمْتَلَأَتِ الْمِعْدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ، وَقَعَدَتِ
الأعضاءُ عن العبادة .

وقال عمر : لَوْلَا الْقِيَامَةُ أَشَارَ كُنَّا فِي إِبْنِ عَمِشِكُمْ .

وقال بعض العرب : أَقْلِلْ طَعَامَكَ تَحْمَدُ مَنَامَكَ .

قال يحيى بن مُعَاذٍ : السَّمْعُ يُكْفَى بِالسُّكْرِ .

وقال غيره . الْجُوعُ يُكْفَى بِالرَّحْمَةِ .

وقال أعرابي :

تَحَيَّرْتُ مِنِّي خَيْفَةً أَنْ أَضِيفَها كَمَا أُنْحَازَتِ الْأُنْمَى خِيفَةً ضَارِبِ
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فقال] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْغَايِرُ فَنُتَوَقَّعَ الْفَسَادُ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وقال الوزيرُ في بعض الليالي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْعَيْظِ لِمَا يَبْلُغُنِي

عن العامة من خَوْضِها في حديثنا ، وَذِكْرُها أُمُورَنَا ، وَتَثْبِيْها لَأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيْها
عن مَسْكُونِ أحوالنا^(٣) وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأَهْمُ فِي

(١) في الأصل : « الحدية » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) : « قاض » . (٣) في (ب) : « أخبارنا »

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأزجل وتنكيل شديد ، لعل ذلك يطرح
 الهيبة ويخسّم المادة ، ويقطع هذه العادة ، لحامهم الله ، ما لهم لا يقبلون على
 شؤونهم المهمة ، ومعاشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم يقبلون عما ليس
 لهم ، ويرجعون بما لا يجدي عليهم ، ولو حققوا ما يقولون ما كان لهم فيه عائدة
 ولا فائدة ؛ وإني لأعجب من لهجهم^(١) وشغفهم بهذا الخلق حتى كأنه من
 الفرائض المحتومة ، والوظائف الملزومة ؛ وقد تكرّر من الزجر ، وشاع الوعيد ،
 وفشا الإنكار بين الصغار والكبار ، ولقد تعانى على هذا الأمر وأغلق دؤني
 بابه ، وتكاثف على حجابي ، والله المستعان .

قلت : أيها الوزير ، عندى فى هذا^(٢) جوابان : أحدهما ما سمعت من شيخنا
 أبى سليمان ، وهو من تفوّق فى الفضل والحكمة والتجربة وعجبة هذه الدولة^(٣)
 والشفقة عليها من كل هبة ودبة ؛ والآخر مما سمعته من شيخ صوفى ، وفى
 الجوابين فائدتان عظيمتان ، ولكن الجملة خشنا ، وفيها بعض الغلظة ، والحق
 مرّ ، ومن توخى الحق احتمل مرارته .

قال : فأذكر الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يُنتفع بالدواء إلا
 بالصبر على بشاعته ، وصُدود الطّبع عن كراهته .

قلت : أما أبو سليمان فإنه قال فى هذه الأيام : ليس ينبغى لمن كان الله
 عنّ وجلّ جعله سائس الناس : عامّتهم وخاصّتهم ، وعالمهم وجاهلهم ، وضعيفهم
 وقويهم ، ورأجهم وشايلهم ، أن يضجر مما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم ،
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم ، وحلمه أفضل من حلمهم ،

(١) فى (ب) : « بحتمهم » . (٢) فى (ب) : « لهذا » .

(٣) فى (أ) : « هذه المقالة » ؟ وهو خطأ من الناسخ .

وصَبْرُهُ أَنَّهُمْ مِنْ صَبْرِهِمْ ؛ ومنها أَنَّهُمْ إِنَّمَا جُعِلُوا تَحْتَ قُدْرَتِهِ ، وَنِيْطُوا بِتَدْوِينِهِ ، وَاخْتَبِرُوا بِتَضَرُّعِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِيَقُومَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى جَهْلِ جَاهِلِهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرِّفْقُ بِهِمْ ، وَالْقِيَامُ بِمَصَالِحِهِمْ ، ومنها أَنَّ الْعِلَاقَةَ الَّتِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قَوِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ أَوْشَجُ مِنَ الرَّحِمِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكُ وَالِدٌ كَبِيرٌ ، كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرِّفْقِ بِهِ ، وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِ ، وَالرَّفْقَةِ لَهُ ، وَاجْتِلَابِ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غَيْرٌ ، وَقَرِيبُ الْعَهْدِ بِالسُّكُونِ ، وَجَاهِلٌ بِالْحَالِ ، وَغَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّبِيهَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ الشَّبِيهُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَقْنَى كَشْفًا ، وَيُكْسِيهِ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ، وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَايِفَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَقَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْمُحْكَمَةِ وَالْوُضْعَةِ الْوَشِيعَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِهَا ، وَالْمَالِكِ لَزِمَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رَفَاهَةِ عَيْشِهَا ، وَطَيْبِ حَيَاتِهَا ، وَدُرُورِ مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ ^(١) الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَائِضِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قال : وَلَوْ قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لِسُلْطَانِهَا : لَمْ لَا نَخْوَضُ فِي حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْحَثُ عَنْ غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلِمَ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلُتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلِمَ لَا نَقِفُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَانَا مَتَوَقَّعَةٌ

(١) فِي كَلَامِ النَّسَفِيِّ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

من جهتك ، ومسررتنا ملحوظة^(١) بتذكيرك ، ومساءتنا مصروفة باهتمامك ، وتظلمنا مرفوع بعزك ، ورفاهيتنا حاصله بحسن نظرك وجميل اعتقادك ، وشارع رحمتك ، وبلغ أجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعوها التي بها استطالت ، بلى والله ، الحق معترف به وإن شغب الشاغب ، وأعنت المعنت .

قال : ولو قالت الرعية أيضاً . ولم لا تبحث عن أمرك ؟ ولم لا تسمع كل غث وسمين منا ؟ وقد ملكت نواصينا ، وسكنت ديارنا ، وصادرتنا على^(٢) أموالنا ، وحلت بيننا وبين ضياعنا ، وقاسمتنا موارثنا ، وأنسيتنا رفاغة^(٣) العيش وطيب الحياة وطمأنينة القلب ، فطرتنا مخوفة ، ومساكننا منزولة^(٤) ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا مسلوبة ، وحریمنا مستباح ، ونقدنا زائف ، وخراجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجندنا متفطرس ، وشرطينا منحرف ، ومساجدنا خربة ، ووقوفنا منتهبة ، ومارستاناتنا خاوية ، وأعداؤنا مستكلبة ، وعيوننا سخينة ، وصدورنا مفيضة ، [وبائيتنا متهيلة] وفرحنا معدوم ؛ ما كان الجواب أيضاً عما قالت وعما لم تقل ، هيبة لك ، وخوفاً على أنفسها من سطوتك وصولتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رُفِعَ إلى الخليفة المعتضد أن طائفة من الناس يجتمعون [بباب الطاق ويجلسون] في دكان شيخ تبنان ، ويحوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سرارة

(١) في (ب) : « ملحقة » ؛ وهو تحريف . (٢) في (أ) : « عن أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاغة » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف ؛ ورفاغة العيش : خفضه ولينه .

(٤) في (ب) : « منازلنا مسكونة » .

وَتَنَاءُ^(١) وَأَهْلُ بُيُوتَاتٍ سِوَى مَنْ يَسْتَرْقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَفَاقَمَ فَسَادُهُمْ وَإِنْسَادُهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذُرْعًا ، وَخَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِمُبَيِّدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . فَعَمِلَ ، وَشَاهَدَ مِنْ تَرِيدٍ^(٣) وَجْهِ الْمُعْتَضِدِ مَا أَرْعَجَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آلَافَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قَدْ فَهِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَنَدَّمُ بِأَخْذِهِمْ وَصَلَبَ بَعْضِهِمْ وَإِخْرَاقَ بَعْضِهِمْ وَتَقْرِيقَ بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْمُقَوَّبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ كَانَ الْهَوَلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَفْشَى ، وَالزَّجْرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ الْمُعْتَضِدُ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَّدَتْ لَهَيْبَ غَضَبِي^(٤) بِفَوْزَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتَنِي إِلَى اللَّيْلِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَطَطْتَ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ حَيْثُ أَشْرْتَ بِالْخُرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَجِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَدْيِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَخَزْمِكَ لَسَكَانَ مِنْ حُسْنِ الْمُؤَاوَزَةِ وَمَبْذُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) السَّكْفَ عَنِ الْجَهْلِ ، وَتَبْتَنِّي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّفْحَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَ فِي جَهْلِكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَاتِقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَاطِ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَثُبُوسِ الطِّمْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعَةَ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسَائِلُهَا عَنْهَا كَيْفَ سُسْتَهَا ؟ وَلَعَلَّ

(١) التناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفيعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) . « لهيب غيظي بقسوتك » ؟ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (أ) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا تون ويا ، وسائرهما مطموس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤَكِّدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنَ الرِّعَايَةِ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْلُمَ لِحَقِّهِ أَوْ لَعَوَ جَارَهُ ^(١) ، وَدَاهِيَةَ نَالَتِهِ أَوْ نَالَتْ صَاحِبَهَا ؟ وَكَيْفَ تَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُقْبِلِينَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبَنَا السُّلْطَانُ فَلَيْسَ فَرَوْتَنَا ، وَأَكَلْ خُضْرَتَنَا ، وَحَقَّقَ الْمُلُوكُ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفَ ، وَإِنَّمَا يُحْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَسْكَالِيفِهِ ، وَمَكَارِهِ تَصَارِيفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي كَفِّهِ رَافِعًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ سَاكِنًا ، أَتَنْظُرُ أَنَّ الْعَمَلَ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْعُذْرَ بِهِ يَسَعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ، وَلَا الصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُ ، وَجَهَّ صَاحِبُكَ وَلَيْسَ كُنْ ذَا خَبْرَةٍ وَرَفِقَ ، وَمَعْرُوفًا بِخَيْرٍ وَصِدْقٍ ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَعَاشِهِ ، وَقَدَّرَ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَضُكُّ لِلْعَمَلِ فَعَلَقَهُ بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئَ الْحَالِ فَضَلَّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُفِيدُهُ طُمَأْنِينَةً بِالْهَ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ مُكْفِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى دَكَّانِ هَذَا التَّبَّانِ الْبَطْرُ وَالزَّهْوُ ، فَأَذْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحُهُ ، وَلَا حِفْظَهُ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ أَفْطَاكَ مَسْمُوعَ ، وَكَلَامَكَ مَرْفُوعَ ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢) سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِفَيْرِكَ بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالْجَرِيرَةِ الْأُولَى مَخَالِفُ السَّيِّئَةِ الْمُثَلَّى لِسُكَّانِ هَذَا الدِّيرِ تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ «دَارَةٌ» بِالْدَالِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

تراه . فَإِنَّكَ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا قَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَالَفْتَ فِي الْمُعُوبَةِ ، وَمَا كُنْتَ طَرَفَ فِي الْمَصْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سَوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْحَوْبِ وَالْمَأْثَمِ فِي الْعَاقِبَةِ .
قال : وفارَقَ الوزيرُ حَضْرَةَ [الخليفة] ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّطِيفِ ، فَعَادَتْ الْحَالُ تُرْفَ بِالسَّلَامَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْعَاقِبَةِ النَّامَةِ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَى الشَّيْخِ التَّنْبَانِ بَرَفْعِ حَالٍ مِنْ يَقَعْدُ عِنْدَهُ حَتَّى يُوَاسِيَ إِنْ كَانَ مُحْتَاجًا ، وَيُصَرِّفَ إِنْ كَانَ مُتَعَطِّلًا ، وَيُنْصَحَ إِنْ كَانَ مُتَعَقِّلًا .

فقال الوزير : مَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ الْخَطْبَ فِي مِثْلِ هَذَا يَمْلُغُ هَذَا الْقَدْرَ ؛ فَهَاتِ الْجَوَابَ الْآخَرَ الَّذِي حَفِظْتَهُ عَنِ الْعُثُوفِ . فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ هَذَا كَافِيًا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنْ فِيمَا مَرَّ لِكِفَايَةِ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَلَكِنْ الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ الْعَمَلِ جَالِبَةٌ الْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ مَقْسُومَةٌ عَلَى اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالتَّمَسُّكِ بِالْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ أَحَدُهُمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِحًا .

فَوَصَلَتْ الْحَدِيثَ وَقَالَتْ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَالَ : كُنْتُ بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثًا ، وَقَدْ أَشْتَعَلَتْ خُرَاسَانَ بِالْفِتْنَةِ ، وَتَبَلْبَكْتُ دَوْلَةَ آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ^(١) ، وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعَلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آل] سَامَانَ نِيْسَابُورَ بِعُدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ حَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَاحِرَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلَا السَّعْرُ ،

(١) قَايِينَ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ طَلَبَسَ ، بَيْنَ نِيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ ؛ وَهِيَ فَرْسَةُ خُرَاسَانَ .

وَأُخِيفَتِ السُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِزْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَامَّةُ ، وَالتَّبَسَّ
الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَحَ كَلْبُ كَلْبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَضَبَحَ كُلُّ ثَعْلَبٍ مِنْ كُلِّ ثَلَاثَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دُورَةٍ ^(١) الصُّوفِيَّةِ لَا نَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً
نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْدِي ، وَالْجُوعُ يَفْعَلُ عَمَلَهُ ، وَنُخْوِضُ
فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدِ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى
السَّيَاحَةِ لِأَنْسَادِ الطُّرُقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَايَةِ
الرُّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدُّ نَارًا بِالشُّوَالِ وَالتَّعْرِفِ وَالْإِزْجَافِ بِالصَّدَقِ
وَالْكُذْبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالهُوَى وَالْعَصَبِيَّةِ ؛ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبِثَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢)
وَأَسْتَقُولِي عَلَيْنَا الرَّسْوَاسَ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِحَابَنَا ^(٣) [مَا] دَفَعْنَا إِلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ ، وَعِزْلٍ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرٍ ،
وَنَجَاةِ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ،
بِكُسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، مَعَ الْعَاقِبَةِ مِنْ بَلَايَا
طُلَابِ الدُّنْيَا ، فَا هَذَا [الَّذِي] يَتَعَرِّفُنَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا
نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَا غَدًا حَتَّى تَزُورَ أَبَا زَكَرِيَاءَ الزَّاهِدَ ،
وَنَظَّلَ نَهَارُنَا عِنْدَهُ لَاهِبِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ، فَاتَّفَقَ
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدَدُونَا ^(٤) وَصَرَرْنَا إِلَى أَبِي زَكَرِيَاءَ الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَبَ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَتَرَةٍ » مَكَانَ « دُورَةٍ » . وَالتُّورَةُ : مَا وَتَرَ بِالْأَعْمَدَةِ مِنَ الْبُيُوتِ .

(٢) فِي (ب) : « أَنْفُسَنَا » . (٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « بِأَصْحَابِنَا دَفَعْنَا » ؛ وَفِي

(ب) بَيْنَ قَوْلِهِ « بِأَصْحَابِنَا » وَقَوْلِهِ « دَفَعْنَا » فَرَاغٌ يَسَعُ كَلِمَةً ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ مَا أَتَيْنَا

إِذْ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . (٤) فِي (ب) : « فَصَرَرْنَا » مَكَانَ قَوْلِهِ « فَقَدَدُونَا » .

بنا ، وفَرَحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشَوْقَنِي إِلَيْكُمْ ^(١) ، وما أَلهَمَنِي ^(٢) عَلَيْكُمْ ! الحمد لله الذي جَمَعَنِي وَإِيَّاكُمْ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ ، حَدَّثُونِي مَا الَّذِي سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَغَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ، وَأَمْرُهُؤَلَاءِ السَّلَاطِينِ ؟ فَرَجُّوا عَنِّي ؛ وقولوا لِي مَا عِنْدَكُمْ ، فلا تَكْتُمُونِي شَيْئاً فَإِلَى اللَّهِ سِرْعَتِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَّا مَا أَتَصَلُّ بِحَدِيثِهِمْ ، وَأَقْتَرَنَ بِخَبَرِهِمْ ، فلما ورد عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الْعَابِدِ مَا وَرَدَ ، دُهِشْنَا وَأَسْتَوْحَشْنَا ، وقلنا فِي أَنْفُسِنَا انظُرُوا مِنْ أَى شَيْءٍ هَرَبْنَا ^(٣) . وبأى شَيْءٍ عَلِقْنَا ، وبأى دَاهِيَةٍ دُهِينَا . قال : فَخَمَمْنَا الْحَدِيثَ وَأَنْسَلْنَا ، فلما خَرَجْنَا قُلْنَا : أَرَأَيْتُمْ مَا بُلِينَا بِهِ ، وما وَقَعْنَا عَلَيْهِ ؟ (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) . مِيلُوا بِنَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ فَلَهُ فَضْلٌ وَعِيَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَقَرُّدٌ فِي صَوْمَعَتِهِ حَتَّى يُقِيمَ عِنْدَهُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَقَدِ بِنَا الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ ، وَبَطَّلَ قَصْدُنَا فِيمَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَمَشِينَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ وَأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا ، وَوَصَلْنَا إِلَيْهِ فَسَرَّ بِحُضُورِنَا ، وَهَشَّ لِرُؤُوسِنَا ، وَأَبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وَأَعْظَمَ زِيَارَتَنَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَصْحَابَنَا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ الْفَاسِ ؟ فَقَدْ طَالَ عَطَشِي إِلَى شَيْءٍ أَسْمَعُهُ ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ الْيَوْمَ أَحَدٌ فَأَسْتَخْبِرُهُ ، وَإِنَّ أَذُنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قَرْعَةً أَوْ أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فَهَاتُوا مَا مَعَكُمْ وَمَا عِنْدَكُمْ ، وَقُصُّوا عَلَيَّ الْقِصَّةَ بِقَصِّهَا وَنَصِّهَا ، وَدَعُوا التَّوْبِيَةَ وَالسَّكَنَاءَةَ ، وَأَذْكُرُوا الْقَتْلَ وَالثَّمِينَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطْيِبُ ، وَلَوْلَا الْعَظْمُ مَاطَابِ اللَّحْمِ ، وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَلَا الثَّمَرُ ، وَلَوْلَا الْقِشْرُ لَمْ يَوْجَدْ الْأَبُّ ، فَمَحَبَّتُنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أ. كَثُرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الْأَوَّلِ ، وَخَاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ ،

(١) فِي (ب) : « إِلَى زِيَارَتِكُمْ » . (٢) فِي (ب) : « وَالْهَمِي » .

(٣) وَرَدَ فِي (ا) مِنْ هَذِهِ السَّكْمَةِ بَاءٌ وَنُونٌ بَعْدَهَا أَلِفٌ . وَفِي (ب) لَمْ يَظْهَرِ مِنْهَا

إِلَّا هَاءٌ وَنُونٌ وَأَلِفٌ ؛ وَالْبَيَاقُ يَقْضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظْرَفَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيجُنَا (إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مُجْتَابٌ) وَتَلَدَدُنَا وَتَبَلَدُنَا وَقَلْبُنَا يَا أَهْبَابُنَا : انْطَلِقُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْفَرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بِضَالَّتِنَا إِلَّا عِنْدَهُ ، لَزُهُدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشُغْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَحْرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخْلُنَا عَلَيْهِ ، وَجَلْسُنَا حَوْلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعْنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا يَلْمُسُهُ بِيَدِهِ وَيُرْحَبُ بِهِ ، وَيَذْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أُنْتَهَى أَقْبَلَ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلْتُمْ عَلَيَّ ؟ وَاللَّهِ لَسَكَاةً قَدْ وَجَدْتُ بِكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَخْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قَوْلُوا لِي غَيْرَ مُحْتَشَمِينَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يَقَالُ فِي أَمْرِ ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِلِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَمَسُ بِهِ نَاسٌ دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُ إِلَى نَفُوسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرُدُ الْآفَاقِ ، وَجَوَالَةِ الْأَرْضِ ، وَلَقَاطَةِ السَّكَلَامِ ، وَيَتَسَاقَطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَفْطَارِ مَا يَتَمَذَّرُ عَلَى عِظَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أُنْعَى الْأَوَّلُ وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةٍ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ فَخَفَفْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَنَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفِقْنَا تَلَاوُمَ عَلَى زِيَارَتِنَا لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لَمَّا رَأَيْنَا مِنْهُمْ وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَنْقَلَبْنَا مَتَوَجِّهِينَ إِلَى دَوَرَتِنَا الَّتِي غَدَوْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَاللَّيْلِ ، فَلَقِينَا فِي الطَّارِيقِ شَيْخًا مِنَ الْحُكَّاءِ يَقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَامِرِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الحياض .

(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً

وإشارتنا ، وكان من الجوالين الذين نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأُطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَاد ؛ فقال لنا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوَلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ تَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فقال لنا : فِي طَيِّ هَذِهِ الْحَالِ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقْفُونَ عَلَيْهِ ، وَسِرٌّ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ ظَنُّكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ : لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ [عَنْهُمْ كَالْخَيْرِ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يَلُودُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتَهَالَكُونَ ، وَبِهِ يَتِمَّ الْكُونُ .

فلنأله : فَإِنْ رَأَيْتَ يَأْمُمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْغِطَاءَ ، وَتَرَفَعَ هَذَا السُّتْرَ ، وَتَعَرَّفْنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لَنَكُونَ شَاكِرِينَ ، وَتَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فقال : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْهَجُ بِمَحْدِثِ كِبَرَائِهَا وَسَاسَتِهَا لَمَّا تَرَجُّوْا مِنْ رَخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَاتِّصَالِ الْجَلْبِ وَنَفَاقِ الشُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرَّيْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْعَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ أَيْضًا بِمَحْدِثِ الْأُمْرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعُظَمَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرَّيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ فِي مَحَابَّتِهِمْ وَمَكَارِهِمْ فِي حَالِ النُّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، الْأَتْرُونَةَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : (حَتَّى إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وَبِهَذَا الْأَعْتَابِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافَ حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِعْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَمْ فِي الضَّرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّيَازِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
لِلَّهِ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَتَّبِعُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْقِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
وَيَتَّبِعُونَ مِنْ رَقْدَةِ الْعَقْلَةِ ، وَيَكْتَحِلُونَ بِالْيَقِظَةِ مِنْ سِسْنَةِ السَّمَوِ وَالْبَهَائَةِ ،
وَيَجِدُونَ فِي أَخْذِ الْقَتَادِ ، وَاكْتِسَابِ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ الْحَرَجِ بِالْمُكَارِهِ ، الْحُفُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفَاحِ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا
بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَثَلَمَهُ ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِيمُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَنْعَمٌ ، وَالوَاصِلُ إِلَيْهِ مَكْرَمٌ ، وَبَيْنَ
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ يَضِحُ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ . وَأَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
وَالْآخَرُ مَحْمُودٌ ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
وَأَخْرَجَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كُفٍّ الْآخَرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصِلُوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَنْحَاسِهَا ، وَمَوْتُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
لَيْسَ لَغَيْرِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيمة يحشوا آذاننا بهذه
وما أشبهها ، ويملا صدورنا بما عثده حتى سررنا^(٢) وانصرفنا إلى مُتَعَشِّانَا وقد
استفدنا على يأسٍ مِنَّا فائدة عظيمة لو تمنيناها بالغرَمِ الثَّقِيلِ ، وَالسَّيِّ الطَوِيلِ ،
لَكَانَ الرَّجْحُ مَعْنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستلال .

(٢) في كلنا النسختين : « سددنا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا حَجَبَ وقال : لا أدري أكلَامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاج أبْلَغُ ، أم الحِكَايَةُ عن المُفْتَضِلِّ أَشْفَى ، أم رواية الشيخ الصوفيِّ أَطْرَفُ ؟ وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللَّطِيفَةَ الخَفِيَّةَ ، وهذه الحِجَّةَ الجَلِيَّةَ ، وكُنْتُ أرى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا يَرْجِعُونَ إلى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَصِيبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَهْذُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ يَبْنَاءُ أَمْرُهُمْ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالْجَوْنِ .

فقلت : لو جُمِعَ كَلَامُ أَتَمَّتْهُمْ وَأَعْلَامُهُمْ لَزَادَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَمَّنْ نَقَفُ^(١) عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الْمُتَقَارِبَةِ ، سِوَى مَا عِنْدَ قَوْمٍ آخَرِينَ لَا نَسْمَعُ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قال : فَأَذْكَرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قلتُ : الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْحَاسِي ، وَرُوَيْحُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّي ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي سُمِعَ وَهُوَ يَقُولُ : إِلَى مَتَى تُرَدُّ دُنَى فِي سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لِلْحَبِيبِ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ ؟ فمَاتَ بَعْدَ جُمُعَةٍ .

فقال : هَذَا عَجَبٌ ، وَلَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْفَنِّ مَا كَانَ فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ بِمَا كَانَ^(٢) فِي ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ حَقِيرٍ يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ .

(٢) وقال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنَشِدْتُهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ حِلْمِي وَكَانَ تَحْلِي عَنَّهُ لِحَامًا
وَلَمْ يَبِ السَّافَاهُ فَلَمْ يَحِدْنِي أَسَافُهُ وَقُلْتُ لَهُ : سَـ_____لَامًا

(١) عَمَّنْ نَقَفَ ، أَي مَرُوبَةٍ عَمَّنْ نَقَفَ ، وَفِي كَلَامِ النَّحْوِيِّينَ عَلَى مَا نَقَفَ ، وَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا لَا مُقْتَضَى لَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَأَكْثَرُ مِمَّا دَارَ فِي خَلْدِي » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

فَقَامَ يَجْرُ رِجْلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ الْمَذَلَّةَ وَالْمَلَامَا
وَفَضَّلَ الْحِلْمَ أُنْبَلِغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يَنَالَ بِهِ أُنْتِقَامَا

(٣) فقال: ما أعجب أمر العرب، تأمر بالحلْم مرة، والصبر والكظم مرة، ونحث
بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر، وتذم السفة وقمع القدو! وهكذا شأنها
في جميع الأخلاق؛ أعني أنها رُبما خَصَّتْ على القناعة والصبر والرضا بالميسور،
ورُبما خالفت هذا، فأخذت تذكُر أن ذلك فسالة ونقصان همة ولين عريكة
ومهانة نفس؛ وكذلك أيضاً تحث على البسالة^(١) والإقدام والانتصار
والحمية والجراسة؛ ورُبما عدلت^(٢) إلى أضداد هذه الأخلاق والسجايا
والضرائب والأحوال؛ في أوقات يحسن فيها بعضها، ويقبح بعضها، ويعذر
صاحبها في بعضها، ويلام في بعضها؛ وذلك لأن الطبايع مختلفة،
والفرائض^(٣) متعادية؛ فهذا يمدح البخل في عرض الحرز، وهذا يحمد^(٤)
الأقتصاد في جملة الاحتياط، وهذا يذم الشجاعة في عرض طالب السلامة؛
وليس في جميع الأخلاق شيء يحسن في كل زمان وفي كل مكان، ومع كل
إنسان، بل لكل ذلك وقت وحين وأوان.

قال: ولعمري إن القيام بمقتضى هذه الأشياء وحدودها صعب، لأنها
لا توجد إلا متلازمة ومتداخلة، وتغليب كل واحد منها بجده وحقيقته
ووزنه مما يقوت ذرع الإنسان الضعيف المنة، المنتثر الطينة.

قال: ومنه أن الحكيم قال للإسكندر: «أيها الملك أريد حياتك لرجالك،

(١) في (١): «الفسالة»؛ وفي (ب): الفسالة؛ وهو تحريف في كلتا النسختين.

(٢) في (ب): «ممدت».

(٣) في (١): «والفرائض»؛ وهو تحريف.

(٤) في (١): «يمدح»؛ وهو تكرار مع ما سبق.

وَلَا تُرْذِرُ جِلَّالَكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ وَلَوْ قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لَا ، «وَلَكِنْ أُرْذِرُ جِلَّالَكَ لِحَيَاتِكَ ، وَلَا تُرْذِرُ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ» ، لَسَكَانَ الْفَضْلُ وَاقِعًا ، وَالِدَعْوَى قَائِمَةً .
وَكَانَ يُنْحَكِي عَنْ أَعْرَابِيٍّ حَدِيثٌ مُضْحِكٌ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّبَ فِي مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ^(١) أَنْ تُصَلِّبَ الْأُمَّةُ فِي مَصْلَحَتِي .

قال : وليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم بالصور والحلي حتى يعرف بها زيد من عمرو ، وبكر من خالد ، ولا يختلفون في باطنهم حتى يكون هذا مطبوعاً على الشح وإن مدح الجود ، وهذا محبوباً على العجب وإن تشيع للشجاعة ؛ وليس يجوز في الحكمة أن يكثرُوا ولا يختلفُوا^(٢) ، وليس يجوز أيضاً أن يضم الجنس والنوع ولا يأتلفوا ؛ وكل ما أساغته الحكمة أبرزته القدرة ، وكل ما جادت به القدرة شهدت له الحكمة ؛ فسبحان من له هذا التدبير اللطيف ، وهذا العز الغالب ، وهذا السر الخافي ، وهذه العلانية البادية ، وهذا الفعل المحكم ، وهذا النفع المستعظم .

وحكي أيضاً في شيء جرى ، قال حكيم فارس : قد جرّبنا الملوك ، فإذا ملكنا السمح الجواد جادت علينا السماء والأرض ، وإذا ملكنا البخيل بخلت علينا السماء والأرض .

قال أبو سليمان : هذا إذا صح فهو شاهد القبيض الإلهي المتصل بالملك السمح ، ونصوبه عن الملك البخيل ، لأن الملك إله بشري .

وقال مرة : ما التفتي ؟ — وقد كان جرى ما أفتضى السؤال عنه — . (٤)

(١) في (ب) : «أريد» .

(٢) رواية (ب) : «ولا يختلفوا في باطنهم حتى يكون مطبوعاً» ؛ وفيها تكرار ظاهر .

فقلتُ : أَحْفَظْ نَصًّا لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ التَّمَنَّى فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . فقال :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ قَفِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

(٥) فقال : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فقلتُ : قال أَرِسْطُوطَالِسٌ :

لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتِهِ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَنَزْدَادَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

(٦) قال : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابٌ حَاضِرٌ ، وَلِلْبَدِيدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُودٌ ظَاهِرٌ .

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَ لَهَ أَنْ يَحْدِثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
فقال له الرجل : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فقال : صَدَقْتُ ، وَحَدَّثَنِي .

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الْمَرْوُوزِيُّ ؛ قال : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ وَفِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَابْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَّامِ الزَّيْتَنِيُّ ، فَسَأَلَ وَأَلَحَّ ؛ فقلتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ
ضَجَرْتُ مِنْ إِلْحَاحِهِ وَصَفَاقِهِ وَجْهَهُ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قال : صَدَقْتُ ، وَلَسْكَنَ يُنْجِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَتِ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي حَزَّ السَّكْبَدَ وَنَقَبَ الْفَوَادَ ^(١) مَا جَرَى
لَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ ^(٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ ، فَإِنَّ ابْنَ عَمْرِو قَالَ لِلْبَتِّيِّ ^(٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شِمَامَةٌ وَلَكِنَّهَا مَسْمُومَةٌ . فقال الْبَتِّيُّ ^(٤) عَلَى النَّفْسِ : لَسْكَنَكَ أَيُّهَا
الشَّرِيفُ شِمَامَةٌ مَسْمُومَةٌ ، عَطَّرْتَ ^(٥) الْأَرْضَ بِهَا ، وَسَارَتِ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْبُ » . (٢) فِي (ب) : « الْبَتِّي » .

(٣) فِي نَسْخَةٍ « فُطِنْتُ » ؛ وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى « وَطِنْتُ » ؛ وَهُوَ تَهْرِيفٌ فِي كِلْتَا
النَّسَخَتَيْنِ ؛ وَسِبَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ .

وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أُتخِمتَ قط ؟ قال : أنا من طعامِكَ وطعامِ أَيْيِكَ فلا . فيقال : إنَّ نصرًا حَمٌّ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ أَيَّامًا ؛ وقال : لِيَتَنِي خَرِسْتُ ولم أَفَهْ بِسُؤَالِ هَذَا الشَّيْطَانِ .

(٧) وَجَرَى حَدِيثُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ الْإِنَاثَ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِنَّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) فَقُلْتُ : فِي هَذَا نَظَرٌ ؛ فَقَالَ : مَا هُوَ : قُلْتُ قَدْ ذَمَّ الْإِنَاثَ — كَمَا قُلْتُ — وَلَكِنْ نَكَّرَ ، وَآخَرَ الذُّكُورَ وَلَكِنْ عَرَّفَ ، وَالتَّعْرِيفُ بِالْأَخِيرِ أَشْرَفُ مِنَ الذِّكْرِ بِالتَّقْدِيمِ . ثُمَّ قَالَ : هَذَا حَسَنٌ . قُلْتُ : وَلَمْ يَتْرُكْ هَذَا أَيْضًا حَتَّى قَالَ : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فَجَمَعَ الْجَمْعَيْنِ بِالتَّنْكِيرِ مَعَ تَقْدِيمِ الذُّكْرَانِ ، فَقَالَ : هَذَا مُسْتَوْفَى .

(٨) وَقَالَ : مَا مَعْنَى كَأْسٍ أَنْفٌ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنْ يَعْقُوبُ قَالَ : يُقَالُ كَأْسٌ أَنْفٌ ، أَيْ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ ؛ وَكَذَلِكَ يُقَالُ : رَوْضَةٌ أَنْفٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ رَعَاهَا أَحَدٌ .

وقال لقيط :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالذَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْمَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَلِيلَ وَالْخَلِيلُ قُطْفٌ

قال : مَا الذَّشِيلُ ؟ فَإِنَّ الشَّوَاءَ وَالرُّغْفَ مَعْرُوفَانِ : قُلْتُ : مَا صَمَّتَهُ الْقِدْرُ مِنَ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْشَلُ وَيُغْرَفُ ؛ فَقَالَ : هَذَا بَابٌ إِنْ أَلْحَحْنَا عَلَيْهِ جَوَّعٌ .

(٩) قال : مَا تَحْفَظُ فِي حَدِيثِ الْأَكْلِ ؟ قَالَتْ : الْأَكْلُ وَالذَّمُّ ^(١) .

وَمِنْ مَلِيحِهِ مَا حَضَرَ نِي . قِيلَ لُجَمَيْرُ ^(٢) : مَا تَشْتَهَى ؟ قَالَ : بَسِيسٌ مَقِيلٌ
 بَيْنَ غَلِيَانٍ قُدُورٍ ، عَلَى رَائِحَةِ شِوَاءٍ ، بِجَنْبِ خَبِيصٍ . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ
 اللَّهُ سِنَّهُ بِالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ ، وَأَنْتِظَامِ الْأَحْوَالِ وَأَسَاقِ الْأُمُورِ — . وَقَالَ : هَاتِ
 حَدِيثًا نَخْرِجُ بِهِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ . فَقُلْتُ : كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رَسُولِ
 صَاحِبِ الْأَعْلَامِ : إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ ، وَقِتَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
 صَلَاحِكُمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُهُ : أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْعَسَلِ فَقَالَ : مَنْ
 يُوصِلُنِي إِلَيْهِ يَذِرُ هَمِينَ ، فَإِذَا نَشِبَ فِيهِ قَالَ : مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَأَنْتِ
 طَائِعٌ ، وَالطَّلَعُ سَيُزِيدُكَ . فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَنْتُمْ قَوْمٌ تُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَتُتَمَادُّونَ
 أَنْفُسَكُمْ ، لِأَنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَحُولَ الْمَلَكُ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ
 أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ حُكَمَاؤُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا تَدْفَعُونَ
 الْقَضَاءَ بِنَحْوِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ ،
 وَلَوْ نَظَرْتُمْ لَا بُصْرَتَكُمْ ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ لَسَأَلْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَمَّا
 كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعَنَا [صَارَتْ] رِيحُنَا
 عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَاعْتَمِدُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحَرِّ السَّلَاحِ ، وَالْمِ
 الْجِرَاحِ ، [وَخِزْيِ ^(٣) الْأَفْتَضَاحِ] ، وَالسَّلَامِ .

كَتَبَ حَدِيثُهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — . إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشرح هذه العبارة إلى قولهم في المثل : « أَكَلَا وَذَمَّا » في المعنى « يُوْكَلُ وَيَذَمُّ » ذكره صاحب العقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حَمِير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والعاصي » مكان هذه الزيادة المنقولة عن (ب)

قَدْ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلِحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : ارْتَدَّ لِلْعَرَبِ مَنْزِلٌ لَا رَاحًا . فَأَرْتَادَ لَهُمُ السُّكُوفَةُ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ حَصْبَاءٌ ، وَرَمْلَةٌ حُمْرَاءٌ ، فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلْتَ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَقْلَتَ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرْتِ ، بَارِكْ لَنَا فِي هَذِهِ السُّكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَبَرَّ بِالْأَقْصَى وَبِالْأَضْحَابِ

بعد النبي صاحب الكتاب

فَنَخَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى إِبِلَ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فِطْرًا يُتِمِّعُنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَغْنِيُنِي إِذَا قَصَّرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبَقَى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنِّي هَرْمُزِي يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْغُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادُ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَسْرَى الرِّيَّاحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَّفُوا عُيُودُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ تَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَنْفِدُ
حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْزُودٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْفَوَادُ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتِ الْعَرَبُ أَسَدًا فِي جَزِيرَتِهَا يَا كُلُّ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَهُمْ شَيْءٌ .

رَأَى رُسْتَمُ فِي النَّوْمِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى عُمَرَ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَيَقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .

وقال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنَشِدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمُدْعٍ يَوْمًا مُطِيعًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَحَالَفُ صَارِمًا عَضْبًا ثَوُورَا
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِبَةٍ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا

وَأَنَشِدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وَلَقَدْ ثُمِّلَ بِهِ :

إِنِّي لَمِنْ نَبْعَةٍ هُمَّ مَكَايِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَصَبَاتُ^(١) وَالْمَشَرُ
وَلَا أَلَيْنُ لَعْسِيرَ الْحَقِّ أَتْبَعُهُ حَتَّى يَلِينَ لَضِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلَ السَّهْوِ يَمْحُو كَثِيرَ الْحِلْمِ ، وَأَذْنِي الْأَتَّصَارِ
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْتِفَارِ ، وَعَلَى طَالِبِ الْمَعْرُوفِ الْمَعْدِرَةُ^(٢) عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ؛ وَعَلَى الْمَطْلُوبِ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ دُونَ (ب) هَكَذَا :

إِلَى لَمِنْ سَمِعَ صَمَّ بِهِ كَايِرُهَا أَوْ أَيْنَا رَحِبَ الْعَضْبَةِ وَالْقَفَرِ

وَهُوَ كَمَا تَرَى مَمْلُوءٌ بِالتَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ فِي جَمِيعِ كَلَامِهِ تَقْرِيْبًا ؛ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْ هَذَا الشَّعْرِ فِي
الْمَوَادِّ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا فَلَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْبَيْتِ الثَّانِي ؛ وَهُوَ مَنْسُوبٌ فِي مَجْمُوعَةِ الْمَعَانِي إِلَى عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الزَّيْبِرِ الْأَسَدِيِّ وَلَمْ نَجِدْهُ فِي تَرْجُمَتِهِ ؛ وَقَدْ قَلَبْنَا جَمِيعَ كَلَامَاتِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَى جَمِيعِ مَا تَحْتَمِلُهُ
مِنْ الْوُجُوهِ حَتَّى اسْتَقَامَ وَزَنَ وَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي أَتَيْنَاهُ . وَالتَّبَعُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ
أَجُودَ الرِّمَاحِ . وَصَمَّ مَكَايِرُهَا ، أَيْ صَلَبَ . وَيُقَالُ : تَقَادَحَ الشَّجَرُ إِذَا كَانَ رَخْوًا ، فَتَنَى
حَرَكَتَهُ الرِّيحُ حَكَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَأَوْرَى نَارًا فَإِذَا أُريدَ الْإِتِّفَاعُ بِهِ فِي لَمِرَاءِ النَّارِ بَعْدَ لَمْ يور .
وَالْقَصَبَاتُ : جَمَاعَةُ الْقَصَبِ . وَالْمَشَرُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الزَّيَادُ .

(٢) فِي (١) : الْقُدْرَةُ ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

فقال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَعْنِي بَنَى الْعَبَّاسُ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَفْضَلُهُمْ ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَفْضَلُهُمْ] ، وَلِلْمَعْتَصِمِ أَفْضَلُهُمْ ، وَلِلْمَعْتَصِدِ أَفْضَلُهُمْ .
فقال : كَذَلِكَ هُوَ . وقال : فَالْباقُونَ ؟ [قلت | ليس ^(٢) فيهم بعد هَؤُلَاءِ مِنْ يُوحَدُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشْتَاكِرٌ لغيره . فقال : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

(١) وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْأَخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ مُرَادٍ مُخْتَارٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْتَارُ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرِّهِ وَصَرْبَ الْوَلَدِ النَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيَخْتَارُ طَرَحَ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِيَ] ^(٣) وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهَما وَإِنْ كَانَا أَنْفَعًا لَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْأَخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَغَيُّرٍ وَتَمَيِّزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَبْغَتْ ^(٤) وَرَبَّمَا حَمَلَ عَلَى طَلَبِ الْمُرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْأَخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ الْإِرَادَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍ يَرُودُ ، وَالهَمْزَةُ مُجْتَلِبَةٌ لِلتَّعَدِّي .

(٢) قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةُ أَصْدَرُ عَنِ النَّفْسِ ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهَما أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أَنْتَرَمَ » . وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِيمِ ؛ وَسَائِرُهَا مَطْمُوسٌ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّذِي فِي (١) : « أَشْرَفَهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَبِلَا حِظٍّ أَنْ كَلِمَةً « فِيهِمْ » غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي (ب) ؛ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفَهُمْ » .

(٣) فِي الْأَوَّلِ : « أَحَبَّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَبِئْتَ » ؛ وَفِي (ب) وَبِئْتَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الْأَنفَعَا أَيْنَ أَشَدُّ تَأَثُّراً ، وهو أَنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وأنه ^(١) يقال : شَوَى وَأَشْهَى ^(٢) ،
ويقال في الآخر : حَبَّ وَأَحَبَّ ، وَبِتَدَاخُلَانِ كَثِيرًا بِالْأَسْتِعْمَالِ ، لِأَنَّ اللَّغَةَ جَارِيَةً
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّقْصِيْقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّقْصِيْقِ فُرُوعٌ إِلَى التَّعْهِيدِ
وَالْتَّشْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرَى عَلَى الْأَقْتِدَارِ وَالْأَخْتِيَارِ ^(٣) ، وَفِي غَرْضٍ
هَذَيْنِ بِلَا آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِنْجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِفَايَةِ وَالتَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الْإِنْجَازِ ^(٤) وَالْإِبْطَاءِ . فَقَالَ : هَذَا بَابُ .

(٣) ثُمَّ نَاوَلَنِي رَقْمَةً بَحْطُهَا فِيهَا مَطَالِبُ نَفْسِيَّةٍ تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاحِثُ
عَنْهَا أَبَا سَلِيمَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنَّ فِي مُجَارَاتِهِ فَائِدَةً مِنْ عِلْمٍ كَبِيرٍ ، وَتُعَلَّمُ
صَغِيرٌ ، فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهَ
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِحَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛ فَالْثَنُوسُ
مَعَارِنُ ، وَحَصَّلُ ذَلِكَ كُلُّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرُّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالُهَا ؟ وَمَا الَّذِي أُسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبَأَيِّ شَيْءٍ
بَايَذَتْ الرُّوحُ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ مَهْمًا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَقُلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ يَبَيْنُهَا
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هُنَا لَا مَقْصَدَ لَهُ ؛ وَاعْلَمْ صَوَابَ الْعِبَارَةِ
مَا أَثْبَتْنَا . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ الَّتِي بَيْنَ أَبْدِينَا أَشْهَى بِمَعْنَى شَهَى ، أَيْ اشتهى

كَأَيُّهِ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ أَشْهَاهُ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهِي ، لَا بِمَعْنَى اشتهى .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَالْأَسْتِحْقَارِ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (١) : الْأَبْجَارُ وَالْإِطْنَابُ ؛ وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ

تَعَذَّرَ قِرَاءَتُهَا ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسخِ .

الروح ؟ وهلا كَفَتِ الطَّبِيعَةُ ؟ وما العقل ؟ وما أُنْحَاؤُهُ ؟ وما صَنِيعُهُ ؟ وهل يُغْفَلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَغَفَّسُ النَّفْسُ ! وما مَرَّتَبَتُهُ (أَعْنَى الْعَقْلَ) عند الإله ؟ وهل يَنْفَعِلُ ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كان يَنْفَعِلُ وَيَفْعَلُ ^(٢) فَيَسْطُلُ الْفِعْلُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو لِلْإِنْسَانِ ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لَهَا ؟ وما الْفَرَقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَعْنَى نَفْسَ عَمْرُو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرَقُ بَيْنَ أَنْفُسٍ أَصْنَافٍ ^(٣) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمتَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ : حَيٌّ ، وهل فِيهِ حَيَاةٌ ؟ وهلى أَمَى وَجْهُهُ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْفَرَسُ حَيٌّ ؟ وهل يُقَالُ : الطَّبِيعَةُ حَيَّةٌ ، وَالنَّفْسُ حَيَّةٌ ، وَالْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَائِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وَمَا أَحِبُّ أَنْ أَبُوحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَقَدْ يَبْدُنْتُ ^(٤) فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْيَيْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَدَعِ خَطِيئَتِي عِنْدَهُ ، بَلْ ائْتِخُهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُجِيبُكَ بِهِ ، وَيَصْدَعُ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلِخَصِّصِهِ ، وَزِنَهُ بِلَفْظِكَ الدَّهْلِ وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَأَفْعَلْ ؛ فَهَذَا هَذَا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى السَّكُتِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللَّسَانِ ، وَأَخَذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِاللِّبَانِ ، وَالْكِتَابُ مَوَاتٌ ، وَنَصِيبُ النَّازِلِ فِيهِ مَنزُورٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاكِرَةُ وَالْمُنَاطَرَةُ وَالْمُؤَاتَاةُ ^(٥) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَغْضَى وَأَطْرَأَ ، وَأَهْنَأَ وَأَمْرَأَ ،

(١) فِي (١) : « يَفْعَلُ » مَكَانَ « يَفْعَلُ » فِي كَلَا الْمَوْضِعَيْنِ اللَّذَيْنِ تَحْتَ هَذَا الرِّقْعِ ؛

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (ب) : « أَصْحَابُ » مَكَانَ قَوْلِهِ « أَصْنَافُ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) : « نَثَرَتْ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٤) فِي نَسْخَةِ « وَالْمُؤَاتَاةُ » .

وأجعل هذه الخدمة مُقدَّمة على كلِّ مُهمٍّ لك ، فإني ناظرُك ، طامِعاً في الجَوَابِ المُقنِعِ الشافي .

فعرَضْتُهَا كما رَسَمَ على أبي سُلَيْمَانَ وقرَأْتُهَا [عليه] ، وتمَهَّلْتُ في إيرادِها بِخُضْرَتِهِ ، فلما فَهِمَهَا ووقَفَ عليها سَجَبٌ وقال : هَذِهِ مَسَائِلُ الْمُتَحَكِّمِينَ ^(١) ، وَطَلَبَاتِ الْمُدَلِّينَ ، وَأَقْتِرَاحَاتِ الْمُقْتَدِرِينَ ، وَمُنْيَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

قلتُ : هو كما قلتُ أيُّهَا الشَيْخُ ، ولا بَدْءٌ من جوابٍ يُعرَضُ عليه يَأْتِي على بعضِ مآربِ النَّفْسِ ، وإن لم يَأْتِ على قاصِيَةِ مَا في المَطْلُوبِ ، فقال كلاماً كَثِيراً واسعاً أنا أَخْصِيهِ على وَجْهِهِ من طَرِيقِ المَعْنَى ، وإن انْحَرَفْتُ عن أَعْيَانِ لَفْظِهِ ، وَأَشْبَابِ نَظْمِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لم يَكُنْ إِمْلَاءً ولا نَسْخاً ، وَاجْتِهَدُ أَنْ أُلْزِمَ مَتْنَ المُرَادِ ، وَسَمِعْتُ المَقْصُودَ — إِنْ شَاءَ اللهُ — [عَزَّ وَجَلَّ] .

(٤) قال : أَمَا قَوْلُهُ : مَا النَّفْسُ ، فَإِنَّ التَّحْدِيدَ يُعْزِزُ ، وَالرَّسْمَ لَا يَنْقُصُ ، وَالْوَصْفَ مُقَصِّرٌ عَنِ الغَايَةِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا جِنْسٌ وَلَا فَضْلٌ فَيَنْشَأُ الْحَدُّ بَهُمَا [وَمِنْهُمَا] ؛ وَالْأَسْمَ الشَّائِعَ — أَعْنَى النَّفْسَ — أَخَاصُ إِلَى المَطْلُوبِ ، وَأَخْصَرُ لِمَا قُصِدَ مِنْ التَّحْدِيدِ ، وَلِهَذَا مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي حَدِّهَا ؛ فَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ مِنْ أَجْلِ الْأَرْكَانِ . وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ تَأَلَّفُ الْأُسْطَقْسَاتِ ؛ وَقَالَ قَائِلٌ : النَّفْسُ عَرَضٌ ^(٢) مُحَرِّكٌ ^(٣) بذاته . وقال قائل : النفس هوائية . وقال قائل : النفس رُوحٌ حَارَّةٌ . وقال قائل : النفس طبيعةٌ دائمةٌ الحَرَكَةِ . وقال قائل : النفس تَمَامٌ لجسمٍ طَبِيعِيٍّ ذِي حَيَاةٍ . وقال قائل : النفس جَوْهَرٌ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُحَرِّكٌ

(١) في كلا الأصلين : « المتحكِّمين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عدد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في (ب) : « متحرك » .

للبَدَن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَحْدِيدِهَا وَنَعْتِهَا أَقْوَالاً أُخَرُ لَأَنَّ الْمَحْظُوطَ^(١) بسيط والمَدْرُوكُ بعيد ، والناظرين كثيرين ، والباحِثِينَ مَحْتَلِفِينَ ، والكثيرةُ فَاتِحَةٌ الاختلاف ، والاختلافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، والحيرةُ خَانِقَةٌ للإنسان ، والإنسانُ ضَعِيفُ الْأَشْرِ^(٢) ، محدودُ الْجُمْلَةِ ، محصورُ التَّفْصِيلِ ، مقصورُ السَّعْيِ ، يَمْلُوكُ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَاتِنَتُهُ^(٣) أَكْثَرُ مِنْ مُدْرَكِهِ ، وَدَعَاوُهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطَاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ، وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرافُ بِهَا — أَعْنِي بِالنَّفْسِ وَبِوَجْدَانِهَا — أَسْهَلُ مِنَ الْفَحْصِ عَنْ كُنْهَيْهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وإنما صَعِبَ هذا لَأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْأَمْرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَنِسْكَرُهُ أَثَقَبَ ، وَاعْظَمُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَعَنِ الشُّبْهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكثَرَتِهَا مَا هُوَ بِهِ كَثِيرٌ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَيْ إِنْسَانٌ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا الذَّنْتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْقَوْلُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مَرَكَّبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ، وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْأٌ يَسِيرُ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا وَبِقَلِيلٍ مِنْهَا جَمِيعُهَا^(٤) ؛ هَذَا مُتَعَذِّرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) في كلا الأصلين : « المخلوط » ... و « المذكور » ؛ وفي كلتا الكلمتين تصحيف وقلب ، صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) الأسر : القوة . وفي (ب) : « الأس » بضم الهزة وتشديد السين ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا . (٣) في كلا الأصلين « وفلتته » ؛ وهو تحريف .

(٤) وودت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من النقط مطموس بعض حروفها والسياق يقتضى ما أثبتنا .

ويكفي أن تعلم أن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المصروفة للأسطقسات والعناصر المنتهية، وبين العقل النير لها، الطالع عليها، الشائع فيها، المحيط بها؛ وكان أن الإنسان ذو طبيعة، لأنارها الظاهرة في بدنه [كذلك هو ذو نفس، لأنارها الظاهرة في آرائه] وأنجائه، ومطالبه ومآربه؛ وكذلك هو ذو عقل لتمييزه وتصقحه، واختباره وفحصه واستنباطه، وتيقينه وشكّه، وعلمه وظنه^(١)، وفهمه ورويته وبديته وذكره، وذمّه وحفظه وفكره، وحكمته وثقته وطمأنينته؛ وكذلك هو ذو اعتراف بالأحد^(٢) الذي لا سبيل إلى جحده، والبراء من هويته، وكيف يجد أثر الجحد، أو يحس بفساد من الشك؟ وسنخه ينبو عن ذلك، وفطرته تأباه، ولهذا الثبوت والإباء^(٣) يفزع إليه، ويتوكل عليه، ويطلب الفرج من عنده، ويلتمس الخير من لدنه، فأنظر إلى هذه السلسلة الوثيقة التي لا يفصمها شيء لا في زمان ولا في مكان، ولا في بقعة ولا في منام؛ فهذا هذا؛ وفيه مقنع.

وأما فعل النفس، فقد وضع أنه إثارة العلم من مظانه؛ وأستخلاصه من العقل بشهادته، مع إفاضات لها آخر، وإنالات منها جليلة عند الإنسان، بها يقال ما يكمل به، وبكماله يجد السعادة، وبسعادته ينجو من شقوته.

وأما قوله: ما الذي استفادت في هذا المكان، فإنها أفادت وما استفادت، (٥) إلا أن تجعل إفادتها للقابل منها استفادة لها؛ وفي هذا تجوؤ ظاهر، ولا يقال للشمس إذا طاعت على بسط الأرض والعالم: ما الذي استفادت. ولكن

(١) في (ب): «وظنته».

(٢) في كلا الأصلين «بالحد»؛ وهو تحريف؛ وسياق الكلام الآتي يقتضي ما أثبتنا.

ويريد بالأحد الله تعالى.

(٣) في (أ): «البنون والآباء»؛ وهو تحريف في كلا النقطتين.

يقال : ما الذى أفادت . فيعلم حينئذ بالبيان أنها أفادت أشياء كثيرة ، صوراً مختلفة ، ومَنافعَ جَمَّةً بالقصدِ الأول ؛ وأما القصدُ الثاني فأضدادُ هذه ، وهذا القصدُ مفروضٌ باللفظ ليكون مُعيناً على تبليغِ الحِكْمَةِ إلى أهلِها .

(٦) وأما قوله : بآى شىء باينت النفسُ الروحَ فهو ظاهر ، وذلك أن الروحَ جسمٌ يَضْمُفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وهو واسطةٌ بين البدن والنفس ، وبه تفيضُ النفسُ قواها على البدن ، وقد يُحْسُ ويتحرك ، ويَلْدُ ويتألم ؛ والنفسُ شىءٌ لا يسيطُ على الرتبة ، بعيدٌ من الفساد ، منزّهٌ عن الاستحالة .

وأما المانعُ أن تكون النفسُ جسمًا [فللبساطة التى وُجدت للنفس ولم توجد للجسم ؛ وبيانُ هذا أن كلَّ نعتٍ أُطلق على الجسمِ نُرِّثَتْ عنه النفسُ ، وكلَّ نعتٍ أُطلق على النفسِ نَبَا عنه الجسمُ ؛ فذاك كان المانعُ من ذلك . وقد أتت مذاكرةُ فى النفسِ منذ ليالٍ بشرحٍ مُعِينٍ ، وبيانٍ تامٍّ ، إلا أن هذا المكان أحوجُّ إلى الإلزام ، ولم يأت على ما فى النفسِ . وإذا بطل أن تكون النفسُ جسمًا [فمضى بالآ لا تكون عَرَضًا أَقْمَنُ وأَخْلَقُ ، لأنه لا قِوَامَ لَعَرَضٍ بِنَفْسِهِ .

(٧) وأما قوله : وهل تَبْقَى ؟ فكيف لا تَبْقَى وهى مُبْسُوطَةٌ لا يَدْخُلُ عليها ضِدٌّ ، ولا يدبُ إليها فسادٌ ، ولا يَصِلُ إلى شىء منها بلى . والإنسانُ إنما يَبْلَى وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَفْقَدُ ، لأنه يفارق النفسَ ، والنفسُ تُفَارِقُ ماذا حتى تَكُونُ فى حُكْمِ الإنسانِ بِشَكْلِهِ ؟ ولو كانت كذلك كانت لَعَمْرى تَمُوتُ وتَبْلَى ، فأما والإنسانُ بها كان حيًّا وَجَبَ ألا يكون حُكْمُها حُكْمَ الإنسانِ .

وأما قوله : أو هما ، فقد بان أن النفسَ متى لم تكن جسمًا ولا عَرَضًا على حِدَةٍ أنهما لا تكون أيضاً بهما نفسًا ، لأنَّ البَيِّنُونَةَ التى مَنَعَتْ فى الأول هى

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرُ حَتَّى إِذَا جُمِعَ
بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرُ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَا ،
لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَقِلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ
الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَنْفَى ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَنْبَقِي وَلَا تَنْفَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا
مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمُرْضِ] لِلتَّحْتَالِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ
لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَقْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ
السُّفْلِيِّ الَّذِي لَا ثَبَاتَ لَهُ وَلَا صُورَةَ ، لِقَلْبَةِ الْحَيُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيُولَةِ
حَيُولَةِ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَاضُ الْأَلَمِ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ
كَرْبٍ حَبْسِي ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهِيجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ
فِي حَالٍ مَاهُوٍّ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رُوحِهِ ،
وَأَخِذًا مِنْ حُبُورِهِ وَغِبْطَتِهِ ، وَمُذْخِلًا لِلتَّنْغِيصِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَلَا إِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَذْيِيرِ الطَّبِيعَةِ الْمَادَّةِ
الْخُصُوصَةِ بِالشُّوَرِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمَوْيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ
يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَتَّى نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَيٌّ] مِنْ قِبَلِ
الْحَيِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالتَّمْيِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ
وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَيٌّ شَرِيكَ الْحَيْوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ
حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكَ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَالَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَصُولِ : « وَهَلْ تَنْفَى » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ إِذْ قَدْ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكهة التَّلكِ بقوة الاختيار البَشَرِيَّةِ ، والنورِ الإلهيِّ ، — أعني يُنْعَتُ^(١) في حياته هذه التي وَهَبَتْ له بَدْءًا ، بصحة العقيدة وصلاحِ العملِ وصدق القول — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكًا فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِحِلْيَتِهِ ، ولَمَّا كان جنسه مُشتملاً على التفاوت الطَّويلِ العَرِيضِ ، كان نوعه مُشتملاً على التفاوت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أَنَّ الجنسَ يَرْتَقِي إلى نوعٍ كاملٍ ، كذلك النوعُ يَرْتَقِي إلى شَخْصٍ كاملٍ .

وأما قوله : هل الحدُّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإنَّ الحدَّ راجعٌ إلى (١) واضعِهِ ومُنَقَّصِيهِ^(٢) بدلالة أَنَّهُ يَضَعُهُ وَيُفْصِلُهُ^(٣) ، وَيُخَلِّصُهُ وَيُسَوِّيهِ وَيُضْلِحُّهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هو ما هو ، حَدَّهُ صاحِبُهُ أم لم يَحْدَهُ ، رَسَمَهُ قاصِدُهُ أم لم يَرَسُمْهُ ، فلاحظ الحقيقة عَيْنُ الشيء [وموضوع الحدِّ ليس هو عَيْنَ الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة ، فهي أيضاً قوةٌ نفسيةٌ ، فإن قلتَ عَقْلِيَّةٌ لم تُبْعِدْ ، (١٠) وإن قلتَ إلهيَّةٌ لم تُبْعِدْ ، وهي التي تَسْرِي في أثناء هذا العالمِ مُحَرَّكَةً وَمُسَكَّنَةً ، وَمُجَدِّدَةً وَمُبْلِيَّةَةً ، وَمُنْشِئَةً وَمُمِيدَةً ، وَمُحْيِيَّةً وَمُيِّمَةً ، وتصاريفها ظاهِرةٌ لاجتماعِها ، وهي آخرُ الخلفاء في هذا العالمِ ، وهي بالموادِّ أَعْلَى ، والموادُّ لها أَغْشَى ؛ وليس لها رَقِيَّتُ النَّفْسِ في الثاني^(٤) إلى عالمِ الرُّوح ، لَأَنَّهُ لَا كَوْنَ هُنَاكَ وَلَا فَسَادَ ، وَلَوْ رَقِيَّتْ إِلَى هُنَاكَ لَبَقِيَّتْ عَاطِلَةً ، وليس كذلك النفسُ ،

(١) في (١) : « يقيني » ؛ وفي (ب) : « يقيني » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين وأمل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لا معنى له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « ويطله » . وهو تحريف . (٤) في الثاني أى في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والغبطة ، والحُبُورَ والشُّرُورَ ، والدَّوامَ والخُلُودَ
والخِلافةَ الإلهيةَ ، وهذا هُناك في مُقابلة ما كان لها هاهُنا من الفضائل التي لا يأتي
عليها إحصاء ، ولا يحصّلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهَلَا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ . فهو يُغْنِي عنها ، ولكن في
جِنْسِ الحيوان الذي لم يكْمُلْ فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأنَّ
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى تُخسب .

وأما قوله : وهَلَا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ الرُّوحِ ، فإنَّ الرُّوحَ كالألة للنفس
حتى يَنْفَذَ تدبيرُها بوساطته في صاحب الروح ، وليس ذلك لعجزِ النفس ،
ولكن لعجزِ ما يَنْفَذُ فيه التدبير ، وإذا حَقَّقَ هذا الرَّمْزُ لم يَكُنْ هُناك عَجْزٌ
لأنَّه نظامٌ موجودٌ على هذه الصورة ، وصورةٌ قائمةٌ على هذا النظام ، فليس
لأحد أن يُعَلِّلَ ذلك بِلِمٍّ ولا بِكَيْفٍ إلا من طريق الإقناع .

(١٢) وأما قوله : هَلَا كَفَّتِ الطَّبِيعَةُ . فقد كَفَّتْ في مواضعها التي لها الولايةُ
عليها مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، كما كَفَّتِ النفسُ في الأشياء التي لها عليها الولايةُ مِنْ
قِبَلِ الْعَقْلِ ، كما كَفَّى الْعَقْلُ في الأمور التي لَهُ الولايةُ عليها مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وإن
كان مجموعُ هذا راجعاً إلى الإلهِ فإنه في التفصيل محفوظُ الحدودِ على أربابها ؛
وهذا كالمَلِكِ الَّذِي لَهُ في بِلَادِهِ جَمَاعَةٌ فيصُدُّونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَيَنْتَهُونَ إلى أَمْرِهِ ،
وَيَتَوَخَّونَ في كُلِّ ما يَفْقِدُونَهُ وَيَحْلُونَهُ ، وَيَنْقُضُونَهُ وَيُزِمُّونَهُ ، ما يَرْجِعُ إلى
وَفَائِهِ ، وَكُلُّ ذلك مِنْهُ وَلَهُ وَبَأْمَرِهِ ، وقد كفاه أولئك القومُ ذلكَ كُلَّهُ .

فإن قال قائلٌ : فكيف ممّلت سياسة إلهيةً بسياسة بشريةً ، وأين هذه
مِنْ تِلْكَ ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يُجِدْ هذه السياسة من تلقاء نفسه ولا بما هو به مَبِينٌ ضَعِيفٌ عاجزٌ مسكين ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الشُّور ، فهو إذا أَبْرَزَ شيئاً أَبْرَزَ على مِثَالِ تلك ، لأنه قد أُعْطِيَ القالب ، فقد سَهِّلَ عليه أن يُفْرِغَ فيه ، ووهب له الطابع ، فهو يُخْتِمُ به ؛ وهَيَّأَ على ذلك فهو يَجْرِي عليه ، وهذا سَوَقٌ إلهي وإن كان الانسياق ^(١) بَشَرِيًّا ، ونَظَمٌ رُبُوبِيٌّ وإن كان الانتظام إنْسِيًّا ؛ وفي الجملة إحدَى السَّيَاسَتَيْنِ ، أعنى البَشَرِيَّةَ هِيَ ظِلٌّ لِلْأُخْرَى ، أعنى الإلهِيَّةَ ، والشُّفَلِيَّاتُ مُنْقَادَةٌ مُنْفَعِلَةٌ لِلْعُلُوبِيَّاتِ ، والعُلُوبِيَّاتُ مُسْتَوَلِيَّاتٌ عَلَى الشُّفَلِيَّاتِ ، بحقِّ القُدُلِّ وما هو مقتضاها ، ولأنَّ هذه قَوَاعِلُ ، أعنى العُلُوبِيَّاتِ ، وتلك قَوَابِلُ ، أعنى المُنْفَعِلَاتِ ، وَوَجَبَ ذلك لأنَّ الصورة في الفاعل أَغْلَبَ ، والهَيُولَى في القابلِ أَغْلَبَ ، والقَالَمَانِ مُتَوَاصِلَانِ ، والسَّيَاسَتَانِ مُتَمَامَتَانِ ، والسَّيَرَتَانِ مُتَعَادِلَتَانِ ، والتَّدْبِيرَانِ مُتَقَابِلَانِ ، ولَسَكُنَ التدبير إِذَا نَفَذَ فِي الشُّفْلَى يُسَمَّى بَشَرِيًّا ، وَإِذَا نَفَذَ فِي الْعُلُوبَى يُسَمَّى إلهِيًّا ، وإن كانا في التَّحْقِيقِ إلهِيَيْنِ ، وَإِنَّمَا اختلفا بِحَسَبِ الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ ، والفُصُولِ وَالْوُصُولِ ، والشُّخُوصِ ^(٢) والبُلُوغِ ؛ والعادة جاريةٌ بأنَّ يُشَبَّهَ الإنسانُ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَلَا يُشَبَّهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، لَأَنَّ لِلْأَعْلَى النِّقْمَتَ الْأَوَّلَ ، وللأَسْفَلِ النِّقْمَتَ الْأَوْدَلُ ؛ فهِذَا كَمَا تَرَى .

وأما قوله : وما العقلُ ، وما أُنْحَاوُهُ ، وما صَنِيمُهُ . فإنَّ الجواب عن هذا ^(١٣) لو وقع ^(٣) في خَلَدٍ كَثِيرٍ ، لَسَكُنَ مَحْمُولاً عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَكَذَلِكَ فِيهَا تَقَدُّمٌ ؛ وَلَسَكُنَ

(١) في كلتا النسختين « الاشتياق » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخوص هنا الارتحال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسختين « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .

هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، وهذان لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وبإلا بتفريق العلائق الموضحة . وبعد ، فالعقل أيضاً قوة إلهية [أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية] أبسط من الأسطقات ، وكما أن الأسطقات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فألتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا فدى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن ببعيد ، وإن قيل بأن أسمه من عن نفته لم يكن بمنكر ؛ وإنما عجزنا عن تحديد هذه البسائط لأنها حاولنا عند علمها^(١) أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن تصير لنا أصناماً نتمثلها ونوكل بها^(٢) ؛ وهذا منا تعجرف مردود علينا ، وخطأ يلزمنا الأعذار منه إلى كل من أحس به منا ؛ وينبغي أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجبته عن معارفنا ، ورفعنا عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكلنا المشتعلة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحص عن آثاره في خفيضه فإنه تميز وتخصيل وتصفح وحكم ، وتصويب وتخطئة ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإتاك أيها السامع أن يكون مفهومك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثرة الواحد فهو أشد خطأ معن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلتا النسختين « علمائها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في كلتا النسختين « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المَرَكز ؛ وتوحيد الكثير استِعْلافاً إلى المحيط ، بل يجب أن يكون محصولك منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بتراذف هذه الكلمات ، وتصاحب هذه الصفات .

وأما انحناؤه على قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أعقل من فلان ، وفلان في عقله لومة^(١) ، وفلان ليس بعاقل ؛ وأصحاب العقل أنصباؤهم منه مختلفة بالقلة والكثرة ، والصفاء والكدر ، والإنارة والظلمة ، والأطافة والكثافة ، والخفة والحصافة ، كما تجدهم مختلفين في الجور والألوان والخلق بالطول والقصر ، والعش والقمح ، والأعتدال والانحراف ، والرد والقبول ، إلا أن هذا القميل يدرك بالحس ، ويُشهد بالعيان ، ويُعاین بالحضور ، وذلك القميل محبوب عن هذا كله ، فلم يجوز أن تكون الإحاطة بتهاووت ما غاب [عَنَّا] في وزن [الإحاطة^(٢)] بتفاوت ما حصر ، فإنهما ما تباينا ليماً تليفاً ، بل ليمختلفاً ، وهذا التفاوت مُعْتَرَف به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يتباينون في مقادير ما يملكون من المال ، ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند جماعتهم ، ولا يتفقون على نوع واحد أيضاً من أعيان المال ، لأن هذا يملك الصامت ، وذلك يملك الناطق ، وهذا يمارس القر ، وهذا يمارس الخوف ، وهذا ينظر في الصرف ، وهذا يبيع الحيوان ، وكل منهم صاحب مال ومباشر له ؛ وعلى هذا المثال أخذى أهل العقل في مطالعهم ، فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الآخر ، أعني أن هذا ينظر في الهندسة ، وهذا في الطب ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوعة الحروف تتمذر قراءتها ؛ والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها .

ولهذا في النحْو ، وهذا في النقه ؛ والعبارةُ تَمْنَعُ من إشباع هذا المعنى ، ويَحْصُرُ هذا الفنَ ، فعلى هذا أنْحَاوْهُ ، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية .

وأما صَنِيعُهُ فهو الحكمُ بقبُولِ الشيء ورَدَهُ ، وتَحْسِينُهُ وَتَقْيِيحُهُ ، إذا كان المَعْرُوضُ عليه على جهته غيرَ مَوَّةٍ ولا مَعَشُوشٍ ، ولا مُشْتَبِهٍ فيه ولا مَلْبُوسٍ ، فإن كان مَوَّةً اُخْتَلَفَ حُكْمُهُ ، لأنَّ العَقْلَ يَرَى الباطِلَ حَقًّا في وَفْتٍ ، ويرى الحقَّ باطلاً في وَفْتٍ ، معاذ الله مِنْ هذا ، ذلك لِجِسِّ المَنْقُوصِ ، والدَّهْنِ المَلْبُوسِ ، لأنَّ^(١) العارِضَ مَوَّةً مَعْرُوضَهُ على العَقْلِ ، فَحَكَمَ لَهُ بما يَسْتَحِقُّهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ العارِضُ لَمْ يَشْعُرْ بِذلك التَّمَوِّيَةِ ، ولم يَفْطَنَ لَذلك العَشِّ ، فحينئذ يَهْدِيهِ العَقْلُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيَفْتَحُ عَايَهُ ، وَيَنْصَحُ لَهُ .

وأما قوله : وهل يُعَقِّلُ العَقْلُ ، فإن الأولى أن يقال : العاقلُ يَعْقِلُ بالعقلِ مَعْقُولَهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ : السَّرَاجُ أَضَاءَ النَّبِيتَ ، وَيُعَدُّ أَنْ يُقَالَ أَضَاءَ نَفْسَهُ ، لِأَنَّهُ مُضِيٌّ بِنَفْسِهِ ، فَلَيْسَ بِهِ قَفَرٌ إِلَى أَنْ يُضِيَّ نَفْسَهُ ، وَإِنَّمَا أَضَاءَ غَيْرَهُ ... (٢) . وَلَوْ عَقَلَ الْعَقْلُ لَمَقِلَ بِالْعَقْلِ ، وَهَذَا إِذَا اسْتَمَرَّ كَانَ سَرْدُودًا ، وَنَحْنُ إِذَا قُلْنَا : عَقَلَ الْعَاقِلُ مَعْقُولَهُ ، فَإِنَّمَا نَحِفُهُ بِأَنَّهُ أَنْفَعَلَ أَنْفَعَالًا كَمَلٍ ، وَالْعَقْلُ يَرَى مِنْ هَذَا الْأَنْفَعَالِ أَلَّا يَتَوَخَّى أَنَّهُ يَعْقِلُ الْإِلَهَ الَّذِي هُوَ بِهِ مَا هُوَ ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَضُرَّ^(٣) بِهِ أَنْفَعَالٌ لَائِقٌ بِهِ يَكُونُ عِبَارَةً عَنْ شَوْقِهِ^(٤) إِلَيْهِ ، وَكِبَالِهِ بِهِ ، وَأَقْتَبَاسِهِ مِنْهُ ، وَهَذَا صِرَاطٌ حَدِيدٌ ، وَالوَاطِئُ عَلَيْهِ عَلَى خَطَرٍ شَدِيدٍ ، وَالْوُتُوفُ

(١) وردت هنا كلمة : « لكن » . في الأصول وهي زيادة من الناسخ .

(٢) ورد موضع هذه النقطة في كلتا النسختين : « إلى لأنه أضاءه » ، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا . (٣) في كلتا النسختين « يرضن به » بالنون مكان الراء ؛

ولم نقين له معنى في هذا الموضع ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يرضن به » باللام .

(٤) في كلتا النسختين « سوقه » بالسين وهو تصحيف .

دونه أصدعُ بالحُجَّة ، وأوضحُ للعُدْر ، لأنَّ الإنسانَ خَوَّازٌ بالطَّبع ، وإن كان جَسُورًا بالنَّفس .

(١٤) وأما قوله : وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ، فَإِنَّ أَرِيدَ بِذَلِكَ النَّفْسُ النَّامِيَّةُ والحيوانية فهو قريب ، وأما الناطقةُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَبْعُدُ مِنْهَا [لأنَّ ذلك التَّنَفَّسُ أَسْتَمْدَادُ شَيْءٍ بِهِ يَكُونُ الشَّيْءُ حَيًّا] أَوْ كَالْحَيِّ ؛ وَالنَّاطِقَةُ غَنِيَّةٌ عَنْ ذَلِكَ .

فإن قيل : فهل تَقْتَدِسُ مِنَ الْعَقْلِ وَتَسْتَمِدُّ ؟ قيل : هذا لَا يُسَمَّى تَنَفَّسًا ، وَلَيْسَ اللَّفْظُ يُبَعِّدُهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ تَأْوِيلُ فِي الْوَضْعِ ؛ وَلَا وَجْهٌ فِي الْأَعْتِمَالِ (١) وإدخال العَوِيصِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى رَفْعِ اللَّبْسِ وَزَوَالِ الْإِشْكَالِ ، مُدَاجَاةٌ فِي الْعِلْمِ [وَخِيَانَةٌ لِلْحِكْمَةِ] وَجِنَايَةٌ عَلَى الْمُسْتَنْصَحِ .

وأما مَرَّتَبَتُهُ (٢) عِنْدَ الْإِلَهِ فَقَدْ وَضَحَ بِأَنَّهُ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ فَتُخْفَى ، وَتُضَى فَتَنْقَعُ .

فإن قيل : فَالْعَقْلُ أَيْضًا هَكَذَا ، قِيلَ : الْعَقْلُ أَيْضًا شَمْسٌ أُخْرَى ، وَلَكِنَّمَا تَطْلُعُ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَتْ حَاطِيَةً لِلْجِدَارِ وَسَطْحًا ، وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَجَبَلًا وَسَهْلًا ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ أَشْرَقَ مِنَ النَّفْسِ — لِأَنَّهُ مُسْتَخْلِفٌ لِلنَّفْسِ ، وَالنَّفْسُ خَلِيفَتُهُ — كَانَ إِشْرَاقُهُ أَلْفَافًا ، وَمَنَافِعُهُ فِي إِشْرَاقِهِ أَشْرَفَ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّمْسَ نَجَدُهَا بِالْحِسِّ لَهَا غُرُوبٌ وَطُلُوعٌ . وَتَجَلَّى وَكُسُوفٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْعَقْلُ ، لِأَنَّ إِشْرَاقَهُ دَائِمٌ ، وَنُورُهُ مُنْتَشِرٌ ، وَطُلُوعُهُ سَرْمَدٌ ، وَكُسُوفُهُ مَعْدُومٌ ، وَتَجَلِّيُّهُ غَيْرُ مَتَوَقَّفٍ (٣)

(١) فِي (ب) : « الْأَحْتِمَالِ » .

(٢) مَرَّتَبَتُهُ ، يَعْنِي الْعَقْلُ .

(٣) فِي كَلَامِ النَّسَخَيْنِ « مَتَوَقَّفٌ » بِالْمَعْنَى ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فإن قيل : نَرَى الْعَقْلَ يَعْرُبُ عَنِ الْإِنْسَانِ فِي وَقْتٍ [وَيُثَوِّبُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ] . فالجواب أن الرِّصْفَ الذي كُنَّا نَنْعَتُ^(١) به وَنَضَدَعُ بَيِّنَاتِهِ لَمْ يَكُنْ لِعَقْلِ زَيْدٍ وَعَمْرُو ، وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُنْعَتُ بِالطَّلُوعِ وَالْعُرُوبِ ، وَبِالْحُضُورِ وَالْغُيُوبِ ، لِأَنَّهُ هَاهُنَا مَضَافٌ وَمُنْحَازٌ^(٢) ، أَوْ كَالْمُنْحَازِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ هُوَ ، فَإِنَّهُ هُنَاكَ عَلَى بَهْجَتِهِ التَّامَّةِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ ، وَمَلَكُوتِهِ الْأَفْنِيعِ ، وَبَسِيطِهِ الْفَائِقِ^(٣) وَفَضَائِهِ الْعَرِيزِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ يَنْفَعِلُ ، فَقَدْ سَمَرَهُ السَّكَلَامُ عَلَيْهِ فِي طَيِّ مَا سَمَرَهُ ، وَلَيْسَ لِلتَّكْرَارِ وَجْهٌ ، وَلَا فِي التَّطْوِيلِ عُذْرٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : فَنَسِطُ الْفِعْلِ أَكْثَرُ ، أَمْ قَسِطُ الْأَنْفِعَالِ ، فَإِنَّ هَذَا يُأْخِظُ مَنْ وَجَّهَيْنِ ، إِذَا أُحِظَ قَبُولُهُ مِنْ فَيْضِ الْإِلَهِ فَنَسِطُ الْأَنْفِعَالِ أَظْهَرُ ، وَإِذَا أُحِظَ فَيْضُهُ عَلَى النَّفْسِ فَنَسِطُ الْفِعْلِ فِيهِ أَكْثَرُ ، لِأَنَّهُ بِجُودِهِ عَلَى غَيْرِهِ يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وَهَذَا لَطِيفٌ جِدًّا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْمَعَادُ ، فَمَا أَشْهَلُ مُطَالَبَةَ السَّائِلِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَصَبِ الْهَائِلِ ، الَّذِي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وَكُلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوْلَهُ ، وَكُلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّهٌُ إِلَيْهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَتَّبِعُ ، وَكُلُّ مُصَرِّحٍ عَنْهُ يُصَرِّحُ ، وَكُلُّ كَانٍ عَنْهُ يَكْنِي ، وَكُلُّ مُتَرَتِّمٍ بِهِ يَحْدُو ، وَكُلُّ لَحْزٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وَكُلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ . وَنَرَجِّعُ فَنَقُولُ — عَلَى الْعَمَى وَالْبَيَانِ ، وَعَلَى الزَّخْفِ وَالْعَدْوَانِ — : إِنَّ عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيَّتُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيَةِ ، إِمَّا لِأَنَّ الْبَدَنَ

(١) فِي (١) : « نَقْنَعُ » ؟ وَفِي (ب) : « نَتَسَعُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا السَّكَلَتَيْنِ .

(٢) فِي كِلَا النُّسَخَتَيْنِ « وَنَخْتَارُ أَوْ كَالْمُنْحَازِ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَا الْوَضْعَيْنِ .

(٣) فِي (١) : الْفَائِقُ بِالْفَيْنِ وَالْبَاءِ ؟ وَفِي (ب) : « الْفَائِقُ » بِالْفَاءِ وَالنَّاءِ ؟ وَلَمَّا

غير مُحْتَمِلٍ لِمَادَّةِ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا لِأَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَرْزَمَتْ أَمْرًا آخَرَ ، وَلَا يَتِمُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِتَخْلِيلِ هَذَا ؛ وَإِنَّمَا لَهَا .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ مِنْ عَوْدِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ تَخْلِيلُهَا لِلْبَدَنِ وَخُرُوجِهَا عَنْهُ ، وَتَرْكُ اسْتِعْمَالِهَا لَهُ . فَالْجَوَابُ مِنْ طَرِيقِ التَّمَثِيلِ ، وَالرَّضَا بِالرَّأْيِ الْأَصُوبِ ، وَالْحُكْمِ الْأَجْلَى أَنْ يَقَالَ : لَوْ قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ غُرَضِ النَّاسِ وَافِرٍ أَوْ نَاقِصٍ : إِنَّكَ إِذَا فَارَقْتَ هَذَا الْعَالَمَ بَقِيتَ عَيْنُكَ الْبَاصِرَةَ ، وَأَذُنُكَ السَّامِعَةَ ، هَلْ تَرَى ذَلِكَ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَإِحْسَانًا إِلَيْكَ ، فَإِنَّ عَيْنَكَ إِذَا بَقِيتَ أَبْصَرْتَ الْعَالَمَ بَعْدَكَ كَمَا كُنْتَ تَبْهَرُهُ وَهِيَ مَعَكَ ، بَلْ تَبْهَرُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْصَارِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مَعَكَ تَرْمَدُ بِسَبَبِكَ ، وَتَعَشَى مِنْ أَجْلِكَ ، وَرَبَّمَا عَرَضَ لَهَا سُوءٌ بِسُوءِ تَذْيِيرِكَ ، أَوْ بَاتِفَاقٍ رَدَى عَلَيْكَ مِنْ عَشَى أَوْ عَمَى وَخَفَشٍ وَعَمَشٍ وَعَوَرٍ وَأَقَاتٍ ^(١) كَثِيرَةٍ وَهِيَ آمِنَةٌ بَعْدَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الدَّاهِيَةِ ^(٢) ، فَإِنَّا نَعْلَمُ حَقًّا وَعِيَانًا أَنَّهُ يَقُولُ : قَدْ رَضِيتُ بَلْ أَتَعْنِي هَذَا ، وَمَنْ لِي بِهِ ، أَيْ إِنْ أُعْطِيتُ هَذَا فَمَنْ مَعِيَ ^(٣) أَسْمَعُ وَأَبْصُرُ ، وَإِذَا كُنْتُ أَكْرَهُ الدُّنْيَا فِي حَيَاتِي إِذَا فَقَدْتُهَا فَكَيْفَ لَا أُحِبُّ الدُّنْيَا إِذَا وَجَدْتُهَا ، فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّمَثِيلُ وَاقِعًا ، وَهَذَا التَّقْرِيبُ نَاقِعًا ، وَالْحَقُّ فِي تَضَائِعِهِ وَاضِحًا ، فَلْيَكُنْ ذَلِكَ مُطْغًى دَا فِي بَقَاءِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ الَّتِي بِهَا كَانَ إِنْسَانًا ، وَبِهَا كَانَ يَتَنَمَّعُ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، وَبِهَا كَانَ يَعْلَمُ وَيَعْرِفُ وَيَحْكُمُ وَيُصِيبُ ، وَيَجِدُ لَذَّةَ اللَّذِيذِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقْلِ وَالْحَسِّ ، وَبِهَا كَانَ يَتَمَتَّى بِالْبَقَاءِ وَالِدَوَامِ وَالْخُلُودِ ،

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) : « وَذُنُوبَ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَلَمْ يَرِدْ

قَوْلُهُ : « كَثِيرَةٍ » فِي (ب) . (٢) فِي كِلَا النِّسَخَيْنِ « الدَّاهِيَةِ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) فِي كِلَا النِّسَخَيْنِ « مَعِيَ » بِأَلَاءِ وَاللَّامِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ كَمَا يَقْتَضِيهِ

السِّيَاقُ ، وَأَسْمَعُ وَأَبْصُرُ : وَصِفَانِ لِلتَّفَضُّلِ .

وإنما أَسْتَحَالَ ذَلِكَ التَّمَيُّنُ مِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ وَقَسَادِهِ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ
 أَنْتَهُمَا إِلَى الْفَنَاءِ الَّذِي هُوَ مُفَارَقَةُ النَّفْسِ الْجَسَدِ وَتَخْلِيَّتُهَا لِلْبَدَنِ ، وَنِسْبَةُ
 نَفْسِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ أَوْ كَدِّ وَأَلْصَقُ مِنْ نِسْبَةِ الْعَيْنِ إِلَيْهِ ، أَلَا تَرَى
 أَنَّهُ بِالنَّفْسِ إِنْسَانٌ ، وَبِالْبَدَنِ حَافِظٌ لَشَكْلِ [الْإِنْسَانِ] : فَإِذَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ
 فِي هَذَا التَّمَثِيلِ فَائِدَةٌ مَتَمَّنَّةٌ وَحَالَةٌ مَحْبُوبَةٌ هَنِئْتُهُ ، أَعْنَى فِي بَقَاءِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
 حَتَّى يُبْصَرَ بِأَحْدَاهَا هَذَا الْعَالَمَ الْمَخْشُوعَ بِالْآفَاتِ ، وَيَسْمَعَ بِالْآخَرَى مَا يَجْرِي
 فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْأَسْتِحَالَاتِ ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَكُونَ رِضَاهُ بِبَقَاءِ النَّفْسِ فِي مَحَلِّ
 الرُّوحِ وَالْأَمْنِ ، وَمَقَامِ الْكِرَامَةِ وَالسَّكِينَةِ عَلَى حَالِ الْخُلُودِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ،
 إِنَّ هَذَا الْعَجِيبَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْعَجِيبِ عَقْلٌ لَا يَتَلَقَّ بِهِ ، وَرُوحٌ
 لَا يَهْشُ لِسَمَاعِهِ ، وَنَفْسٌ لَا تَجِدُ حَلَاوَتَهُ ، وَصَدْرٌ لَا يَتَصَدَّعُ طَرَبًا عَلَيْهِ ،
 وَالتَّيَاحَانُ ^(١) إِلَيْهِ ، فَإِنْ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ بِهَذِهِ الْفَائِدَةِ ، وَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ،
 لِعَازِبِ الرَّأْيِ ، ضَعِيفِ الْعَقْلِ ، خَفِيفِ الْمُثْقَالِ ، رَدِي الْأَخْتِيَارِ ، قَلِيلِ
 الْحِصَافَةِ ، سَيِّئِ النَّظَرِ ؛ حَيَوَانٌ خَسِيسٌ ، فِي مَسَلِكِ إِنْسَانٍ رَئِيسٍ ؛ فَقَدْ بَانَ — عَلَى
 مَذْهَبِ التَّقْرِيبِ — مَا الْمَعَادُ الْمُشَارُّ إِلَيْهِ ، وَمَا الْإِنْسَانُ مِنْهُ ، وَمَا لِنَفْسِهِ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَيْ نَفْسِ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ،
 وَمَا الْفَرْقُ أَيْضًا بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ ، فَإِنَّمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَنْفُسِ
 بِمَقْدَرِ قِسْطٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْهَا ، وَهَذِهِ الْأَقْسَاطُ إِذَا اجْتَمَعَتْ تَفَاوَتَتْ ، وَإِذَا
 تَفَاوَتَتْ كَانَتْ مِنْهَا نَفْسٌ بَاقِيَةٌ حَيَّةٌ ، وَنَفْسٌ فَانِيَةٌ مَيِّتَةٌ ، أَلَا تَرَى الشَّمْسَ
 كَيْفَ تَطْلُعُ عَلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْمُخْتَلِفَةِ بِالْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ ، وَبِالتَّعَرُّيجِ وَالْأَسْتِقَامَةِ ،
 وَالْأَشْكَالِ الْكَثِيرَةِ ، فَيَقُولُ كُلُّ إِنْسَانٍ : مَشْرِقَتِي أَطْيَبُ مِنْ مَشْرِقَةِ فُلَانٍ ،

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكنْ
حُطوطُ البقاعِ منها مُخْتَلِفَةٌ ؛ فليس بِمُنْكَرٍ [أن تكون | نفسُ زَيْدٍ أَنْجَى
مِنَ السَّكْدِ ، وأُخْلَصَ مِنَ الآفَةِ ، وأَوْصَلَ إِلَى السَّعَادَةِ ؛ ونَفْسُ بَكْرٍ عَلَى
خِلَافِ ذَلِكَ ، وَمَرَاتِبُ هَذِهِ الْأَنْفُسِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْإِضَافَاتِ الْحَاصِلَةِ لَهَا بِأَفْجَاجِهَا ،
وَالْأَنْصِبَاءِ لِلذُّخُورَةِ لَهَا بِأَكْتِسَابِهَا .

فَأَمَّا أَنْفُسُ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ كَالْفَرَسِ وَالْحِمَارِ فَإِنَّهَا أَنْفُسٌ نَاقِصَةٌ غَيْرُ
كَامِلَةٌ ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ إِلَّا الْإِحْسَاسَ وَالْحَرَكَاتِ ، لَمْ يَشَعْ فِيهَا نُورُ
النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ ، وَلَمْ يَنْبَثْ فِيهَا شُعَاعُ الْعَقْلِ السَّكْرِيمِ ؛ فَوَجَبَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
أَنْ تَكُونَ تَابِعَةً لِأَبْدَانِهَا ، جَارِيَةً عَلَى فَسَادِهَا وَبُطْلَانِهَا ، لِأَنَّ الْحِكْمَةَ
أَنْتَهَتْ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ فِي كَوْنِهَا حَشَوًا لِهَذَا الْعَالَمِ وَزِينَةً وَمَنَافِعَ وَمَبَافِعَ
إِلَى غَايَاتٍ وَأَغْرَاضٍ .

- وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلِ الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ حَيٌّ ، وَهَذَا وَقَفَ (١٧)
عَلَى الْأَسْمَاءِ الْجَارِيَةِ ، وَالْعَادَاتِ الْقَائِمَةِ ، وَكَأَنَّ الْحَيَوَانَ إِنَّمَا شَاعَ فِي غَيْرِ الْمَلَكِ
لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَسِّ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَهْتِدَاءِ وَالْقَصْرِفِ عَلَى مَا لَاقَى بِجَنْبِهِ وَنَوْعِهِ
وَشَخْصِهِ ؛ [فَأَمَّا مَا يُعْلَوُّ وَيُنَزَّ عَنْ الصِّفَاتِ فَلَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ حَيَوَانٌ ، وَلَكِنْ يُقَالُ] :
حَيٌّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَسْمَاءِ إِلَى الْعَقْلِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ، وَبِهَذَا الْقُرْبِ قِيلَ أَيْضًا
لِلَّهِ : إِنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنْتَ إِذَا حَدَّدْتَ الْحَيَّ أَوْ الْحَيَاةَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَصِفَ اللَّهَ [جَلَّ
وَعَلَا] بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَفِي الْجُمْلَةِ كُلُّ مَا كَانَ أَدْخَلَ فِي الْبَسَاطَةِ كَانَ أَخْرَجَ
مِنَ التَّرْكِيبِ ، وَكُلُّ مَا كَانَ أَخْرَجَ مِنَ الْبَسَاطَةِ كَانَ أَدْخَلَ فِي التَّرْكِيبِ .
فَأَمَّا الْمَرْكَبُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنَ الْبَسِيطِ إِلَّا الْقَصَبُ النَّزْرُ ، وَالْأَطْلُفُ
الْخَيْالُ ، فَأَسْمُهُ وَاضِحٌ وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَهْلَةٌ ، وَالْعَيْنُ لَهُ مُدْرِكٌ ، لِأَنَّهُ مُحَاطٌ

بحدوده في طوله وعرضه وعمقه .

وأما المركب البسيط الذي ليس له من التركيب إلا النسيب اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والعيان عنه مكشوف ؛ وهذا باب إذا حفظ فهم منه شيء كثير مما يقع فيه الغلط من الإنسان بفكره الردي ، وينفع أيضاً نفعاً بيناً في التغاطل العارض بين المتناظرين على جهة التنافس والتنافس .

قال أبو سليمان : من حرس هذا الثغر أمن من جميع الأعداء ، ومن أهمله كانت جنايته على نفسه أعظم من جنايته عدوه الثائر من ثغره .

وأما قوله : على أي وجه يقال لله حي والملاك حي والفرس حي ، فقد دخل الجواب عنه في ضمن ما تشقّق القول به ، وتحقّق المعنى عليه في حديث المركب والبسيط ؛ وتزيد هاهنا حرفاً يكون ردّاً لما تقدّم ، فنقول : أمّا الإنسان فإنه يقال له : حي بسبب الحس والحركة وما يتبعهما مما هو كمال الحي ، وكذلك الفرس وما أشبهه . وأمّا الملاك فلما كان ما يستحقّه ببساطته مقدوماً عندنا ، لم نقدر على شيء نصفه به إلا ما نصف به أنفسنا بيننا ، ولو كنّا في عالم الملك لعلنا كنّا ندرى بأي شيء ينبغي أن يُنعت ويسمّى ويُذكر ويُحكى ، فإن من كان ممّا في بلاد الصّين فإنه يُسمّى الإنسان والفرس والحمار والبقر بها بتعاليم أهلها بينهم ، وإذا كان هذا مموراً على ما ترى في الملك ، أغنى تسميته الحي ، ونقته بالحياة ، فالله الذي لا سبيل للعقل أن يذكره أو يحيط به أو يجده وجداناً أو لي وأخرى أن يمسك عنه عجزاً وأستخذاء ، وتساوياً وأستعفاء ، إلا بما وقع الإذن به من جهة صاحب الدين الذي هو مالك أزمنة العقول ومُرشدّها إلى السعادات ، وواقفها عند الحدود ، وزاجرها

عَنِ التَّخَطُّطِ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّمْتَ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ أَعْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ التَّنَطُّقِ ، لِأَنَّ الصَّمْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالتَّظَاهَرُ بِالْعَجْزِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطِطَالَةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُوِيَّةُ ، فَأَمَّا كَيْفَ وَلِمَ مَا هُوَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيَّاحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَّرْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتُهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمَقِلِّ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سَلِيَمَانَ : سَمِعْتُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْتُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْزِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْلَا مَحَلَّةُ رَسُوكَ فِي الْمَطَالِبَةِ ، وَإِذْ لَالَهُ بِالْإِلْحَاحِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالِإِجَازُ ، لَا التَّنْطَوِيلُ وَالِإِسْنَابُ ، لَسَكَانَ النَّسِيجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَشْيِ . قَالَ : وَمِنَ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَظَرٌ ، وَلَا بَهَا خَابِرٌ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّلْخِيصِ الْمَفْهُومِ ، وَلَمَّا ذَلِكَ يَرِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا امْتَثِلَ مَا يَرْتَمِسُ قَالَ : مَا شَفَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِيقُ الْمُرَادِ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخَلُّصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْدُولِ جُهِدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَ الْأُسْتِغَاثَةُ مِنْهُ عَلَى سَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيمَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةُ ، أَسْتَغْنَى نَظَرًا أَبْلَغَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ ، بَيِّنَانٍ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيِّنَانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهْلٌ ، وهذا المتناولُ قريبٌ ، وهذا المرعى كَثَبٌ ، كَلَّا ، وإني لأظُنُّ بَلَّ أَحَقُّ أَنَّهُ ليس في بضائع أصحابنا الذين حَوَّلِي مَنْ يُدْرِكُ هَذِهِ المعاني على هَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا قُرِئَتْ عليه ، فَكَيْفَ مِنْ^(١) يُفْرَعُ^(٢) فِي شَرْحِهَا وَتَهْذِيبِهَا إِلَيْهِ .
ثُمَّ تَمَطَّى وَقَالَ : وَأُنْعَاسَاهُ ، وَاضْعَفْ مُنْتَاهَا ؛ ثُمَّ فَارَقْتُ الْجُلُوسَ .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيتامه — كيف تقولُ عِنْدُ مَهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
فكان من الجواب : حَكَمِي الْعَالَمَ : عِنْدَ هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ وَمُسْتَهْلِهِ [وَهَلِهِ]
وإِهْلَالِهِ وَأَسْتِهْلَالِهِ .

(٢) قال : ورأيتُ الخاتميَّ يقولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَامُهَا
وَاوٌ ، وَلَمْ أُوتِرْ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، وَمُعَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا عِلْمَ إِلَّا
عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قلت : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، الْيَوْمَ ذَكَرَ الْأَنْدَلُسِيَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ
حَفِظْتُهَا ، فَقَالَ : هَاتِ يَا مُبَارَكَ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ : مِنْهَا الْبَعْوُ ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ،
وَالْجَعْفُو ، وَهُوَ الطَّيْنُ ، وَالْدَّغْوُ ، مَصْدَرُ دَعَا دَعَوْا ، وَالسَّغْوُ : الشَّمْعُ ، وَالشَّغْوُ :
هُوَ انْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّغْوُ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضًا طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنْ
الْحُصْفُورِ ، وَالْقَعْوُ : مِنَ الْبَسْكَرَةِ ، وَاللَّغْوُ : الْحَرِيرِيُّ . وَالذَّنْبُ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهمة
الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « فزع » .
(٣) لم نجد الهولول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من
الألفاظ التي انفرد المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغات ، والمعو^(١) : الجبِّيُّ من الرُّطَب ، والنَّعو : الشَّقُّ في مِسْفَرِ البَهِير .
قال : هذا حَسَن ، لو أنَّي به الحاتِمِيَّ لَأَوَى شِدَّةَهُ ، وقال : تَنَحَّ فَقَدْ
جاء الأسد وَعَلَبَ الطُّوفَانُ وَخَرَجَ الدَّجَالُ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ،
ما بِالْأُفْحَانِيْنَا تَغْتَرِبُهُمْ هَذِهِ الْخُيَلَاءُ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ النِّقْصُ ، وَيَسْتَمَكِنُ
مِنْهُمْ الشَّيْطَانُ .

قلت : قال أَبُو سُلَيْمَانَ : كُلُّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حِفْظُ اللَّفْظِ وَتَضَرُّفُهُ
وَأَمْلِيَّتُهُ وَأَشْكَالُهُ بَعْدَ مَنْ مَعَانَى اللَّفْظِ ؛ وَالْمَعَانِي صَوْنُ الْعَقْلِ ، وَاللَّفْظُ صَوْنُ
اللِّسَانِ ، وَمَنْ بَعْدَ مَنْ الْمَعَانِي قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ
العقل كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحُمُقِ ، وَمَنْ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحُمُقِ خَفِيَ عَلَيْهِ
قُبْحُ الذِّكْرِ .

الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلةً : ما أَحْوَجَ الْجَبَانَ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحَادِيثَ الشُّجْعَانِ !
وما أَشَدَّ أُنْتِفَاعَ الضَّيِّقِ النَّفْسِ بِاسْتِمَاعِ أَخْبَارِ الْكِرَامِ ، لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ فِي
الْخَلْقِ أَعْرَاضُ ، وَالْأَعْرَاضُ مِنْهَا لَا زِمٌ وَمِنْهَا لَا صِيقُ .

قال : وكان^(٢) عيسى بن زُرْعَةَ سَرَدَ عَلَى سَنَةِ سَمْعِينَ ، لِبَالِي كَانَتْ الْأَشْغَالُ
خَفِيفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ بِالْمَاضِي — نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَصَرِيحَهُ — عَامَّةً ، وَالنَّظَرُ
بِالْحُسْنَى شَامِلًا — أَشْيَاءَ فِي الْخُلُقِ آتَى بِهَا عَلَى عَمُودٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِي ، وَذَلِكَ

(١) في كلتا النسختين « والمعو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا
عن كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .

أنه ذَكَرَ العقلَ والحُوقَ ، والعِلْمَ والجَهْلَ ، والحِلْمَ والسُّخْفَ ، والقَنَاعَةَ
والشَّرَّهَ ، والحَيَاءَ والقِيَمَةَ ، والرَّحْمَةَ والقِسْوَةَ ، والأمانةَ والحَيَانَةَ ، والتَّيَقُّظَ
والغَفْلَةَ ، والثَّقَمَتِيَّ والفُجُورَ ، والجُرْأَةَ والجُبْنَ ، والتَّوَضُّعَ والكِبَرِ ، والوفاءَ
والغَدْرَ ، والنصيحةَ والغشَّ ، والصِّدْقَ والكَذِبَ ، والسَّخَاءَ والبُخْلَ ، والأناةَ
والبَطْشَ ، والعدلَ والجورَ ، والنشاطَ والكسلَ ، والنسكَ والفُتْكَ ، والحَقْدَ
والصَّفْحَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَزُورَ عَيْسَى وَتَذْكُرَ لَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَتَبْعَهُ عَلَى إِعَادَةِ
حُدُودِهَا ، وَإِشْبَاعِ الْقَوْلِ فِيهَا ، مَعَ إِيجَازٍ لَا يَكُونُ بِهِ مَدْخَلٌ لِلِخَلَالِ ،
وَلَا تَقْصِيرٌ عَنْ إِيصَالِ الْآخِرِ بِالْأَوَّلِ .

فَلَقِيتُ عَيْسَى وَعَرَفْتُهُ الْحَدِيثَ ، وَأُمْلِي مَا رَسَمْتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَعَرَضْتُهُ
عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضُ الرِّضَا ، وَلَمْ يَسْخَطْ كُلَّ السَّخَطِ ، وَقَالَ : تَحْدِيدُ
الْأَخْلَاقِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ وَالتَّسْمُحِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَلَابِسَةٌ
تَلَابُسًا ، وَمُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ وَاقِعَةٍ
تُظْهَرُ لِلْحِسِّ اللَّطِيفِ ، أَوْ تَنْصَحُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

ثُمَّ قَالَ : [أَلَا تَرَى] أَنَّ الْفَيْسَرَ مَشُوبٌ بِالرَّوِيَّةِ ، وَالظَّنَّ مَخْلُوطٌ بِالْوَهْمِ ،
وَالذِّكْرَ مَعْنَى بِالْتَّخَيُّلِ ، وَالبَدِيهَةَ جَانِحَةٌ إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ
بِالْفَوْصِ ، وَمَا ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي مَيَّرَ التَّوَضُّعَ مِنْ شَوْبِ الضَّعَةِ ، أَوْ خَاصَّ عُلُوَّ
الْهِمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أَوْ فَرَزَ ^(٢) عِزَّةَ النَّفْسِ مِنْ تَقْصِيرِ الْمُجَنَّبِ ، أَوْ أَبَانَ
الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّعْفِ ؟ ! هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا سَهِّلَ وَأَنْقَادَ ، وَلَسَكِنْ بِالْعَقْلِ
رُبَّمَا عَزَّ وَأَعْتَصَصَ ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِلْقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَمِنْهَا مَا اخْتَلَطَ قُوًى

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَمِنْ هَذَا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَوْ قَرَنَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شديد ، ومنها ما اختلأه ضعيف سهل ، ومنها ما [اختلأه] نصف بين
اللين والشدة ، وهذه ينفع العلاج في بعضها ، ويذهب العلاج عن بعضها ؛
والحزم يقتضى بالآية ما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج .

قال : وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج ، والإنسان والإنسان ،
ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخيل من العرب إلى الجود كان أسهل
عليك من تحويل البخيل من الروم إلى الجود ، والطمع في جبان الترك أن
يتحول شجاعاً أتوى من الطمع في جبان الكرد أن يصير بطلاً .

قال : ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود - وإن كان على ما قدمناه -
نافع جداً ، وإضمارها في النفس مشير أبداً ، فهذا هذا .

(٢) وأما ما قال أبو علي فإنه هذا .

قيل : ما الحلم ؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب .

وقال شيخنا أبو سعيد السيرافي : اعتبره من ناحية الاسم تعطيل لطيفه^(١)
وذلك أن الحلم شريك التعلم ، « فكان الحليم [الذي] يُعدّ فيمن يعلم^(٢) » في
معرض الحليم الذي لا يعاج عليه ولا يكثر له . قال : والتعلم نافع أيضاً ،
وهو أحمَد من التعلم ، لأن الثاني أقرب إلى الثاني ، كما أن الأول أقرب
إلى الحقيقة .

(٣) وقيل لمبى : ما العدل ؟ فقال : القسط القائم على التساوى .

وحكى جالينوس قال : إن الناس لشدة حُبهم لأنفسهم يظنون أن لهم
ما يحبون ، فمن أجل ذلك وقعوا في العجب ؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل « لطيفة » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها . وسياق

الكلام يقتضى ما أثبتنا ، كما ورد في (ب) « هو » قبل كلمة « الذي » .

حَقِيقَتِيَّة ، وَتَيَمُّ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَيَّرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنْكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْقَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُحِبُّ
أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَمَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْإِسَى عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لِفَتْرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَمَا الْكَآبَةُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزَنِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الْحُزْنُ وَالْتَمُّ وَالْهَمُّ وَالْأَسَى وَالْجُزَعُ وَالْخَوَرُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمَنْ تَعَاطَى وَصَفَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْطَ بِطَائِلِ ، وَيَكْفَى أَنْ تَعْرِفَ
شَجَرَةَ الدُّفَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الشَّمْسِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُثْرِ مِنْ شَجَرَةِ السُّفْرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبَ الْمَعَارِفِ تَسْكُرَاتٌ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتٌ .

(٦) قِيلَ : فَمَا الشَّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِنْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الشَّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً ^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَاطَى
الْحِكْمَةَ وَالِدَهْوَبَ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذَلَ الْقُوَّةَ فِي نَيْلِ الْمِغْنَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءَ الْغَيْظِ إِمَّا مِنْ مُسْتَحَقٍّ ، وَإِمَّا مِنْ غَيْرِ مُسْتَحَقٍّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلِّيُّ بِالْعِفَّةِ النَّامَةِ ، أَعْنَى فِي الْخُلُوةِ وَالْعَفْلِ .
قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَائِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِفَّةُ وَاسِطَةٌ
بَيْنَ الْمُقَارَمَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَائِكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ -- عِنْدَ تَدَاغِ الْحَدِيثِ -- أَنَّ
مُورِسَ قَالَ : إِنْ لَأَعْجَبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

على رأى واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقع به نظام .
 قال : وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكًا يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسْتَمَعُ
 له ويُطَاع ، فَمَنْ كَانَ التَّامُورَ الْمُؤْتَمَرُ ، وَالْمُنْهَى الْمُنتَهَى ؛ وَالْعَاقِلُ الْحَصِيفُ يَعْلَمُ
 أَنَّهُ لَا بَدْءَ مِنَ التَّفَاوُتِ الَّذِي بِهِ يَكُونُ التَّصَالُحُ ، كَالْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ ، وَالْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ
 وَالصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ لَهُ .

ثم قال عيسى : مِنْ تَوَابِعِ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ الْقَضْبُ وَالْكَذِبُ
 وَالْجَهْلُ وَالْجَوْرُ وَالذَّنَاءُ .

قال أبو سليمان : أَمَّا الْقَضْبُ فَلَا يَكُونُ مَذْمُومًا إِلَّا إِذَا أُعْمِلَ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ،
 وَعَلَى غَيْرِ مَا يَأْذَنُ النَّامُوسُ الْحَقُّ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْكَذِبُ فَبِهِ أَيْضًا مَصَالِحٌ ، كَمَا أَنَّ
 الصَّدْقَ رَبَّمَا أَفْضَى إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَفَاسِدِ — وَإِنْ كَانَ الصَّدْقُ قَدْ فَازَ بِالْوَصْفِ
 الْأَحْسَنِ ، وَالْكَذِبُ قَدْ وُصِفَ بِالنَّفْعِ الْأَفْبَحِ — فَكَمْ كَذِبٌ نَجَّى مِنْ شَرٍّ ،
 وَكَمْ صِدْقٌ أَوْقَعَ فِي هَوَاةٍ ، وَبَقِيَ الْآنَ أَنْ نَعْرِفَ الصَّدْقَ مَعَ أَوَانِهِ وَمَكَانِهِ ،
 فَيُؤْتَى بِهِ أَوْ يُنْهَى عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ الْكَذِبُ عَلَى حَذْوِهِ وَمِثَالِهِ .

قال : وَأَمَّا الْجَهْلُ وَالْجَوْرُ وَالذَّنَاءُ فَابْنَهَا أَثَافِي الرِّذَالِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ
 يُذْتَنَى مِنْهَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا ، وَلَا يَسْلُكُ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا [سَبِيلًا] فَإِنَّهَا أَعْدَامٌ ؛
 — هَكَذَا قَالَ — ؛ وَالْقَدَمُ كَرِيهَةٌ وَمَهْزُوبٌ مِنْهُ ، وَالْوُجُودُ عَلَى أَنْقَاصِ التَّعَوُّتِ
 أَتَمُّ وَأَشْرَفُ مِنَ الْقَدَمِ عَلَى أَزِيدِ الصَّغَاتِ ، وَإِنْ كَانَ لَا زِيَادَةَ فِي الْقَدَمِ إِلَّا مِنْ
 طَرِيقِ الْوَهْمِ الْعَارِضِ مَا يَصِحُّ وَمَا لَا يَصِحُّ .

(٧) قيل : فَمَا الْمُجَبُّ ؟ قَالَ وَزَنَ النَّفْسِ بِأَكْثَرِ مِنْ مِثْقَالِهَا .

وَقَالَ أَيْضًا : الْمُجَبُّ هُوَ النَّظَرُ فِي النَّفْسِ بِعَيْنٍ تَرَى الْقَبِيحَ جَمِيلًا .

ويقال : الْمُعْجَبُ يَدْعِي أَنْ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْجَبَ مِنْهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا فَالْمُعْجَبُ لَيْسَ بِمُعْجَبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَاسٌ بِالْفَضْلِ الْمَعْشُوقِ ، وَشُعُورٌ بِالسَّكَالِ الْمَوْجُودِ ، وَأَسْتِدْعَاءٌ لِلزِّيَادَةِ مِمَّا صَارَ بِهِ هَكَذَا ، وَأَسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَيْضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْاعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فَمَا الْوَفَاءُ ؟ قَالَ قَضَاءُ حَقٍّ وَاجِبٍ ، وَإِجَابُ حَقٍّ غَيْرِ وَاجِبٍ ، مَعَ رِقَّةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وَحَفِظَةٍ مَرَعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فَمَا الرَّغْبَةُ ؟ قَالَ : حَرَكَةٌ تَكُونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى مِنْهَا مَنُفَعَةٌ .
قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : الرَّغْبَةُ إِذَا كَانَتْ نُطْقِيَّةً كَانَتْ مَبْعُوثَةً عَلَى التَّحَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ ، وَإِذَا كَانَتْ سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كَانَتْ مُلْهِجَةً بِمُؤَاقَمَةِ أَضْدَادِهَا ^(١) مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وتِيل : مَا الْمِهْنَةُ ؟ فَقَالَ : حَرَكَةٌ يَتَقَاطَاها الْإِنْسَانُ بِلاَ حَفَرٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيصَى . الْمِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، وَلَكِنهَا لَمْ يَلِ الدَّلَّ أَقْرَبَ ، وَفِي الصَّنْعَةِ أَدْخَلَ ، وَالصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، وَلَكِنَهَا [رَفَعَ عَنْ تَوَابِعِ الْمِهْنَةِ ، وَفِي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الدَّلُّ أَيْضًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ وَلَكِنْ مِنْ جِهَةِ الْعَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، وَالْمَرْتَبَةِ وَالْمَرْتَبَةِ .

(١١) قيل : فَمَا الْعَادَةُ ؟ قَالَ : حَالٌ يَأْخُذُ بِهَا الْمَرْءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا تَجَرُّى مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : كَانَ هَذَا الْأَسْمُ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أَتَى شَيْئًا مَرَارًا ، فَأَمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّمْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، وَلِهَذَا

ما صيغت الكلمة من عادٍ يعودُ وأعتادَ يعتاد .

وأما قوله : طَبِيعِي ، فمِثْلُ وَجْهِ التَّشْبِيهِ ، لأنَّ الطَّبِيعِيَّ أَشَدُّ رُسُوحًا وَأَثْبَتُ عِرْقًا ، وَأَبْعَدُ مِنَ الْإِنْتِقَاضِ ؛ فَأَمَّا الْعَادَةُ فَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهَا ، وَغَيْرُ مَا تُؤْمِنُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ .

(١٢) قيل : كم الحركات ؟ قال : سِتَّةٌ أَصْنَافٌ ، أَوَّلُهَا حَرَكَةُ الْإِنْتِقَالِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : إِمَّا حَرَكَةُ الْجِسْمِ بِكُلِّهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَإِمَّا حَرَكَتُهُ بِأَجْزَائِهِ كَالْفَلَاحِ وَالرَّحَى ، وَالثَّانِي حَرَكَةُ السَّكُونِ ، وَالثَّلَاثُ حَرَكَةُ الْفَسَادِ ، وَالرَّابِعُ حَرَكَةُ الرُّبُوبِ^(١) ، وَالْخَامِسُ حَرَكَةُ التَّنْفِيسِ وَالْبَلَى ، وَالسَّادِسُ حَرَكَةُ الْأَسْتِحَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : أَمَّا فِي الْجِسْمِ فَمِثْلُ اللَّوْنِ ، وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَمِثْلُ الْغَضَبِ وَالرَّضَا ، وَالْعِلْمِ [وَالْجَهْلِ^(٢)] .

وَالثَّلَاثُ مَكَائِيَّةٌ ، وَالسَّكُونُ وَالْفَسَادُ جَوْهَرِيَّانِ ، وَالْأَسْتِحَالَةُ هَيْئِيَّةٌ ، وَالنَّمُوُّ وَالْأَضْمِحْلَالُ^(٣) مَكَائِيَّانِ .

قَالَ الْكِندِيُّ : وَهَاهُنَا حَرَكَةُ أُخْرَى ، وَهِيَ حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ ، إِلَّا أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَةِ السَّكُونِ فَرْقًا ، لِأَنَّ هَذِهِ لَا مِنْ مَوْضِعٍ ، وَحَرَكَةُ السَّكُونِ مِنْ فُسَادِ جَوْهَرٍ قَبْلَهُ بِمُحْدُوتهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنَّ السَّكُونِ خُرُوجٌ مِنْ حَالٍ خَسِيسَةٍ إِلَى حَالٍ نَفِيسَةٍ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ عِبَارَةٌ بَسِيطَةٌ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ^(٤) مِنْهَا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الدُّنُو » ؛ وَهُوَ تَضَعِيفُ . وَالرُّبُوبُ : الزِّيَادَةُ ، وَقَدْ أَثْبَتْنَا هَذِهِ السَّكَّةَ أَخَذًا مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ فِي تَوْضِيحِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ . مِنْ قَوْلِهِ : « وَالنَّمُو » وَإِنَّمَا أَثْبَتْنَا هُنَا الرُّبُوبَ بِالرَّاءِ وَابْنُ الْقَرْبَةِ مِنْ حُرُوفِ الْأَصْلِ . (٢) هَذِهِ السَّكَّةُ أَوْ مَا يَفْقِدُ مَعْنَاهَا لَمْ تَرِدْ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي اثْبَاتَهَا إِذْ لَا تَنْتَفِقُ الْأَسْتِحَالَةُ إِلَّا بَيْنَ الْفِي . وَمَا يَحَالِفُهُ (٣) يُشِيرُ بِالْأَضْمِحْلَالِ هُنَا إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَةِ الْقَبْضِ وَالْبَلَى ؛ وَهِيَ الْخَامِسَةُ

(٤) فِي (ب) : « يَظْهَرُ » مَكَانَ « يُفْهَمُ »

مَعْنَى مُرَكَّب . قال : وَإِنَّمَا قُلْتُ [هذا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ،
وليس المَعْنَى نَظِيرُ المَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، واللفظ كله من واحد في التركيب
بلغة كل أمة ، والمعاني تَخْتَلِفُ فِي البَسَاطَةِ عَلَى قَدَرِ الْعَمَلِ ^(١) والعقل ، والعامل
والعامل ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارِبًا بِهَا إِلَى مَقْوَمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٌ ،
ولا مُعَانَاةٍ صَانِعٌ ، وَإِنَّمَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدِعِ لِلْمُبْدِعِ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أَلَصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَاءَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأُمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَجْزَ أَنْ يُنْتَعَتَ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَاءَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالتَّحْقِيقِ فِي الْاِخْتِيَارِ
وَصُنِّفَ بِهَا بِالْاِسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَنْحُوهُ وَنَطْلُبَ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهَهُ وَنُكَافِحَهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَأُطِفَ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَإِلَّا كَانَتِ الْعِصْمَةُ تُنْبِتِرُ ، وَالطَّمْعُ يُنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْعَفُ ، وَالرَّجَاءُ يَحْجِبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخُلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَائِكَةُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حَقَائِقَ يَجُوزُ
أَنْ يُبْظَنَ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السَّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنَهاجِ الْمَحْدُودِ .
سُقْتُ كَلَامَ عِيسَى فِي تَصْنِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِلْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدَرِ الْاِخْتِيَارِ ؛ وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَلَّفَةُ : الْمَوَاجِهَةُ
وَالْمُلَاقَاةُ . (٣) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ « لَا عَلَى سَبِيلِ » الْخِ وَقَوْلُهُ « لَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أوراكدّة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَعُّيَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها . للضلال الذى قد لَزِمَهُمْ ، والأصنام التى قد تَرَبَّتْ فى نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التى قد خَاطَلَتْ عُقُولَهُمْ ، والأفئدة التى أَسْتَضْعَبَها مِنْ إِيْخْسَامِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغي أن يتحرّى وَيَتَلَبَّثَ حتّى يَعْرِى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّث ؛ حينئذ أضْمَنُ له أن يَصِحَّ توحيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ؛ وإلى التوحيد تنتهى الفِلسَفَةُ بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها المتشعبة .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ صِنَاعَةٍ لَا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ وَلَا تَدُلُّ عَلَى الْوَاحِدِ وَلَا تَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَالْأَعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ ، وَالْمَصِيرِ إِلَى كَنَفِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ ، وَالْقَسَلِمْ لِأَسْرِهِ ، وَوَجَدْتُ أَرْبَابَ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ ، أَغْنَى الْهَنْدَسَةَ وَالطَّبَّ وَالْحِسَابَ وَالْمُوسِيقَى وَالْمَنْطِقَ وَالتَّنْجِيمَ مُعْرِضِينَ عَنْ تَجَسُّمِ هَذِهِ الْغَايَاتِ ، بَلْ وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الْإِلَهَامَ بِهَذِهِ الْحَقَاقَاتِ ، وَهَذِهِ آفَةٌ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْهَا ، وَالْعَاقِبَةَ مِنْ عَوَاقِبِهَا ؛ وَالسَّلَامَ .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشَّيْءِ الْحَدَّ الَّذِى مَا فَوْقَهُ ^(١) إِفْرَاطٌ ، وَمَا دُونَهُ تَقْصِيرٌ .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلَيَقُ بِالْمَحْشُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلَيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمَقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفَتْيَا مَنَى جَازِمَةً ، وَلَا عَنِ الْقَرَبِ الْعَارِبَةِ مَرْوِيَّةً ، وَلَسْكَنَ إِذَا لَحَظْنَا الْمَعَانِيَ الْمُخْتَلِفَةَ ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَعْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طَرِيقِ الْإِنْفَاعِ الْكَافِ ^(٣) .

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « لإلّا من طريق » وقوله « إلّا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكافى » والباء زيادة من الناسخ .

لِلجَدَلِ وَالتُّهْمَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ الْبُزْهَانِ الْقَاطِعِ بِالْحِجَّةِ ، الرَّافِعِ لِلشُّبْهَةِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ التَّقْلِيدِ الْجَارِي عَلَى السَّنَنِ وَالْعَادَةِ .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أنتم قائلوه ! كان أحسن ، وإذا قيل : ما أكمل أنفسه ! كان أجمل .

قيل له : هل يتساوى الكون والفساد فيبقى الشيء على ما هو به ؟ فقال : أما على الحقيقة فلا ؛ ولكن^(١) على السَّعَةِ ، لأنَّ الكون متصل بالفساد ، إلا أنهما يخفیان في مباديهما حتى إذا امتدَّ الآنان^(٢) فصارا آناً^(٣) واحداً فحينئذٍ بانَّ الكونُ من الفساد ، وبانَّ الفسادُ من الكونِ ، وهذا بالأعتبار الحقيقى ؛ فأما العقل فيرتفع عن هذا ، لأنه يعلم حقيقة الشيء على ما هو عليه ، ولا يقبل من الحسِّ حكمهما ، ولا يختصم إليهما أبداً .

وإنما الحسُّ عاملٌ من عمالِ العقل . والعاملُ يحوِّرُ مرَّةً ويَعْدِلُ مرَّةً ، فأما الذى هذا هو عاملُه فهو الذى يتمقُّبه ، فإنَّ وجده جائزاً أبطلَ قضاؤه ، وإنَّ وجده عادِلاً أمضى حكمه ، ومتى استشير الحسُّ فى قضايا العقل فقد وُضِعَ الشيء فى غير موضعه ، ومتى استشير العقل فى أحكام الحسِّ فقد وُضِعَ الشيء فى موضعه .

قيل : فما الصُّورَةُ ؟ قال : التى بها^(٤) يخرجُ الجواهرُ إلى الظُّهورِ عندِ اعتِقَابِ الصُّورِ إِيَّاهُ .

(١) فى (ب) : «أما» مكان «ولكن» ؛ وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام إذ لا جواب لأمّا بعد ذلك .

(٢) فى (ب) : الأبان . . . أبأ واحداً ؛ وفى (أ) : الاتان . . . «أنا» واحداً ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٣) فى (ب) : «لها» ؛ وهو تحريف .

قال أبو سليمان : هذه الفتيا جزائية ، الصور أصناف : إلهية وعقلية ،
وملكية وطبيعية ، وأسطعسية وصناعية ، ونفسية ولفظية ، وبسيطة
ومركبة ، ومزوجة وصافية ، وبظلية ونومية ، وغريبة وشاهدة .

(١٦) ثم اندفع فقال : أما الصورة الإلهية — وهي أعلاها في الرتبة والحقيقة . وهي
أبعد منا في التحصيل إلا بمعونة الله تعالى — فلا طريق إلى وصفها وتحديد
إلا على التقريب ، وذلك أن البساطة تغلب عليها ، إلا أنها مع ذلك ترتسم
بأن يقال : هي التي تجلّت بالوحدة ، وثبتت بالدوام ، ودامت بالوجود .

(١٧) وأما الصورة العقلية فهي شقيقة تلك ، إلا أنها دونها لا^(١) بالانحطاط
الحسي ، ولكن بالمرتبة اللفظية ، وليس بين الصورتين فصل إلا من ناحية
الثقت ، وإلا فالوحدة شائعة وغالبة وشاملة ، لكن الصورة الإلهية تلحظ
لحظاً ، ولا يلفظ بوصفها لفظاً ، لمساكنها الصورة النفسية ، فإذا كان كذلك
أمكن أن ترتسم فيقال : هي التي تهدي إلى الماثل تلجأ في الحكم ، وثقة
بالقضاء ، وطمانينة للعاقبة ، وجزماً بالأمر ، ودخوضاً للباطل ، وبهجة للحق
ونوراً للصدق .

والفرق بين الصورة الإلهية والصورة العقلية أن الصورة الإلهية ترد عليك
وتأخذ منك ، والصورة العقلية تصل إليك فتعطيك ، فالأولى بقر وقدر ،
والثانية برفق ولطافة ؛ وتلك تحجبك عن لم وكيف ، وهذه تفتح عليك لم
وكيف ، وتلك لا تنحى ولا تطلب ، وهذه تسعى إليها ، ويسأل عنها وتوجد ،
وأنوار الصورة الإلهية بروق تمر ، وأنوار الصورة العقلية شمس تستنير ؛ وتلك
إذا حصلت لك بالخصوصية لا نصيب لأحد منها ، وهذه إذا حصلت لك فانت

(١) في كلتا النسخين : « دونها بالانحطاط » بـ « لا » النافية ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للبذل والإفاضة .

وأما الصورة الفلكيّة فداخلة تحت الرّسم بالعرض ، وللوهم فيها أثرٌ كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكتها مقسومة بين البسيط الذي لا أثرٌ كيب فيه البتّة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التّركيب البتّة ؛ ولهذا صار تأثير الفلك في المتحرّكات عنه أشدّ من تأثير الفلك عن المتحرّك له ، وكأنّه أولُ [متحرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ما علا عنه .

والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف الجواهر .

وأما الصورة الطّبيعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ، لذلك ما هي مزخّرة عن الدّرجة العليا ، وعشقها للقال منها أشدّ من عشقها للقيض عليها ، ولهذا أيضاً كانت منافعها ممزوجة ، ومضارّها بحتة ^(٢) ، وهي تجتمع بين الحكمة والبّله ، وبين الجيد والرّدى ، ولو سألتها لم أنتِ ضارّة نافية ؟ لقات : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمّيت أبا النّفيس يقول في وصف الطّبيعة كلاماً له رَوّثق في النّفس ^(٣) وأنا أصلُ هذه الجملة به .

قال : أيتها الطّبيعة ، ما الذي أنول لك ، وبأيّ شيء أوأخذك ، وكيف أوجه العتب عليك ؟ ! فإنك قد جمعت أموراً منكرة ، وأحوالاً عسيرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا قاعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه العبارة من التحريف .

(٢) في كلتا النسخين « نجية » ؛ وهو تصحيف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السم » .

لَا يَبْقَى نَظْمُكَ فِيهَا بِأَنْتِ شَارِكٍ عَلَيْهَا ، وَلَكِ بَوَادِرُ ضَارَّةٌ ، وَغَوَائِلُ خَفِيَّةٌ تُبْدُو مِنْكَ ، وَتَقَوُّرُ فِيكَ ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّى إِذَا قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ حَكِيمَةٌ ، قُلْنَا فِي بَعْضِهَا : إِنَّكَ سَفِيهَةٌ ، فَالْبَلَّهَ مِنْكَ مَخْلُوطٌ بِالْيَقِظَةِ ، وَالْأَسْتِقَامَةِ فِيكَ عَائِدَةٌ بِالْأَعْرَاجِ ، وَفِيكَ فُظَائِعُ وَتَزَانِعُ ، وَقَوَارِعُ وَبِدَائِعُ ، لِأَنَّ حَرَكَاتِكَ تَسْتَنُّ مَرَّةً أَسْتِنَا مَا نَعْتَقِينَ عَلَيْهِ ، وَتُحْبِبِينَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَرْيغُ أُخْرَى زَيْفًا تَمَقِّينَ عَلَيْهِ ، وَتُبْغِضِينَ بِسَبَبِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ حَرَكَتُكَ نَقْضًا لِلْبِنَاءِ الْمَحْكَمِ ، وَالصُّورَةِ الرَّائِعَةِ وَالنِّظَامِ الْجَمِيِّ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بِنَاءً لِلْمُنْتَقِضِ ، وَتَجْدِيدًا لِلْبَالِي ، وَإِصْلَاحًا لِلْفَاسِدِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عَابِثَةٌ بِلَا قَصْدٍ ، عَائِثَةٌ عَلَى عَمْدٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ صِفَاتِكَ مِنَ الْوَاصِفِينَ لَكَ لَمْ يَعْلَمْ ^(١) مَنْ ظَنَّ ، وَلَا رَأَى مَنْ تَخَيَّلَ ، وَلَا بَعْدُ لَفْظًا مِنْ تَأْوِيلٍ ، وَلَا حَالٍ مَعْنَى عَنْ تَوْهْمٍ ، وَلَا أَسْفَرَ حَقٌّ عَنْ بَاطِلٍ ، وَلَا تَمَيَّزَ بَيَانٌ عَنْ تَمْوِيهِ ، وَلَا وَضَحٌ نَصَحٌ مِنْ غِشٍّ ، وَلَا سَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ تَنَاقُضٍ ، وَلَا خَلَّتْ دَعْوَى مِنْ مُعَارَضٍ ، فَلِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ وَاجْتِهَاتِكَ بِخَطَابِي ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ مَا فِي نَفْسِي ، فَبِالَّذِي أَنْتِ بِهِ قَائِمَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتِ بِهِ مَوْجُودَةٌ ، وَبِالَّذِي أَنْتِ لَهُ مُنْقَلِبَةٌ وَإِلَيْهِ مُنْسَاقَةٌ ، إِلَّا خَبَرْتُكِ عَنْكَ ، وَشَفِيتُ غَلِيلِي مِنْكَ ، وَنَعَتْتُ لِي غَيْبَ شَأْنِكَ ، وَجَعَلْتُ الْخَبَرَ عَنْكَ كَهَيْئَتِكَ ، وَإِنَّمَا ضَرَعْتُ إِلَيْكَ هَذَا الضَّرْعَ ، وَعَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا الْوَجْعَ ، لِأَنَّكَ جَارَتِي وَصَاحِبَتِي ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حِجَابٌ إِلَّا مَا هُوَ عَدُوٌّ مِنْكَ أَوْ مَنِيٌّ ، أَعْنِي بِمَا هُوَ مِنْكَ لُطْفٌ سَحَرُكَ ، وَخَفَاءٌ سَرَّكَ ، وَأَعْنِي بِمَا هُوَ مِنِّي مَا أَعْجَزُ عَنْ اسْتِثْنَائِهِ وَاسْتِضَاحِهِ إِلَّا بِقُوَّةِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ لِحَرَكَاتِكَ فِي أَفَانِينَ تَصَرُّفِكَ ، وَأَعَاجِيبِ عَذَابِكَ وَتَحْيِيْفِكَ .

(١) عبارة (١) « لَمْ نَرِ أَعْلَمَ مِنْ ظَنِّ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شا كَلَهُ أَخَذَ في كَلَامِهِ كالجوابِ عَلَى طريقِ التَّائِسِ والتَّسْلِيَةِ والأَسْتِرَاحَةِ ، وهذا بالواجب ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضِهِ المَجْهُولَةِ ، وَعَوَارِضِهِ العَاجِئَةِ البَاطِنَةِ مِنَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ يَفْتَقِرُ مُتَقَارًا شَدِيدًا إلى هَذِهِ التَّمَوُّتِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ؛ وَهَذَا كَالدَّاءِ والدَّوَاءِ ! وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَكَّمَ فيقولُ : هَلَّا أَرْتَفَعَ الدَّاءَ أَصْلًا فَيُسْتَفْتَى عَنِ الدَّوَاءِ جُمْلَةً ، وَهَلَّا وَفَعَ الدَّوَاءَ أَبَدًا عَلَى الدَّاءِ وَنَفَاهُ وَصَرَفَهُ . فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مَدْخُولٌ ، مِنْ عَقْلِ كَلِيلٍ ، وَلَمْ يَزَلْ إِنَّ مَنْ جَهَلَ القِسْمَةَ الإِلَهِيَّةَ فِي الْأَزَلِ ^(١) بِحَسَبِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ لَبَّابٍ بِهِ الْوَسْوَاسُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ أَوْلَى وَأَتَمَّ وَأَوْثَقَ وَأَحْكَمَ ، يَا وَيْحَهُ ! مَنْ أَيْنَ يُوجِبُ هَذَا الْحُكْمُ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يُبْنِى هَذَا الْقَضَاءُ ؟ وَكَيْفَ يَثْبُتُ بِهِذَا الْوَحْمِ .

وكان يقول أيضاً إِنَّ الطَّبِيعَةَ تقولُ : أَنَا قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْبَارِئِ ، مُوَكَّلَةٌ بِهَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمُسَخَّرَةِ حَتَّى أَنْصَرِفَ فِيهَا بِغَايَةِ مَا عِنْدِي مِنَ النُّقْشِ وَالتَّصَوُّيرِ وَالِإِصْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ اللَّذِينَ لَوْلَاهُمَا لَمْ يَكُنْ لِي أَثَرٌ فِي شَيْءٍ ، وَلَا أَشْيَاءُ أَثَرٌ مِنِّي ، وَكَانَ جُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَخُصُورِي وَغِيَابِي وَاحِدًا ، وَلَوْ بَطَلَتْ نَعَالِي بِطُطْلَانِي مَا أَنَا بِهِ ، وَهَذَا زَانِفٌ مِنَ الْقَوْلِ ، وَخَاطِلٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الظَّنِّ ؛ وَلَوْ أُخْتِمِلَ إِرَادُ كُلِّ مَا كَانَ يَتَنَفَّسُ بِهِ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَالِ نَشَاطِهِ وَأَنْفِيسِهِ لَكَانَ ذَلِكَ صَرَادًا مُسِيحًا ، وَمَشَرَعًا وَاسِعًا ، وَلَسَكُنَّ ذَلِكَ مُتَعَذِّرًا لِمَجْزَى عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ، وَلَآنَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَتَقَلَّصُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أَجُولُ فِي هَذِهِ الْأَكْنَافِ لِكُلْفِي بِالْحِكْمَةِ كَيْفَ دَارَتِ الْعِبَارَةُ سِهَا وَأُمَكِنْتَ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا ، لَا عَلَى التَّقْصِي لَهَا وَبُلُوغِ الْعَايَةِ مِمَّا ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ وَمَنْ يُحَدِّثُ

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأعلى قَلَّةً وأثقلُ وَزَنًا وأحدُ غَرَبًا وألطفُ
أَعْرَاضًا وأكثفُ أَجْرَامًا وأعجبُ رَكِيبًا وأغربُ بَسَاطَةً من أن يأتي عليه
إنسانٌ واحد ، وكلُّ مَنْ^(١) كان في مَسْكِهِ ، وإن بَلَغَ الغَايَةَ في دِمَتِهِ الدِّهْنُ
وحُسْنُ البَيَانِ وبِلاغةِ اللَّفْظِ ، وأَسْتَنْبَاطِ الغَامِضِ في حَاضِرِهِ^(٢) وغَائِبِهِ ؛ هذا
مالا يَتَوَقَّعُهُ العَقْلُ^(٣) .

وأنا أَعُوذُ بالله من هذه الدَّعْوَى ، وأسأله أن يُلْهِمَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتَحَ
وَشَرَحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَنَحَ ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ^(٤) ، فإن الشُّكْرَ قَرَعُ لِبَابِ
الزَّيْدِ ، والمَزِيدُ بَاعَثَ عَلَى الشُّكْرِ الجَدِيدِ ، والشُّكْرُ — وإن خَلَصَ
بالْعِرْفَانِ ، وَجَرَى بِضُرُوبِ البَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بعد النِّعْمَةِ ، وتَظَاهُرِ الفَائِدَةِ بعدَ الفَائِدَةِ .

(٢٠) وأما الشُّورَةُ الْأُسْطَقْسِيَّةُ فهي لَأَمْعَةٌ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ^(٥) بِالتَّنَاطُلِ الموجودِ
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِنَصِيبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى أَحَادِهَا ، أَعْنَى أَنَّ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لَصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالِفَةٌ لَصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَحْدِيدُهَا بِمَا يُقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطَقْسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّهُظُ لَا يَصْفُو ،
وَالْمُرَادُ لَا يَنْهَازُ .

(١) في ب «ما» مكان «من» وفي (أ) «مسئلة» مكان «مسكة» ؛ وهو تحريف في
كلا اللفظين . والمسك : الجلد . ويريد به هنا الشكل ، أي كل من أشبهه وشاكله . أو يريد
به من كان محسوسا في جسمه مقيدا بمادته .

(٢) في كلتا النسختين «في آخره» مكان قوله : «في حاضره» ؛ وهو تحريف .
وفي (أ) و«غائبه مكان» «وغائبه» الوارد في (ب) وهو ما اختلناه ليتقابل الوصفان .
(٣) في كلتا النسختين «إلا عقل» وفي قوله «إلا» تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسَّعَه ؛ وفي كلتا النسختين : و«قدح» بالالف ؛ وهو تحريف .
(٥) في كلتا النسختين : «حسن» ؛ وهو تحريف .

(٢١) وأما الصورةُ الصَّنَاعِيَّةُ فهي أَثْبِنُ من ذَلِكَ ، لأنها مع غَوْصِهَا في مادَّتها بارزةٌ لِلْبَصَرِ والسمعِ ولجميعِ الإحساسِ ، كصورةِ السَّيرِرِ والكُرْسِيِّ والبابِ والخاتمِ وما أشبه ذلك .

(٢٢) وأما الصورةُ الدَّمَشِيَّةُ فهي رَاجِعَةٌ إلى العِلْمِ والمَعْرِفَةِ وتَوَاتُرِ بهما فيما يُحَقِّقُهُما أَوْ يَخْذُمُهُمَا^(١) ، وهي شَقِيقَةُ للصورةِ العَقَائِيَّةِ بالحق .

(٢٣) وأما الصورةُ البَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ البَسِيطِ مَا يَبْزُرُ رِسْمُهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا ،

(٢٤) وأما الصورةُ المَرْكَبَةُ فهي بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِأَثَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مادَّتها ، وبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِأَثَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ البَسِيطِ والبَسِيطِ فَرْقًا يَكَادُ البَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مَرْكَبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ المَرْكَبِ والمَرْكَبِ فَرْقٌ يَكَادُ المَرْكَبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تَفْسِيرُهَا مُعَوِزٌ .

(٢٥) وأما الصورةُ الْمَرْوُجَةُ فهي أُخْتُ الصورةِ المَرْكَبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أُخْتُ الصُّورَةِ البَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَازُجًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظُ ، إِذْ كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) وَلَمْ تَكُونَا مُتَعَانِدَتَيْنِ .

(٢٦) وأما الصورةُ الَّتِيقَاطِيَّةُ فهي تَجْمُوعَةٌ من الإحساسِ ، لِجَوْرَانِهَا^(٣) عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وأما الصورةُ النَّوْمِيَّةُ فهي أَيْضًا مُمَيِّزَةٌ عَنْ أُخْتِهَا ، أَعْنَى الَّتِيقَاطِيَّةِ ، لِأَنَّهَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ غَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الإحساسِ

(١) فِي (١) « لَوْعَدَ مِنْهُمَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ « وَجَوْرَانِهَا » بِالْوَاوِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وعَوَارِضِ السَّكُونِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانِ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي كَطَلٍّ الشَّخْصَ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْ مِمَّا إِلَى آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْ مِمَّا إِلَى نَضْبِ التَّمَائِيلِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَّحَ بِحَقَائِقِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالْتَّقَرُّيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْذِيبِ أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهَلَّةٍ .

(٢٨) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أَتَصَلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الِيقَظِيَّةِ وَالنُّوْمِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنْ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا نَقَلْنَا^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ شَاهِدٌ هُوَ الْمَحْذُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمَبْحُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ، فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بَوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بَوَجْهِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَيْنَهُمَا فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النَّمَتَيْنِ ، وَعَلَوْا هَاتَيْنِ الذَّرَوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِخَصَائِصِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نَقَائِصِهِمْ ، فَلَوْ قُلْتَ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بِشَرٍّ كُنْتَ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ^(١) قَرَارٍ
لِكُنْهَا مَقْصُورَةٌ مَأْصُورَةٌ مَقْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَحْرَارِ
خُسُوفُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنُفُوسُهُمْ تَسْمُو هُمُومُ النَّارِ

(١) فِي بِ الْمَرْجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «تَمَلُّقُ مِنْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي بِ الْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (أ) «الْمَحْذُوظُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) : لَقَدْ وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ ب «هَؤُلَاءِ مَا يَبْغُرُ» ؛ وَفِيهَا

تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَدْ مِمَّا مِنَ النَّاسِخِ كَمَا لَا يَحِقُّ .

(٤) فِي (أ) : لَقَدْ وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّرْحُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لَنْفَر» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَازَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ نَفَذَتْ بِسُورَتِهَا مِنَ الْأَنْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلَ مَا قَدْ آتَرُوا مِنْ صَالِحِ الْأَنْثَارِ
فَتَنَزَّهُوا وَتَسَكَّرَمُوا وَتَعَظَّمُوا عَنْ لُؤْمِ طَنَبِ الطَّيْنِ وَالْأَخْبَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ أَنْتُمْ أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَوْا عَنِ الْأَغْوَارِ
وهذا وصفٌ بليغٌ بالإضافة إلى القوم^(١) ؛
فأما ما وراء هذا فهناك خبرٌ ثقة^(٢) بما قرَّرَ وقال .

(٢٩)

وأما السُّورَةُ اللَّغْظِيَّةُ فِيهِ مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجَبَاءُ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَاكِمِينَ فِيهِ بَيْنٌ مَرَاتِبَ ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،
وعلى الجميع فهي مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذَا الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كَلَامٌ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَارَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِبْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمُوسِيقَارِ ، فَاتَّهَتْ حِينَئِذٍ تَعْمَلِي أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا نَالَتْ
الْإِحْسَاسَ ، وَتَلَوَّبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكُاسَ وَالطَّاسَ ، وَتُرْوِّحُ الطَّنَبَ ،
وَتُنْعِمُ الْبَالَ ، وَتَذَكَّرُ بِالْعَالَمِ^(٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمَتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .

هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِقَ الْحِفْظُ وَلِقِنَتِهِ الذِّهْنُ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُودًا عَنْهُ
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللَّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قال الوزير : هذا بابٌ في غاية الإيفاء والاستيفاء ، ومن يتحكَّك بالاعتراض

(١) في (أ) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام دون (ب) «القول» مكان «القوم» ؛
وهو تحريف فيما يظهر لنا .

(٢) في (أ) التي ورد فيها هذا الكلام وحدهما دون (ب) «حرس» ؛ مكان قوله :
« خبر ثقة » وهو تحريف لا يفهم له معنى . (٣) لعله يريد بالعالم : عالم الروح

عليه فقد صمى^(١)، وأبدى صفحته بالبهت، وذلك من عقله على الدخّل^(٢)، ومن أخلاقه على الخلّل^(٣)؛ لقد وهب الله لهذا الرجل مقامًا عاليًا، ولا عجب فانه معروض بهذا عما فاته.

(٣٠) وقال: أنشدني في الحمر شيئًا غريبًا، فأنشدته:

ومورّد الوجنات يَغْطِ طَرُحِينَ يَخْطُرُ فِي مُورِّدٍ
يَسْتَفِيكَ مِنْ جَفْنِ اللَّجَيْنِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدٍ
حَتَّى تَطْلُنَ الشَّمْسُ تَنَ زِلْ أَوْ تَطْلُنَ الْأَرْضُ تَصْعَدُ
فَإِذَا سَقَاكَ بَيْتَيْنِ وَيَفِيهِ نَمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَاكَ بِالْيَاقُوتِ تَعْدُ تَلْدُرُ مِنْ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِ جَدُ

قال: أحسنت والله؛ هات زيادة: فقلت:

وعذراء^(٥) ترغو حين يَصْرِفُهَا الْفَحْلُ كَذَا الْبِكْرُ تَنْزُو وَحِينَ يَفْتَضُّهَا الْبَقْلُ
تُدِيرُ عَيُونًا فِي جُفُونٍ كَانَمَا حَالِيهَا بَيْضٌ وَأَحْدَاثُهَا نُجْلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِنَائِهَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صمى: مال.

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «الرجل»؛ وهو تصحيف والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٣) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) «الحال»؛ وهو تصحيف؛ والسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا.

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها دون ب هذا الشعر ما نصه:

حياك بالياقوت فو * ق الدر من تحت الزبرجد

وهو تبديل من الناسخ صوابه ما أثبتنا. إذ الحمر المشبهة بالياقوت إنما تكون تحت الحبيب المشبه بالدر؛ وكلاما فوق الكأس المشبهة بالزبرجد.

(٥) يريد بالعذراء: البكر من الحمر. ويريد بالفحل: الماء الذي تمزج به.

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها «أناسا شذود» وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأْنَا إِذَا اشْتَبَكَتْ رِجْلَايَ مِنْ سُورَةِ الْكَرَى
تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْقَطْلُ دَرَجَتْ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَدْرُجُ الْغَطْلُ
وَأَنْشَدْتُ لِآخَرِ:

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلَا خَرِ:

خَلِيلِي لَوْ مَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَلَنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى الْوُومِ مَطْعَمًا
وَشُبًّا ^(٢) سَنًا نَارِ لَعْلٍ نَدِيمَنَا بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَتَبَعَا
فَمَا رَأَعْنَا إِذْ أَوْقَدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا رَاكِبَانِ قَدْ أَوْضَعَا
فَهْشًا إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَا : أَلَا أُنْعِمَا مَسَاءَ فَقُلْنَا : دَامَ ذَاكَ لَنَا مَعَا
وَأَنْشَدْتُ لِآخَرِ:

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُفْنِّ وَلَوْ سَقَوَا جِبَالِ شَمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَغَنَّتِ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا:

الْكَأْسُ لَا تَدْرِي وَلَا الْعَمْرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ عُجِّلَ الشُّكْرُ
أَسْكُرَنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مَنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنَهَا فِي كَفِّهِ بِدُرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها «أوماني» ؟ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؟ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؟ وضرب بهما المثل في الاجتماع

وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنَهَا فِي كَأْسِهِ ؟

وهو خطأ من الناسخ ؟ وسياق المصنف ما أبغنا . إذ للعروف تشبيه الكأس باليد ،
لانتبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعَمْرِي الْخَرُّ يَا سَيِّدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخَرُ :

تَرَكْتُ النَّبِيذَ لِأَهْلِ النَّبِيذِ فَغَارَ لِيَ اللَّهُ فِي تَرْكِهِ
وَقَدْ كُنْتُ قَدَمًا بِهِ مُعْجَبًا أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ^(١)
قَالَ : قَدْ جَرَى هَذَا أَيْضًا عَلَى النَّهْمِ . اخْتَمَ مَجْلِسُنَا بِدُعَاءِ الصُّوفِيَّةِ .

فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْصُولًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَقَلِّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَذَنْفَ عَلَيْنَا بِسِتْرِكَ ، وَسَوْغَنَا بِرِّكَ ، وَأَلْهِمْنَا شُكْرَكَ ،
وَخَفِّفْ عَلَيْنَا أَثْرَانَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصِصْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ اسْمَعْ
وَاسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللَّهِ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غِنِيَّتَهُ ، وَوَالَى
رِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوْهِىَ بِهِ ، وَأَكْلُ مَنْ شُوهِدَ فِي
عَمْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَثَائَتِهِ وَرِثَائَتِهِ ، وَعِيَارَتِهِ^(٢)
وَحَسَاسَتِهِ ،

فَقُلْتُ لَهُ : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَارِفٌ بِهِ .

(١) فِي (١) الْقِيَامُ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّرْ « بِتَكَ » بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ مَكَانَ قَوْلِهِ « سَفْكِهِ »
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى السَّيَاقِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا إِذَ الْمَعْرُوفَ تَشْبِيهِ الْخَمْرِ بِالْمِ الْمَسْفُوكِ ؛
وَقَدْ جَاءَ هَذَا كَثِيرًا فِي الشَّرْ .

(٢) فِي (٢) الْقِيَامُ فِيهَا هَذَا الْكَلَامَ وَحْدَهَا دُونَ (ب) « وَعِبَارَتِهِ » بِالْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ ؛
وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ قَالَ : كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَٰذَا سَنَةِ إِسْعَ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْنَبَارٍ ^(١) أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنِّهِ أَبُو يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَصَدَ الدَّوْلَةَ — بِرِجْدِ اللَّهِ مَضْجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهُوَيْهَ : سِرُّ إِلَى ابْنِ حَرْنَبَارٍ ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّمُنَا بِكَ ، وَتَبَرُّمُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفِضَىٰ ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا النَّوعِ .

قال : وَنَفَذَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ بِشَهْدِ التَّنْبِيلِغِ وَالْأَدَاءِ ^(٣) ، وَاسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَسْمِهِ كَانَ مَقْهُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَاتَّقَىٰ ابْنُ حَرْنَبَارٍ ^(٤) وَشَافَهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى التَّمَامِ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لِمَا سَمِعَ : الْأَمْرُ لِللَّيْلِ ، وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ بِجُدُودِهِمْ يَنَالُونَ حُطُوطَهُمْ ، وَبِحُطُوطِهِمْ يَسْتَعْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ عَجِيبًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَقْصَىٰ مِنِّي ، وَبَلَغَ الْمَنَىٰ مَنْ أَنَا أَشْرَفُ ^(٥) مِنْهُ ، وَلَسَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا حُرْمَتُحُلْ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مِنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَسَكِنَّ أَيُّهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ : أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى مَا رَسِمْتَ ، وَمُمْتَثِلٌ مَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَغْفِي لِي وَطَرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ نَقَطَعَ عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيُصَفَّعَانِهِ مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتَلَفِّ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْإِسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى تَصْبِيحِهِ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيهِ ابْنُ « حَنْبَارٍ » فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَسْمَائِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهُمَا « وَالْأَرَاءِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْفَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا يرثُ اضعيف ، ولا عطاء لسايل ، ولا جائزة لشاير ، ولا مرعى لمنتجع ،
ولا مأوى لضعيف ، فلم يُخاطبُ بسيدنا ، وتقبلُ لك اليدُ ، ويقامُ لك إذا طلعت ؟؟
قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيتُ الملكَ أفصح^(١) له الذي كان ممي مُشرِفاً
على . فلما دَخَلْتُ الدارَ عُرِفْتُ ، فقال : على به ، فحضرته وابنُ يوسفَ قاعدُ بين
يديه على رُسميه . فقال لي : هاتِ الجوابَ عما فَعَدْتَ فيه ؛ فقلت : الجوابُ
عندك ، فقال : ما أعجبَ هذا ! أنتَ حُمِلْتَ الرسالةَ وأطالبُ غيرك بالجواب ؟ قال :
فتلويتُ حياءً من ابنِ يوسفَ ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بفَضِّهِ ، فوالله لا أُنعمُ
إلا به ، ما هذا التواني والتكاسلُ ، فسكرهُتُ اللجاجَ ، فسردتهُ على وجهه ،
ولم أغادرُ منه حَرْفاً ، وابنُ يوسفَ يتقدَّدُ في إهابه^(٢) ، ويتغيرُ^(٣) وجهه عند كلِّ
لفظةٍ تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيفَ ترى يا أبا القاسمِ الكيسَ ؟ فقال :
يا مولانا ، إنما أنا أنفِى الحاجةَ بك ، فإذا لمَ تَقضِها كيفَ أكون ؟ فإن الحوائجَ
كلُّها إليك .

قال : صدَقْتَ ، أنا لا أنفِى حاجةً لك ، لأنك لا تَقصِدُ بها وجهَ الله ، ولا
تُبغِي بها منكرُمةً ، ولا تحفظُ بها مَرُوءةً ، وإنما ترَتِّبُ عليها ، وتُصانِعُ بها ،
وتَجْعَلُنِي باباً من أبوابِ تجارتك وأرباحك ، ولو كنتَ أعلمُ أنك تَقضِ حاجةً
لله أو أمكرُمةً أو لرحمةٍ ورقَّةٍ لكانَ ذلكَ مهلاً على ، وخفيفاً عِنْدِي ، لَكُنْتُ
مَعْرِوفُ المَذْهَبِ في الطَّمَعِ والحيلةِ ، وجَرَّ النارَ إلى قُرْصِكَ ، وشرَّهَكَ في جميعِ
أحوالك ؛ وليس الذَّنْبُ لك ، ولكن لمن رآكَ إنساناً وأنتَ كَلْبٌ .

(١) في كلا الأصلين « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في ب « في ثيابه » ؛ وهو تعريف .

(٣) في (١) « يتميز » .

وَصَدَقَ — صَدَّقَ اللهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ ، وَأَتَمَّنَ النَّاسَ ،
وَأَقْدَرَ النَّاسَ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا تَحْجَر .

وكانت أُمُّهُ مُغْنِيَةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ^(١) الرَّبَّيْزِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ؛ وَوَرَّقَ زَمَانًا ، ثُمَّ
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَتَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونُ ؛
وَكَأَيَسَقُطِ الْفَاضِلِ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدُّ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدُّ ،
فَهَذَا هَذَا ؛

فَقَالَ : مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي ، وَإِنَّهُ لَعَيْنَ الْغَرِيبِ .

(٢) ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ خَبَرُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَتْ
وَتَعَاظَمَتْ ؟ .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : خَبَرٌ مِنْ شَهِدَ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَا فِي آخِرِهَا .
قَالَ : حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبَصُّرَةً وَتَعَجُّبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وَقَدْ قِيلَ : نَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَايَا^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُقَبَّعُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهَةٌ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُمَرِّقُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لَتَسْكُونَ عَلَى
أَهْبِيَةٍ فِي أَخْذِكَ وَتَرَكِّكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُولِكَ ، وَفَيْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يُبْلَقُ فِي التَّهْلُكَةِ كُلِّ الْإِنْقَاءِ .

(١) فِي ب «مَكْتَبَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي (١) «الرَّمْضَى» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (١) «مَرَايَا» ، وَفِي ب «مَرَامَى» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

كان أول هذه الحادثة الفظيمة البسمة التي حيّرت العقول وولّعت الألباب ،
وسافرن عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخذلان ، وعُدِمَتْ فيه البصائر ، شئٌ ، كلا
شئٍ ، وإذا أراد الله [تعالى ذكره] أن يعظم صغيراً قَـل ، وإذا شاء أن يصغر
عظيماً قَـدَر ، لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ، ولا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ ، ولا رَادٌّ لِقَضَائِهِ ، ولا صَارِفٌ
لِقُدْرِهِ ، وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيَارُهُ قَصِيرٌ ، وطَاقَتُهُ
مَقْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحدَّ وهذا ^(١) التَّنَاهِي فهو الذي يَجْزِي عَلَى الإنسان
شَاءَ أَوْ أَبَى ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وهَاهُنَا يُفْرَعُ إِلَى الله مِنْ نَازِلِ الْمَكْرُوهِ ،
وَحَادِثِ الْمَحْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَسَارَتْ إِلَى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ عَلَى مَا عُهِدَ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ، وَكَانَ هَذَا فِي آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، نِغَافٌ ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وَمَا حَوْلَهَا ، وَأَخَذُوا فِي الْأُنْحَادِ عَلَى رُغْبٍ قَذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ ،
لِيَكُونَ سَبَبًا لِمَا صَارَ إِلَيْهِ [الْأَمْرُ] ؛ وَمَاجَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَأَضْطَرَبُوا ،
وَنَقَسَمَ هَذَا الْمَوْجُ وَالْأَضْطِرَابُ بَيْنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَصَارَتِ الْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ،
طَائِفَةٌ تَرَقُّ لِلدِّينِ وَلِمَا دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَسْتَعِظُ ذَلِكَ فَرَقًا مِمَّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، بَعْدَ
مَا يُؤْتَى عَلَيْهِ ؛ وَطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا فِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَالنَّهْبِ وَالْفَارَةِ
بِوَسَاطَةِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وَانْفَرَقَتِ الْخَاصَّةُ أَيْضًا فَرَقَتَيْنِ : فَرَقَةٌ أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَيَّةٌ ^(٣)
لِلْإِسْلَامِ ، وَنُهُوضٌ إِلَى الْقُرْوَ ، وَانْبِعَاطٌ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ قَدْ أَضْرَبَ

(١) فِي «ب» ؛ «وَمَوْ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) «خَلْقٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي «ب» «حَيَاءٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

السلطان عن هذا الحديث ، لأنها كره في القصف والعزف ، وإغراضه عن المصالح الدينية ، والخيرات السياسية ؛ وطائفة اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسن لمادة الرئوب والهميج ، وأقطع لشعب الشاغب ، وأقع خلاف المتهم ؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق ، والتبس الأمر على الصغار والكبار ؛ ويمثل هذا فتحت البلاد ، وميلت الحصون ، وأزيلت النعم ، وأريقتم السماء ، وهتكت المحارم ، وأبيدت الأمم ؛ ونعوذ بالله من غضب الله ومما قرب من [سخط] الله ؛ وإذا أراد الله أمراً كثر بواعته ، وفرق نوابه^(١) .

ولما اشتعلت النائرة ، واشتعلت الشائرة ، صاح الناس : التفرير التفرير ، والإسلامة ، وأحمداه ، وأصوماه ، وأصلاته ، وأحجابه ، وأغزواه ، وأشراره ، في أيدي الزوم والطغاة . وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى الكوفة للصيد ، ولأغراض غير ذلك ؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأماثل والوجوه والأشراف والعلماء ، وكانت النية^(٢) بعد حسنة ، وللناس في ظل السلطان مبيت ومقيل ، يستعذبون وزده ، ويستسهلون صدره ، وعجبوا وضجوا ، وقالوا : الله الله ، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال الفقراء ؛ وأغضبوا الله ولدينه ؛ فإن هذا الأمر إذا تفاقم تعدى ضعفاءنا إلى أقوىائنا ، وبطل رأى كبرائنا في تدبير صغرائنا ؛ والتدأرك واجب ، وهو الإسلام ، إن لم نذب عنه غلب الكفر ؛ وهو الأمن والسكون إن لم نحفظا ، فهو الخوف والبلاء وذهاب الحرث والنسل ،

(١) في كلنا النسخين «نوابه» ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق . ونواب

الأمر : مشيرات دينه ومظهرات خفيه .

(٢) في (١) «الثقة» وفي ب «البقية» وفي (١) «نمد» مكان قوله «بعد» ؛

وهو تحريف

وفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الشَّايِخُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّزُوا مُنْتَهَمَهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَنُوا^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ بِحَثَدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامَ الزَّيْنِيُّ ، وَمُحَمَّدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفٍ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَأَبْنُ
مُكْرَمٍ ، — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ^(٢) بَحْجَى — وَأَبْنُ أَيُّوبَ الْقَطَّانِ
الْقَدْلُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى ، وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْرِيِّ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْعَةِ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
التَّاجِرِ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَعَّدُوا ، وَتَرَبَّعُوا وَبَعَّدُوا^(٦) ،
وَالْتَأَمَّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيَارٍ إِلَى الْكُوفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعَرِّفَهُ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الدُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَاطِرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفْضِ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَتَقَيَّظَ فِي لَيْلِهِ ، مُتَفَكِّرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَقُودُ بِمَرَاشِدِ الدِّينِ ، وَمُنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِدِينَ^(٨) . وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « يَرْتَوَا » بِالتَّاءِ وَسُقُوطِ الْهَمْزِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ،

(٢) سُوقٌ يَحْمِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الْمَرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَتْ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَدَارِ الْمَمْلَكَةِ ؛
وَهِيَ مَنسُوبَةٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ؛ وَهِيَ مَحَلَّةُ ابْنِ حِجَّاجِ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ .

(٣) فِي ب « الزَّهْرِيُّ » مَكَانَ « الزَّيْرِيِّ » .

(٤) فِي (أ) وَنَائِبُ الشَّيْعَةِ وَفِي (ب) « بَابُ الشَّيْعَةِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي ب « الشَّاعِرُ » .

(٦) فِي (أ) « وَقَعَّدُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي ب « وَتَعْلَمُهُ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٨) كَذَا فِي ب . وَالَّذِي فِي (أ) « الْوَارِدِينَ وَالْقَاصِدِينَ » ؛ وَمَا أَمْتَنَاهُ أَوَّلُ بِالسِّيَاقِ ..

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسيج ؛ فاتفق جماعة على صريحة الرأي في الحركة إلى السكوفة ، منهم أبو كعب الأنصاري ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والتوامي ، وابن حسان القاضي صاحب الوتوف ، وأبو أحمد الجبرجاني القاضي البليغ ، وابن سيار القاضي أبو بكر ، وأبو بكر الرازي .

وأما جُعل ، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس ، وأستقفى وأما أبو سعيد السيرافي فإنه ذكر صففاً وسبباً ، وقال : أنا ^(١) أعين في هذه النابذة بإقامة رجل جليد مزاح اليلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل الفقير ، وسارت الجماعة إلى السكوفة ، ولحقت عن الدولة في التصيد ، وانتظرتة ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التفاؤل عنه ، والإمساك دونه ، فأذن ^(٢) لهم بين المغرب والعتمة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقنع العصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، ولا مفرع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه المصير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله المبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [تعالى] قد حصن على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لنا » ، وهو تحريف

(٢) في ب « فأمر » .

والذَّبُّ عن الحَرَمِ والإسلام والمسلمين ، في الدهرِ الصالح ، والزمانِ المطمئن ؛ فكيف إذا اضطربَ الحَبَلُ وانتسكتَ مَرِيرَتُهُ ، وأبرزَ مَصُونُهُ ، وعُرِيَ حَرِيمُهُ بالاستباحة ؛ ونيلَ جانبِهِ بالصَّيْمِ ، وضَفِضَ مَنَارُهُ بالرَّغْمِ ، وقَصِدَ رُكْنُهُ بالهَدمِ ، وأنتَ أيها^(١) المولى من وراءِ سُدَّةِ أمير المؤمنين المطيعِ لله . والحاملُ لأغْيَاءِ حُمَمَاتِهِ ، والناهِضُ بأقْوالِ نَوَائِيهِ وأَحْدَاثِهِ ؛ والمَفْرَعُ إِلَيْكَ ، والمَعُولُ عَلَيْكَ ، فَإِنْ كَانَ مِنْكَ جِرٌّ وَتَشْمِيرٌ فَمَا أَقْرَبَ الْفَرَجَ مِمَّا قَدْ أَظْلَمَ وَأَزْعَجَ ، وَإِنْ كَانَ مِنْكَ تَوَانٌ وَتَقْصِيرٌ فَمَا أَضْعَفَهُ مِنْ خَطْبٍ ؟ وما أَبْعَدَهُ مِنْ شَعْبٍ !! وقد جِئْنَاكَ نَهْضَقٌ عِنْدَكَ مَا بَلَغَكَ مِنْ تَوْسُطِ هَذِهِ الطَّاعِيَةِ أَطْرَافِ الْمَوْصِلِ وَمَا وَالَاهَا ، وَأَنْ النَّاسَ قَدْ جَلَّوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَفُقِتُوا فِي أَدْيَانِهِمْ^(٢) وَصَفَّوْا عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِمْ ؛ لِلرَّغْبِ الَّذِي أَذْهَلَهُمْ ، وَالْخَوْفِ الَّذِي وَهَلَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا بَيْنَ أَطْفَالِ صِفَارٍ ، وَنِسَاءِ ضِعَافٍ ، وَشِيُوخٍ قَدْ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْهُمْ ، فَهَمُّ أَرْضٍ لِكُلِّ وَاطِئٍ ، وَنَهْبٌ لِكُلِّ يَدٍ ؛ وَشَبَابٌ لَا يَقْنُونَ لِعَدُوِّهِمْ لِقَلَّةِ سِلَاحِهِمْ ، وَسُوءُ تَأْتِيهِمْ^(٣) فِي الْمَقَرَّاعِ وَالِدَّفَاعِ ؛ وَنَحْنُ نَسْتَلُكُ أَنْ تَتَوَخَّى فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُزِلُّكَ عِنْدَهُ ، وَيَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ دُخْرٌ مِنْ شَفَاعَتِهِ وَبَحْتِيَارٍ مُطَرِّقٍ .

ثم اندفع على بن عيسى فقال : أيها الأمير ، إِنَّ الصَّغِيرَ يُتَذَرَكُ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرَ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ إِلَّا يَسْتَقْبَلَ بِالْجِدِّ وَالْأَجْتِهَادِ وَهُوَ قَدْ عَسَا وَكَبُرَ . وَاللَّهِ إِنْ^(٤) بِنَا إِلَّا أَنْ يَظُنَّ أَهْلُ الْجَبَلِ وَأَذْرَبِجَانُ وَخُرَّاسَانُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا ذَابٌ

(١) كذا في ب . - عبارة (١) « وأنتَ أمير الأمير المولى ما وراء سيده » ، ولا يخفى ما فيها من اضطراب .

(٢) في (١) « ديارم » ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في ب ؛ والقي في (١) بأسم ؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع

يما يعمد لا بما يليه . (٤) « إن » في هذا الموضع نافية بمعنى « ما » .

عن حريمنا ، ولا ناصِرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٍ لِبَيْضَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٍ لِكُرْبَتِنَا ، ولا مَنْ يَهْتُمُّ شَيْءًا مِنْ أُمُورِنَا ، فَاَللّٰهُ لاَ تَجُرَّنَّ عَلَيْنَا شِمَاتَهُمْ بِنَا ، وَخُذْ بِأَيْدِينَا بِقُوَّتِكَ وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوِيلَتِكَ ، وَغِيْرَكَ وَسُلْطَانِكَ ، وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ بِمَا يَبْعَثُهُ عَلَى حِفْظِ أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِطْلَاعِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ الكلامِ — أطال الله بقاء الأمير — فائدةٌ كبيرة ، ولئن كَانَ الْإِيحَازُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَكْفِي ، فَالْإِطْنَابُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللّٰهُ لَوْ نَهَضْتَ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضُ ^(١) كَمَا تَرَى لَا نُقَلِّبُ مَخْضَرَةً ^(٢) بِكَفِّ ، وَلَا تَرْمِي دُخْرُوجَةً ^(٣) بِيَدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهْضُنَا وَسِرْنَا تَحْتَ رَايَتِكَ ، وَتَعْرِفُنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، وَفَدَيْنَاكَ بِأَرْوَاحِنَا صَنَابِكَ ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ رَبَّيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَدْخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ، وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ فِي حَالِهِ ، فَأَبَاهُ يُفَرِّجْ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَعْمًا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في ب «أحراض» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراض : جمع حرض بالتحريك وهو الكال الممي والمصرف على الهلاك .

(٢) في (١) «مخضرة» بالحاء المهملة ؛ وفي ب «مخضرة» بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو تصحيف في كلتا النسختين . والمخضرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسختين «مخجوة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ولعل صوابه ما أثبتنا . والدخروجة : ما يدرجه الجمل من البندق . أو لعله حديدجة بالتحريك يقال تراموا بالحدج وهو الحفظ الصغير .

وقال العوامي^(١): والله ما سُمِّيتَ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى —
عَدَّ ذَخْرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا، وجعل لهم على يَدِكَ وبتدبيرك راحةً وقوًزًا، ولم
يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ إِلَّا لِتُخَصِّصَكَ بِانْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُبْقَى لَكَ بِهَا
ذِكْرًا يَطْبِقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ أَمْرًا، خُرَاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ وَالْيَمَنَ فَيُصِيبُهُمْ
الْحَسَدُ عَلَى مَا هَيَّأَ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا.

وَنَظَرَ بِخَيْبَارٍ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وكان مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ
خِدْمَتِهِ — فقال: أَيُّهَا الْقَاضِي، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا؟ قال: أَيُّهَا الْأَمِيرُ،
وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ، وَالْمَصَافِعُ الْأَلْبَاءُ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّ دَهْرِي
شَمْسِيهِمْ، وَإِنْ سَحَابَتِي لَا تَبِلُ عَلَى بُلَالِهِمْ^(٣): وَقَدْ قَالُوا فَأَنْعَمُوا^(٤)، وَجَرَوْا^(٥)
فَأَنْعَمُوا، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ، وَلَا وِرَاءَهُمْ أَمَامٌ؛ لَكِنِّي أَقُولُ: مَا جَسَمْنَا
إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكَّافَاتِ إِلَّا لِتَنْظُرَ عَلَى صَفَفِ أَرْكَانِنَا وَعُلُوِّ أَسْنَانِنَا^(٦)، وَقَلَّةِ
أَعْوَانِنَا^(٧)، لِأَنَّ^(٨) رَأْيِنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا، وَالْأَهْطَامِ بِحَالِنَا، وَبِمَا
يَعُودُ نَفْهُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا.

فقال عِزُّ الدَّوْلَةِ: مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ الْبِلَادَ، وَلَقَدْ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ،
وَفَكَّرْتُ فِيهِ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَسُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ. وَمَا أَعْجَبَنِي

(١) في كلتا النسختين «المراق»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا أخذاً مما سبق.

(٢) في (ب) «وهب» مكان قوله «هياً»؛ واللفظ يستقيم عليه أيضاً.

(٣) البلال بكسر الباء وضمة اللام: الماء.

(٤) أنعموا: جودوا.

(٥) في (أ) «وحرروا»؛ وهو تحريف.

(٦) في كلتا النسختين «شأنا»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما أن في (أ)

وحدهما «وغلو» بالفتح المعجمة مكان المهملة؛ وهو تصحيف أيضاً.

(٧) في (أ) «إخواننا»؛ وهو تحريف.

(٨) في كلتا النسختين «اسكننا»؛ وهو تحريف، فإن الاستدراك هنا غير مفهوم:

هذا التفرغ من الصَّغِيرِ والكبير ، وما كَانَ يُجْوزُ لِي أَنْ أَنْتَسَ عَلَى هذه الكارثة ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَلَعَمْرِي إِنَّ الْفَقْلَةَ [عَلَيْنَا] أَغَابَ ، وَالسُّهُو فِينَا أَعْمَلَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَنَى تَهَجِينٌ شَدِيدٌ ، وَتَوْبِيخٌ فَاحِشٌ ، وَإِنَّ هَذَا الْمَجْلِسَ لِمَا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ لَتَتَطَنُّونَ أَنْكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَتَنَبَّيْ لِأُمُورِكُمْ ؛ كَلَّا ، وَلَكِنْ كَمَا تَسْكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَكُونُوا أَشْبَاهِي لَمَّا وَلِيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنِّي كَوَّاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَّا جُعِلْتُ قِيَمًا عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَنْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَغَطَّ غَيْهَ ، وَتَهَجِينُ سُلْطَانِهِ ؛ أَيُّظُنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِنِفَاقِهِ ، وَلَا عَارِفٍ بِمَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ وَاسَانٍ هَذَارٍ يُرَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَمِطُّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاةٍ بِأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنُ السَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا لَكَانَ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَاسَ ، وَكَذَلِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكْفَاةً أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِي ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَتِكُمْ رُشْدًا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَاحِقٌ أَبِي إِنْني لِأَحِبِّ لِقَاءِكَ ، وَأَوْبَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْ لَا مَا يَبْلَغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ، وَتَدْرِيسِكَ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَإِكْبَابِكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَعَلَّبْتُكَ عَلَى زَمَانِكَ ، وَلَا أَشْتَكُرْتُ مِمَّا قَلَّ حَقَّقِي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا مَذْفُوعٌ

(١) فِي (١) «رَأَيْتُمُوهُ مِنْ» ؟ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) «وَلَوْ أَنِّي» ؟ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَمَلَّوْنَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعةٌ على هوى النفس ، وطاعةُ الشيطان ، ومنازعةُ الأكفاء ،
وجمعُ المال ، وأخذه من حيثُ يجبُ أو لا يجبُ ، وتفرقةُ فيمن يستحقُّ
ومن لا يستحقُّ ، وإلى الله أفزعُ في قليلٍ أمرى وكثيره . إذا شئتم .

قال لى أبو الوفاء — وهو الذى شرح لى المجلس من أوله إلى آخره — :
لقد شاهدتُ من عزِّ الدولة فى ذلك المجلس المنصور^(١) فى جدِّه وشهامته ، وثباتِ
قلبه وقوَّةِ لسانه ، مع بَحْجٍ لَدِيدٍ ولُثْغَةٍ حُلُوَّةٍ .

قال : ولقد قلتُ له بعد ذلك : أيُّها الأمير ، ما ظنفتُ أنك إذا خلعتُ رداءك
ونزعتُ حذاءك تقول ذلك المقال ، وتجولُ ذلك المجال ، وتعالُ ذلك المال ،
لقد أنصرفتُ ذلك الرُّهْطُ عَلَى هَيْبَةٍ لَكَ شَدِيدَةٍ ، وتعظيمٍ بالغٍ ، ولقد تَدَاوَلُوا
لفظك ، وتَتَبَّعُوا مَعَانِيكَ ، وتَشَاخَوْا^(٢) عَلَى نَظْمِكَ ، وقالوا : ما يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ
يُسِيءَ ظَنَّهُ بِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ وَالْعِيَانِ ، وإِلَّا بَعْدَ الشَّهَادَةِ وَالْبَيَانِ ؛ أَلْهَذَا
يَقَالُ لَهُ مُتَخَلِّفٌ أَوْ نَاقِصٌ ؟ لِلَّهِ دَرُّهُ مِنْ شَخْصٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوهُ مِنْ فِتْنٍ مِذْرَةٍ !

ولما بَلَغَ هَذَا الْجُلُوسُ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ — أَغْنَى عَنِ الدَّوْلَةِ —
حَدِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْخَيْرَةَ كَانَتْ قَرِينَةً اخْتِيَارَهُمْ .

قال الوزير : قرأتُ ما دَوَّنَهُ الصَّابِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ فِي (التَّاجِي) فساوَجَدْتُ
هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ . قلتُ : لعله لم يَقَعْ إِلَيْهِ ، أو لعله لم يَرِ التَّطْوِيلَ بِهِ ، أو لعله لم
يَسْتَحِفَّ ذِكْرَ عِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . قال : هَذَا مُمَكِّنٌ ؛ فَهَلْ سَمِعْتَ فِي
أَيَّامِ الْفِتْنَةِ بِقَرِيبَةٍ ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المعروف .

(٢) تشاخوا على ظلمك ، أى أن كلا منهما ضن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفى (ب) :
وتساخا ، وهو تحريف .

قلتُ : كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريبًا بديعًا ، عجيبًا شنيعًا ، حصلَ لنا
 مِنَ العَيَّارِينَ قُوَاد (١) ، وأشهرهم (٢) ابنُ كَبْرَوِيه ، وأبو الدُّود (٣) ، وأبو الذُّباب ،
 - وأَسْوَدُ الزُّبْد ، وأبو الأَرْضَةِ (٤) ، وأبو التَّوابع ، وشَنَّتُ الغارة ، واتَّصلَ
 النَّهْبُ ، وتَوَالَى الحَرِيقُ حتى لم يَصِلْ إلَيْنَا الماءُ من دِجْلَةٍ ، أغْنَى الكَرْخُ .

فَإِنْ غَرِبَ ما جَرَى أَنْ أَسْوَدَ الزُّبْدِ كانَ عَبْدًا يَأْوِي إلى قَنْطَرَةٍ (٥) الزُّبْدِ
 وَيَلْتَمِطُ التَّوَى وَيَسْتَطِيعُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ المَسْكانَ يَلْهُو وَلَمِبٌ ، وهو عُمَرَانُ
 لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخَزَفَةٍ ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالَى بِهِ ، وَمَغَى عَلَى هذا دَهْرٌ ، فلما حَلَّتِ
 النَّفْرةُ (٦) أغْنَى لَمَّا وَتَعَتِ الفِتْنَةُ ، فَنَشَأَ المَرْجُ والمَرْجُ ، ورَأَى هذا الأَسْوَدُ من
 هو أضعَفُ منه قد أخذَ السَّيْفَ وأَعْمَلَهُ ، طَلَبَ سَيْفًا وشَحَذَهُ ، ونَهَبَ وأَغَارَ
 وسَلَبَ ، وظَهَرَ منه شَيْطانٌ في مَسْكِ إنسانٍ ، وصَبَحَ وَجْهُهُ ، وَعَذَّبَ لَفْظُهُ ،
 وحَسَنَ جِسْمُهُ وعُشِقَ وعُشِقَ ، والأَيَّامُ تَأْتِي بالفرائبِ والعجائبُ ، وكان الحسنُ
 البَصْرِيُّ يقولُ في مَواعِظِهِ : المعتبرُ كثيرٌ ، والمعتبرُ قليلٌ . فلما دُعِيَ قانِدًا وأُطاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأسماءوم » .

(٣) في كتابنا للنسختين « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا إذ هو
 المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرمي » .

(٥) في كتابنا للنسختين « الريد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن كتاب بغداد
 للأستاذ لوستراخ Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة ، فأضيفت إليه
 - وهي قنطرة البطريق أيضا . وفي ياقوت قنطرة رعى البطريق ، وهي على نهر الصراء .

(٦) في (١) « حلف الخنصرة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في

كتابنا للنسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَحِمَاهُ لَا يُضَامُ .

فِيمَا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَلَعْنَتِهِ ، وَسَفْكِهِ لِلدَّمِّ ، وَهَنْكِهِ لِلْحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ أَشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوَصِّلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فَاثْمَنَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَكْرَهِينَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : أَا كَرِهْتُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَاثْمَنِي ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرَ مِنْ ذَلِكَ أُعْتِقُكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْتَقَهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي أَبِي الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ أَبِي رَغْبَانَ^(٤) فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَمَّتِهِ وَسَمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكُوا مُسْكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَحِمَاهُ ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فَهَلَّكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ النَّهَابَةُ إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ^(٥) وَشَذَّوُا الْغَارَةَ ، وَاكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَثَاثٍ ، وَمَا كُنْتُ دَخَرْتُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرِ ؛ وَجَرَدُوا السُّكَّاكِينَ

(١) فرق فيهم ، أى فرق الأغطية فيهم .

(٢) فى (١) « من خفى » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى (١) « شرهه » ؛ والماء الأولى زيادة من النابخ .

(٤) مسجد ابن رغبان فى غربى بغداد . والذى فى (١) ابن رعبان بالعين المهملة ؛

وهو تصحيف .

(٥) إلى بين السورين ، أى إلى هذه المحلة المسماة بهذا الاسم فى بغداد .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فأُنشقت مَرَارَتُهَا ، وَدُنِنَتْ في يومها ،
[وَأُمْسِيَتْ] وما أملك مع الشيطان فَجْرَةً^(١) ، ولا مع الغراب نَقْرَةً .

أيُّهَا الشيخ — وَقَكَ اللهُ في جميع أَحْوَالِكَ ، وكان لك في كُلِّ مَقَالِكَ
وفعَالِكَ — إِنَّمَا نَثَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَ بِهِ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنِي
وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَسَكَانٌ عَلَى قَدَرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [وَالْوَاجِبِ] ؛ وَالْأَتَسَاعُ يَتَّبِعُ
الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبِعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ^(٢) تَتَّبِعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبِعُ الْعِبَارَةَ ، وَلِذَا كَانَ
قَصْدِي فِيمَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ ، وَأُقِيعَ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَنْمِيقِ بَرْدَانُ بِهِ الْحَدِيثِ ، وَإِصْلَاحِ يَحْسُنُ مَعَهُ الْمَعْرَاضِ ،
وَتَكْلُفِ يَبْلُغُ بِالْمُرَادِ الْغَايَةَ ، فَلْيَقُمْ الْمَذْرُوعُ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَتَّى يَزُولَ
الْعَتَبُ ، وَيُسْتَحَقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلية : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارة
الحلوة ، والحركة الرضائية ، والفُعْمَةُ المتوسِّطة ، لا نازلةً إلى قَعْرِ الْحَقِّ ،
ولا طافحةً على الشفة .

فَسَكَانٌ مِنَ الْجَوَابِ : اقْتِرَاحُ الشَّيْءِ عَلَى الْكَمَالِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ وَجْدَانُهُ

(١) في (١) « نحوه » . وفي (ب) « نخرة » وهو تحريف في كلتا النسختين صوابه
ما أثبتناه ، أي لا أملك ما أغرب به فجرة واحدة مع الشيطان . ويشبهون المجلة في السجود بقمر
الغراب ، فيريد بالعبارة الثانية أنه لا يملك سجدة مستعجلة مع الغراب تشبه نقرة من قراته .
ويريد بالبارتين أنه لا يملك عملاً خبيثاً ولا طيباً هما فلا . هذا ما يلوح لنا من معنى هاتين
العبارتين .

(٢) في الأصول : « والرقب ينسج الحظ ما لا نسج الخ » وهو تحريف ؛ وسياق
الكلام يقتضي ما أثبتناه .

على ذلك صُغِبَ ، لأنَّ التَّعَمُّيَّ صَفْوُ النَّفْسِ الحَسَنِيَّةِ ، وَنَيْلُ التَّمَتُّعِيَّ فِي الْفُرْصَةِ^(١) الْمُحْشُورَةِ بِالْحَيُولَةِ .

وقد قال المدائني : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابتِهِ التَّعَمُّيِّ وإيجازِ اللَّفْظِ وُبلوغِ الحِجَّةِ .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أمَّا حُضُورُ الجَوَابِ فَلَيْسَ كَوْنُ الظَّاهِرِ عند الحاجة ، وأمَّا إيجازُ اللَّفْظِ فَلَيْسَ كَوْنُ صَافِيًّا مِنَ الْحَيْثُ ، وأمَّا بُلُوغُ الْحُجَّةِ فَلَيْسَ كَوْنُ حَسْباً لِلْمُعَارَضَةِ .

قال : ما أَحْسَنَ ما وَشَّحَ هَذِهِ الْفِقْرَةَ بِهِذِهِ الشَّدْرَةُ !

وَحَسَكِيَّ المدائني قال : قال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : ما مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَاهُ الْعَبْدُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَوَابٍ حَاضِرٍ ، فَإِنَّ الْجَوَابَ إِذَا تُعَقِّبَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَقَعٌ .

وَحَسَكِيَّ المدائني بإسناده عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقَمْرٍو بْنِ الْأَهْتَمِ التَّمِيمِيِّ : أَخْبِرْنِي عَنِ الزُّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَقَالَ الزُّبْرِقَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَزَمِيرٌ^(٢) الْمَرُوءَةُ ، صَيِّقُ الْعَطْنِ ، لَشِيمُ الْخَالِ ، أَتَحَقُّ الْوَالِدِ ، وَمَا كَذَّبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ، وَلَقَدْ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنَ الْبَيَّانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لَحِكْمًا " .

(١) فِي (١) « فِي الرِّضَةِ » ؛ وَفِي (ب) « فِي الرِّضِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِيهِمَا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « زَمَن » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَزَمَرُ الْمَرُوءَةِ : قَلِيلُهَا .

وقال أبو سليمان : السَّحَرُ بالقَوْلِ الأَعْمِ والرَّسْمِ المُفِيدِ على أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ :
 سِحْرٌ عَقْلِيٌّ ، وهو ما بَدَرَ من الكلامِ للشَّتِيلِ على غريبِ المَعْنَى في أَمَى فَنٍّ
 كان ؛ وسِحْرٌ طَبِيعِيٌّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثَارِ الطَّبِيعَةِ في العَنَاصِرِ المُتَهَيِّئَةِ ^(١)
 والموادِّ المُسْتَجِيبَةِ ^(٢) وسِحْرٌ صِنَاعِيٌّ ، وهو ما يوجَدُ ^(٣) بِخَفَّةِ الحَرَكَاتِ المُبَاشِرَةِ ،
 وتَصَرُّفِهَا في الوُجُوهِ الخَفِيَّةِ عن الأبصارِ المُحَدَّثَةِ ، وسِحْرٌ إلهِيٌّ وهو ما يَبْدُو
 من الأنفُسِ السَّكْرِيَّةِ الطَّاهِرَةِ بِاللَّفْظِ مَرَّةً ، وبالفِعْلِ مَرَّةً ، وَعَرَضَ كُلٌّ وَاحِدٍ
 من هذه الصُّرُوبِ واسعٌ ، وكلُّ حِذْقٍ ومَهَارَةٍ وبلوغٍ قَاصِيَةٍ في كُلِّ أَمْرٍ
 هو سِحْرٌ ، وصاحبُه سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابت بنُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ إلى أهل الشام فَشَتَمَهُمْ ،
 فقال له سعيد بنُ عُثْمَانَ بنِ عَمَّانٍ ، أَتَشْتَمُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال :
 صَدَقْتَ ، وَلَسَكُنَّ المَهاجِرِينَ والأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ لثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَذَرِي لِمَ كَانَ يَشْتَمُنِي ؟
 إِنِّي سَمِعْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ المَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْقُصُهُ بِهِمَا ،
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَأَخَافُوهُ ، ثُمَّ جَاؤُوا إِلَى المَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَثَرَدَهُمْ .

فَمَرَّضَ بِالحَكَمِ بنِ أَبِي العَاصِ — وهو جَدُّ عَبْدِ المَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفطان « التهيئة والمستجيبة » مبهمة حروفهما من النقط
 تتعذر قراءتهما .
 (٢) في (أ) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بينهم ، لم يروا أن يذفَعُوا عنه . فقال له عبد الملك : لَعَنَكَ الله .

وقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعلمت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشق عن الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجساد ، أغلاهُ مدرة ، وأسفله مدرة .

وقال المدائني : قال ابن الضحاك بن قيس الفهري^(١) لهشام بن عبد الملك قبل أن يملك — وهو يومئذ غلام شاب — يا ابن الخلائف ، لم تطيل شعرك وقصصك ؟ قال أكره أن أكون كما قال الشاعر :

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عندَ يَدَيْهِ وشرُّ غراسٍ في قرْنَيْهِ مُرْكَبًا^(٢)

قال : وهذا الشرُّ لأبي خالد^(٣) مروان بن الحكم ، هجأ به العجّاك ابن قيس :

وحسكى أيضاً . قال : مرَّ عطاء بن أبي^(٤) صيفي بعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعطاء على فرسٍ له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاء ، لو وجدت زمام زق الخمر خاليًا ما كنت تَضَعُ به ؟ قال : كنت آتي به دور بني النجّار فأعرفه فإنه ضالة من ضالهم ، فإن عرفوه^(٥) وإلا فهو لك لم يَعدُك ، ولسكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « المتزى » ، وهو تحريف .

(٢) المركب : الأصل والمثبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركبا » وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراس » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .

(٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاء مر ابن صيفي . وفي

المبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به المعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا لعلهم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبَرَنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ، أَمْ ثَابِتٌ ؟ قَالَ : لَا أَذْرِي . قَالَ : فَلِمَ يَغْنِيكَ ^(١) مَا فِي كِنَانِ الرِّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذَرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ ؟ بَلْ فَرِيعَةٌ أَكْبَرُ مِنْ ثَابِتٍ ، وَقَدْ تَرَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا عَنْ قَلْبِي ؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا : وَاللَّهِ يَا فَرِيعَةُ إِنَّكَ لَجَمِيلَةٌ ، فَمَا بَالُ أَزْوَاجِكَ يُطْلَقُونَكَ ؟ قَالَتْ : يُرِيدُونَ الضِّيقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَحَسْبِيَ أَيْضًا قَالَ : قَالَ أَبُو السَّمَرِ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رُفِعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] ^(٢) أَسِيدٍ — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ — : لَا بَلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَأُ الضَّيْفَ ، وَلَا يَمْتَنِعُ الضَّيْمَ ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” إِذَا سَبَّيَ الْمُشْرِكُونَ فَعُومُوا بِالسَّبِّ ، وَلَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ ؟ “

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : فَذَا كَرْتُ بِهِذَا الْحَدِيثَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، فَمَرَّقَهُ ، فَقَالَ : فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ ، قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ فَقَالَ : قَالَ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسْرُرُنِي أَنَّهُ فِي أَعْلَى عَلَيَيْنِ وَأَنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدُهُ . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، وَقَالَ : ” لَا تَسْبُوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُغْضِبُ الْأَحْيَاءَ “ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « يَنْهَيْكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذِهِ التَّكْلُفَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْمِيَيْنِ لَمْ تَرِدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لِقَابَهَا لِذَلِكَ أَنَّ أَسِيدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ .

وَحَكَمَى قَالَ : رَمَى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ إِلَى عُرَامَ بْنِ شُمَيْرٍ ^(١) بِخَاتَمٍ لَهُ
فِضَّةٌ — وَقَدْ زُوِّجَ — فَقَعَدَ عَلَيْهِ عُرَامُ سَيْراً وَرَدَّهُ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ . أَرَادَ ابْنُ
هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَقَدْ زَرِقْتَ عَيْنَاكَ يَا بَنَى مُلَعَنٍ كَمَا كُلُّ ضَبَّيٍّ مِنَ الْأَزْمِ أَزْرَقُ
وَعَرَّضَ لَهُ عُرَامُ بِقَوْلِ ابْنِ دَارَةَ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ ^(٢)
وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يُسَافِرُ هِلَالَ ^(٣) بَنِ مُكَمَّلِ التَّمِيمِيِّ ،
فَتَقَدَّمَتْ بَغْلَةُ التَّمِيمِيِّ بَغْلَةُ ابْنِ هُبَيْرَةَ . فَقَالَ : غَضٌّ مِنْ بَدَلَتِكَ . فَالْتَفَتَ
إِلَيْهِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ :
فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُعَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا ^(٤)
وَأَرَادَ التَّمِيمِيُّ قَوْلَ سَالِمِ بْنِ دَارَةَ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ
وَقَالَ الْوَلِيدُ الْقَنْبَرِيُّ ^(٥) : سَرَتْ أَمْرَاءٌ مِنْ بَنِي ^(٦) نُعَيْرٍ عَلَى مَجْلِسٍ لَهُمْ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَيُّهَا الرِّسْحَاءُ ^(٧) . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا بَنَى نُعَيْرٍ ، وَاللَّهِ مَا أَطْعَمْتُ

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ طَبِيعُ أَوْ رُوبَا ، وَالَّذِي فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحدهَا
هَذِهِ الْقِصَّةُ « شَنِير » بِالنُّونِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) أَكْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ ، أَيْ اخْزَمْ حَيَاةَهَا لِثَلَاثِينَ عَلَيْهَا .

(٣) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ « سَنَانُ بْنُ مَكَمَلٍ » . وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ أَبُو بِنِ ظَبْيَانَ ، وَفِي
كِتَابِ الْكِنَايَةِ وَالتَّمْرِيزِ لِلثَّعَالِبِيِّ « شَرِيكَ بْنُ مُحَمَّدٍ » .

(٤) الْبَيْتُ لِلْجَرِيرِ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحدهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « الْفَيْدَى » ، وَلَمْ نَجِدِ الْفَيْدَى
هَذَا فِي أَسْمَاءِ الرِّوَاةِ ، وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي أَسْمَائِهِمُ الْوَلِيدُ الْقَنْبَرِيُّ كَمَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ .

(٦) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ سَرَتْ أَمْرَاءٌ مِنَ الْعَرَبِ يَجْلِسُ مِنْ مَجَالِسِ بَنِي نُعَيْرٍ ، وَهُوَ أُنْسَبُ .

(٧) الرِّسْحَاءُ : الَّتِي خَفَّ لَحْمُ أَلْيَتَيْهَا وَوَرَكِيهَا .

اللهَ وَلَا أَطَقْتُمُ الشَّاعِرَ : قَالَ اللهُ عَنْهُ وَجَلَّ (قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَمَضَى الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُعْمٍ فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال : مرَّ الفرزدقُ بخالد بن صفوان بن الأَهم ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،
ما أنت الذي لما رأيتهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ . فقال لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَلَا أَنتَ
الذي قالت الفتاة لأبيها فيه : (يا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

قال : ودخل يزيدُ بنُ مُسْلِمٍ على سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وكان مُضَفَّرًا
نَحِيفًا ، فقال سُلَيْمَانُ : عَلَى رَجُلٍ أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(١) وَسَطَطَكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَعْنَةُ
اللهِ . فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ زَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مَدِيرٌ ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَهُوَ
عَلَى مُقْبِلٍ لَأَسْتَفْظَمْتَ مِنِّي يَوْمَئِذٍ مَا اسْتَضَعَرْتَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَأَيْنَ الْحَجَّاجُ ؟ قَالَ
يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْبِكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعَهُ حَيْثُ شِئْتُ .

وقال عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِذَا تَاهَ أَبُو يَوْسُفَ
حَاجِبُهُ ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ بُتَيْنَةٌ . قال : أَابُتَيْنَةٌ جَمِيلٌ ؟ قال : نَعَمْ ،
قال أَذْخِلْهَا ، فَدَخَلَتْ أَمْرَأَةً أَذْمَاءَ طَوِيلَةً يُعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فقال له
يا أبا يَوْسُفَ أَلْقِ لَهَا كُرْسِيًا ، فَأَلْقَاهُ لَهَا ، فقال لَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيْحَكَ مَا رَجَا
مِنْكَ جَمِيلٌ ، قالت : الذي رَجَتْ مِنْكَ الْأُمَةُ حِينَ وَلَدْتَكَ أَمْرَهَا .

وقال سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ : إِنَّ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى
مُهَافِيَةٍ ، فقال : يا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهْمُ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أَجْرَكَ رَسَنَكَ ، أى تَرَكَكَ وشَأْنَكَ تفعل ما تشاء . والرَّسَنُ الْمَقْدُودُ تقاد به الدابة .

ذَلِكَ اقْتَتَلَى أَحَدٌ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَذْرِ مِثْلِهِمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِأَمْرَةٍ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صِلَتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَتَقَتْلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ اقْتَتَلَى أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَا شَهِيدًا وَحَيَيْنَا تَائِقًا ^(٢) ، وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتَلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُمْتُنَا فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثُمَّ قَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَجْرُ ثَوْبَهُ مُفَضِّبًا ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : رُدُّوهُمْ ، فَرُدُّوهُ فَتَرَضَّاهُمْ حَتَّى رَضَوْا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّخَ مِنْ مَنَاطِقِهِ حَتَّى ضَاقَ فِي مَجْلِسِي .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَنَ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَفْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَى ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(٤) يَوْمَ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا دُونَ (ب) هَذَا السَّكَّامِ « لَدَهْمَةٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يُوْخَذُ مَا يَأْتِي بَعْدَ فِي جَوَابِ الْأَنْصَارِ مِنْ قَوْلِهِمْ : وَأَمَّا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ الْخ . وَرِيدَ بِالْأَمْرَةِ أَنَّهُ لَا يُولِيهِمُ الْأَعْمَالُ .

(٢) تَائِقٌ أَيُّ إِلَى أَنْ يَسْتَمْتِدَ . وَفِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَوَرَدَتْ تِلْكَ السَّكَّةُ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ الْقَطِّ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا أَوْ لَعَلَّ صَوَابَهَا « مَائِتٌ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « قَلْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) « جَدِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صَفِينِ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ تَلْقَى فِي أَسْنَتَيْكُمْ ، وَهَجَوْتُ مَوْنِي ^(١) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشَافِي ^(٢) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ ^(٣) . قُلْتُ : ازْعَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هِيَ هَاتِ ، ”أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ“ ^(٤) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ السَّكَانِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تَمْتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَاجُونَا إِيَّاكَ فَقَوْلُ يَزُولُ بَاطِلُهُ ، وَيَنْبُتُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتَلْنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صَفِينٍ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَعَلَى كُرْهِهِ كَانِ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ رَعَاهَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ ”أَبَى الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ“ ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدُ تَخْجُزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاءٌ مُصْعَبٌ وَكَانَ لِمُصْعَبٍ عِبَادَةٌ عَبْدُ اللَّهِ لَسَكَنَّا مَا شَاءَ الْمُتَمَتِّى . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاءٌ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ولهجوت موني » ، وهو تحريف .

(٢) في (١) « الأنافي » بالثاء ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مثله » بالثاء ؛ وهو تصحيف ،

والتصحيح عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٦ طبع بولاق .

(٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « بأبي الحقيقين

الفدرة » ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال ، والحقيقين : اللذين المحقون والعِذْرَةُ : العذر . وأصله أن رجلاً نزل يقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عندهم ، وكان اللذين المحقون في وطاب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يمتنر ولا عذر له . يقول : إن اللذين المحقون لديكم يكذبكم في عذرهم . والذي في العقد الفريد « أبي الحبيب العذرة » .

مُضْعَبٌ إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عِبَةً ، وَلَسَكُنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رَجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرْبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَسَكُنَ ؛ فَقَالَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمَضْرَعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبَصِّرُ مَرْعَى ^(١) لَمَا تَرَكَنَاكَ
وَالْكَلَامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِرْبَعَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمَا وَدَعَانَا وَخَلِيفَتَنَا وَاسْحَبَا ذُبُولَاكُمَا
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَبَصْرَةَ .

وقال المدائني : غَابَ مَوْلَى لِلزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِّضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : فَلَا أَنْعَمَ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِخَيْرٍ .

قال المدائني : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَبَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَبُّهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كُنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُخِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لِأَبْنُهُ .

وسابَّ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالد بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث .

وقد بينت الرمي على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هي

وهذا البيت من أبيات قالها زفر حين فرَّ بعد وقعة مرج راهط التي قتل فيها الضحَّاك
وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحَّاك .

(٢) إربعا : يخاطب خالدًا وأخاه أمية .

(٣) يتهمه بداء قبيح ؛ ويقال أتان حلقية إذا تداولتها الحر فأصابها داء في رجليها .
والحلاق في الأتان ألا تشبه من السقاد .

يا خبيث ، أتسأني مُسَابَةَ الصَّبَّيَّانِ ، فوالله إنَّكَ لأبْنَى ، ولقد غَابَنِي حَوْشَبَ عَلَى أُمِّكَ ، وقد أَلْقَحَهَا بِكَ ^(١) .

وقال أَبُو عَمِيَّاشِ الْمَنْتُوفِ ^(٢) لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ قَمِيصَكَ ، قَالَ لَهُ : مَا يَضُرُّكَ مِنْ طَوْلِهِ . قَالَ : تَدْرُسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قَالَ وَمَا يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وقال : كَانَ عَلَى تَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةٍ ، مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتُ تَرْجُو أَنْ تَفَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةَ بْنِ يَغْفَرٍ فَأَرْحَلْ
قَوْمٌ فَتَبِيحَةُ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا فَتَبِيحَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ
فَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قَالَ : وَتَكَلَّمَ أَبُو ظُبَيَّانِ النَّتَيْمِيُّ يَوْمًا فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مُسَدِّعٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرثدا وثمامة أخوان لأب . وبذلك يستقيم الكلام .
(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا . والذي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « المذبوق » ؟ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « نأيدمة » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجية » مكان قوله « على سخينه » ؟ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أثبتنا نفلا عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحداش بن زهير ، والسخينة : طعام يتخذ من البقي وهو دون المصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لقريش كانت تسميه به لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل فانظره ثم . وهاهي ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إِذْ يَتَقِنَا هِشَامَ بِالْوَلِيدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هِشَامًا شَالَتِ الْحُدُمُ
بَيْنَ الْأَرْكَ وَبَيْنَ الْمَرْجِ نَبْطَحُهُمْ زُرَقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمَمُ
فَإِنْ سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ سَلَكَ شَرْقًا وَبَطْنَ مَرَفَأُخْوَ الْجَرَسِ وَاسْتَمَدُّوا

إيها أبا مَطَر^(١) فإن للقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك حِثٌّ ،
ولو أنت بكر بن وائل أجمعت في بيتٍ بقالٍ لا تَيْتُهُمْ . فقال له مالك ،
إما أنت سَهْمٌ من سِهامِ كِنَانَتِي . فقال ابنُ ظَبْيَانَ : أنا سَهْمٌ من سِهامِ
كِذَابَتِكَ ؟ فوالله لو قتُ فيها لَطَلْتُهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرَقْتُهَا ، وإني لله
ما أراك تَذْهَبُ حَتَّى أَزِمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ^(٢) ، تَذُبُّ بِهِ شَفَقَاكَ ، وَيَحِفُّ
لَهُ رَيْبُكَ .

وقال رجلٌ للأخنف : بأيِّ شيءٍ سُدَّتْ تَمِيمَا ؟ فوالله ما أنت بأجودهم
ولا أشجعهم ولا أَجملهم ولا أَشرفهم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما
خلافٌ ما أنا فيه ؟ قال : تَرَكِي ما لَا يَعْنِينِي من أُمُورِ الناسِ كما عَفَاكَ مِنْ
أَمْرِي ما لَا يَعْنِيكَ .

وَوَفَدَ عَلِيمُ بْنُ خَالِدٍ الْهُجَيْمِيُّ عَلَى هِشَامٍ وَعِنْدَهُ الْأَبْرَشُ [السَّكَلَجِي] ،
فقال له الْأَبْرَشُ السَّكَلَجِي : يَا أَخَا بَنِي الْهَؤُلَاءِ ، مَنْ الْقَائِلُ :

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَسْكَلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ
أَلَكُمُ يَقُولُهُ ؟ قال : نعم ، لنا يَقُولُهُ ، وَلَسَكُنْكُمْ يَأْمَعُشَرُ كَلْبُ تَمِيرُونَ^(٣) النَّسَاءُ ،
وَتَجْزُونَ^(٤) الشَّاءَ ، وَتَسْكُدُّرُونَ الْعَطَاءَ ، وَنَوْخَرُونَ الْعَشَاءَ ، وَتَبْيَعُونَ الْمَاءَ .

(١) في (١) « لَمِنَهَا أبا فطر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه السكنية عن الكامل
للمبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راس السهم يريسه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً
من القول .

(٣) تَمِيرُونَ النساء أي تتركهن خنانهن . يقال امرأة مبرية إذا طال بظرها . وفي
الأصل تَمِيرُونَ بالياء الثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين « وَتَحْرُونَ » ؛ وهو تحريف ؛ وأصل صوابه ما أثبتنا .

فَضَحِكَ هِشَامٌ ، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْأَبْرَشُ : يَا أَخَا بَنِي الْهُجَيْمِ ، أَمَا كَانَتْ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَوْ كَانَتْ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ .

قَدَّمَتْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلَى زِيَادٍ تَمَازَعُهُ ، وَقَدْ كَانَتْ سِنُهُ أَعْلَى مِنْ سِنِهَا فَجَعَلَتْ تَعِيبُ زَوْجَهَا وَتَقَعُ فِيهِ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ شَرَّ شَطَرِي الْمَرْأَةُ آخَرُهَا ، وَخَيْرَ شَطَرِي الرَّجُلُ آخِرُهُ ، الْمَرْأَةُ إِذَا كَبُرَتْ عَقَمَتْ زَوْجَهَا وَحَدَّتْ لِسَانَهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَبُرَتْ سِنُهُ اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَكَثُرَ حِلْمُهُ وَقَلَّ جَهْلُهُ .

وَقَالَ أَعَشَى هَمْدَانَ لِامْرَأَتِهِ : إِنَّكَ لَسَانِسَةُ الْمُثَقَّبَةِ ، سَرِيعةُ الْوَثْبَةِ ، حَدِيدَةُ الرُّكْبَةِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَرِيعُ الْإِرَاقَةِ ، بَعْلِي ! الْإِفَاقَةُ ، قَلِيلُ الطَّاقَةِ ^(١) ، فَطَلَّقَهَا ، وَقَالَ :

تَقَادَمَ عَنْهُ دُكُّ أُمِّ الْجَلَالِ وَطَاشَتْ نِيَابُكَ عِنْدَ النَّضَالِ
وَقَدْ بُتْ ^(٢) حَبْلُكَ فَاسْتَمِيقْنِي بِأَنْي طَرَحْتُكَ ذَاتَ الشِّمَالِ ^(٣)
وَأَنْ لَا رُجُوعَ فَلَا تُكَذِّبِي بِنَ مَا حَنَنْتِ ^(٤) النَّيْبُ إِثْرَ الْفِصَالِ
قَالَ الْغِلَاقِيُّ عَنْ غَيْرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِامْرَأَتِهِ : أَمَا إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَسْتُوْلُ مُمْنَةٍ ، جَزُوعٌ هَلَعَةٌ ، تَمْشِيَنَّ الدَّفِيقُ ^(٥) وَتَقْعِدِينَ الْهَبْنَقَةَ ، فَقَالَتْ أَمَا وَاللَّهِ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « الطَّاعَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ : خُفِي حَبْلُكَ .

(٣) وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

* بِأَنْي فَرَضْتُكَ دَابَّ النَّيَالِ *

وَهُوَ تَصْغِيرٌ لَا مَعْنَى لَهُ . وَالنَّصُوبُ عَنْ شِعْرِ أَعَشَى هَمْدَانَ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرُبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعَشِينَ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ « مَا حَيْثُ لَبِنتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَالنَّصْحِيحُ عَنْ شِعْرِ أَعَشَى هَمْدَانَ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرُبَا ضَمَّنَ شِعْرَ الْأَعَشِينَ . وَالنَّيْبُ جَمْعُ نَابٍ ، وَهِيَ الْمَسْنَةُ مِنَ النَّيَاقِ .

(٥) يُقَالُ مَشَى الدَّفِيقُ كَرَمَكِي إِذَا مَشَى مَسْرَعًا . وَجَلَسَ الْهَبْنَقَةُ ، إِذَا جَلَسَ مَزْهُورًا

أَوْ جَلَسَ مَتْرَبًا مَاذَا أَحَدَى رَجْلَيْهِ فِي تَرْبَعِهِ .

إِنْ كَانَ زَادِي مِنْكَ لَهْدِيَّةً^(١) ، وَإِنْ كَانَتْ خُطُوتِي مِنْكَ لَحَذِيَّةً^(٢) ، فَإِنَّكَ لَأَبْنُ خَبِيثَةٍ يَهُودِيَّةٍ .

وقال المدائني : قَبِضَ كِسْرَى أَرْضًا لَرَجُلٍ مِنَ الدَّهَقِينَ ، وَأَقْلَعَهَا الْبَحْرَجَانُ^(٣) ، فَقَدِمَ صَاحِبُ الْأَرْضِ مُتَظَلِّمًا ، فَأَقَامَ بِيَابَ كِسْرَى ، فَرَكِبَ كِسْرَى يَوْمًا ، فَقَعَدَ لَهُ الرَّجُلُ عَلَى طَرِيقِهِ يُسَكِّمُهُ ، فَلَمَّا حَازَاهُ شَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى صَلَّ بِصَدْرِهِ رُكْبَتَهُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ كِسْرَى وَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَرْضُكَ كَانَتْ لِأَجْدَادِي وَرَثَتُهَا مِنْ آبَائِي قَبِضَتْهَا فَأَقْلَعْتُهَا الْبَحْرَجَانُ ؟ أَرُدُّهَا عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : مُذْ كَمْ هَذِهِ الْأَرْضُ فِي أَيْدِي أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ ؟ فَذَكَرَ دَهْرًا طَوِيلًا ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : وَاللَّهِ لَقَدْ أَكْثُمُوهَا دَهْرًا طَوِيلًا ، فَمَا عَلَيْكَ فِي أَنْ تَدَعَهَا فِي يَدِ الْبَحْرَجَانِ عَارِيَةً سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ حُسْنَ بِلَاءٍ بِهِزَامِ جَوْرِ فِي طَاعَتِكَ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَمَا كَفَاكُمْ مِنْ حَدِّ عَدُوِّكُمْ وَدَفْعِهِ عَنْكُمْ كَيْدَ التَّرْكِ وَحُسْنَ بِلَاءٍ أَبَائِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ آبَائِكَ ، فَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَوْ أَعَزَّتْهُ مُلْكُكَ سُنِّيَّاتٍ يَسْتَمْتِعَ بِهِ ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ كِسْرَى : يَا بَحْرَجَانُ ، أَنْتَ رَمَيْتَنِي بِهَذَا السَّهْمِ أَرُدُّ عَلَيْهِ أَرْضَهُ [فَرَدَّهَا] .

قال رجل من القحاطنة^(٤) لرجل من أبناء الأعاجم : مَا يَقُولُ الشُّعْرُ مِنْكَ

(١) تريد بهذه العبارة أن ما تناه من طعام لدى زوجها يشبه الهدية في ندرته وازدهانه بأطعمتها كما يزدهى صاحب الهدية بما أهدى وأن زوجها يرى أن لطعامها غير واجب بل هو من قبيل الهدية . هذا ما يلوح لنا من معنى هذه العبارة لأن لم يكن فيها تعريف .

(٢) في الأصل « تحذية » ولعل الصواب ما أفتتننا . والحذية : من معانيها القسمة من الغنيمة أى أنه كان يعطيها القليل مما يفتح . وقد تكون الجدية بالجمع والبال ومعناها القسمة من السكساء تحت السرج أى الشيء التافه . (٣) يريد بالبحرجان هنا صاحب سفن كسرى ورئيس الملاحين ، وهي كلمة فارسية معناها النوقى ، كما في المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس . (٤) في (١) القحاطنة وفي (ب) وردت هذه الكلمة مهملة المحروف من النقط

إلا من كانت أمُّه زنى بها رجلٌ مِنَّا فنَزَعَ إلينا . فقال له الشَّوَيْ : وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يَقل الشعرُ مِنْكُمْ فإنما زنى بأُمَّه رجلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ به ، فنَزَعَ إلينا ، فَمِنْ ثُمَّ لم يَقُل الشعر .

وقال رجلٌ مِنَ الْعَرَبِ لرجُلٍ مِنْ أَبناءِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ في النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فلم أَر فيها ثَنَوِيًّا . فقال له الشَّوَيْ : أَصَدِدْتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثُمَّ لم تَرَهُمْ ، هُمْ في الْغُرْفِ .

قال ابنُ عِيَّاش : ما قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وكان مَاجِنًا^(١) شاربَ خَمْرٍ ، وذلك أَنِي وَقَفْتُ على بَيَانِ التَّبَيُّنِ^(٢) الَّذِي أُتِيَ^(٣) به ابنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ فَأَمْسَرَ بِصَلْبِهِ ، فقال لي : ما وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنظُرُ إلى هَذَا السَّقْيِ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؛ قال : وما أُتِيَ به في نَبِيِّتِهِ ؛ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزُّنَا — وَأَنَا أُعْرِضُ به — فقال : لا ، وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبْرِئَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

قال المدائنيُّ : ابنُ عِيَّاشٍ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسودِ الدُّوْلِيُّ على عبيد الله بنِ زِيَادٍ ، فقال له ابنُ زِيَادٍ — وهو يَهْزَأُ به — [امسيتَ يَا أَبَا الْأَسودِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلًا فَلَوْ عَلِمْتَ تَمِيمَةً تَنْفِي

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ما حاربا » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يفتضيه السياق .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ابن بيان » . ولم نجد فيه واجتماعه من الكتب ، ولعل الصواب ما أثبتنا نقلًا عن السَّكَّامِلِ لابن الأثير ، والفرق بين الفرق ، وعبود الأخبار . وبيان هذا ، هو ابن سمعان التميمي وهو أول من قال بخاق القرآن ، وغير ذلك من المقالات الزائفة وكان يقول إنه المشار إليه بقوله تعالى : هذا بيان للناس .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « أرى » ؛ وهو تحريف . والذي وجدناه في الكتب أن الذي صلب بيانا هذا هو خالد بن عبد الله لا ابن هبيرة الفزاري وكان ذلك سنة ١١٩ هـ .

بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به | فقال : أصلح الله الأمير —
 أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَّتَهُ مَرَّةَ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقٍ
 لَمْ يَتْرُكْ لِي فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَدَغُهُ ^(١) الْحَدَقِ
 وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ
 ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ ^(٢)
 وَخَالِدٌ بَوْمُثَدٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مَتَحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شُرْطَةِ
 خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إني والله ما آنا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْذَرِشِرِ
 الْمُنْخَرِبَيْنِ ، وَلَا أَرَوْحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْمَانِ ، وَلَا جَفَدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
 بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتُعَذِّبُنِي ^(٣) بهذا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتَلُو بَعْضُهُ
 بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أَرِيدُ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بَرْدَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ
 أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إني والله
 مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بَرْدَةَ فِدَاءَ الْمَيْثَمِ ، فَعَمَلِي وَمِثْلُكَ
 فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطِقٍ ^(٥)
 لَا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنْ نِي لَوْ أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقَ

(١) في رواية « لدعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القشيري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استمن » ؛ وهو تحريف إذ

لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الداني » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أَيَا مِسْكِينٍ لِمَنْ تَعْرِفُنِي وَلِمَنْ تَبَادُرُ لِي حَدَّ نَطِقٍ

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال المدائني: جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلفا، فقال الرجل لو كيع: ألم يبعثك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أباسفيان ومعاوية وعتبة فقال: "لعن الله الراكب والقائد والسائق"، فقال وكيع: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أيما عبد دعوت عليه فأجعل ذلك (له أو عليه) رحمة"؛ فقال الرجل: أفيسرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والدك فكان ذلك لها رحمة. فلم يجر إليه جواباً. تكلم صفة صفة عند معاوية فغرق، فقال: وبهرك القول يا صفة صفة؟ فقال: إن الجياد نضاجة بالماء.

هكذا قال لنا السيرافي، وقد قرأت عليه هذه الفقرة كلها، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها.

قال علي بن عبد الله: شهدت الحجاج خارجاً من عند عبد الملك بن مروان، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد؟ فقال: إلى أن يكفوا عن قولهم في أبيك: إنه كان يشرب الخمر.

قال المدائني: أسرت مزينة حسان بن ثابت — وكان قد هجم — فقال: مزينة لا يرى فيها خطيب ولا فليح يطاف به خضيب أناس تهلك الأحساب فيهم يرؤن القيس يعدله الحبيب فأتهم الخزرج يفتدونه؛ فقالوا^(١): نغاديه بتيس؛ ففضبوا وقاموا؛ فقال لهم حسان: يا إخوتي خذوا أحاكم وادفعوا إليهم أحام.

وقال المدائني: فرق عمر بن الخطاب بين منظور بن أبان وبين أمراته —

(١) فقالوا، أي أسروه، وهم بنو مزينة.

وكان خَلَفَ عليها بعد أبيه — فتزوجها طلحةُ بنُ عبدِ الله ، فلقيَه منظور ، فقال له : كيف وَجَدْتَ سُورِي ؟ فقال : كما وَجَدْتَ سُورَ أَبِيكَ . فأنجمَه .

وقال حاطِب بنُ أبي بَلْتَعَة : بعثني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المُقَوِّسِ مَلِكِ الإسكَنْدَرِيَّة ، فَأَتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتْبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَمْنَعُهُ — إِنْ كَانَ نَبِيًّا — أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَى الْبَحْرِ فَيُفَرِّقَنِي فَيَكْتَنِي مَوُوتِي وَيَأْخُذَ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذْ أَخَذَتْهُ الْيَهُودُ فَرَبَطُوهُ فِي حَبَلٍ وَحَلَقُوا وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَجَمَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوْكٍ ، وَحَمَلُوا حَشَبَتَهُ الَّتِي صَلَبُوهُ عَلَيْهَا عَلَى عُقْبِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَتْبِكِي حَتَّى نَصَبُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهُ حَتَّى بِحَرَّةٍ حَتَّى مَاتَ ؛ هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنَجِّيَهُ وَيُهْلِكَهُمْ ؟ فَيَكْتَنِي مَوُوتَهُمْ وَيَطْفِرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا حِينَ سَأَلَتْ إِسْرَاءُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْجِيَهُ وَيُهْلِكَ النَّاسَ ؟ فَأَجَبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ الْحَكِيمُ ، وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْحِكْمَاءِ .

قال المدائني : أَبْطَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنْجِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا قَبْلَهُ ^(١) — وَهُوَ عَلَى خُرَاسَانَ — وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : زَامِلُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْجَنْجِيدِ يَوْمًا فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَضْرِبَ لِي مَوْعِدًا أَصِيرُ إِلَيْهِ فَقُل . فَقَالَ : مَوْعِدُكَ الْحَشَرُ ؛ فَفَرَجَ زَامِلٌ مَتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى الْجَنْجِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .

أَرِحْنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَمِعَادٌ كَمِعَادِ زَامِلٍ
 قال : وَمَا فَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لَحِقَ بِأَهْلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنْفِيدُ فِي أَثَرِهِ بَرِيدًا ،
 وَبَعَثَ يُعْهِدُهُ إِلَى السَّكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَادْرِكْ] ^(٢) بَنِيْسَابُورَ ، فَتَزَلِمَا .
 وَامْتَدَّحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشْيءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : أَنْعُطِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أَبْتَغِي الْخَيْرَ لِنَفْسِي الشَّرِّ .

قال اللدائي : أتى العبداني حماد بن أبي حنيفة وقد لآ عينه كحلآ
 قد ظهر من محاجر عينه ، وعند حماد جماعة . فقال له حماد : كأنك امرأة
 نساء . قال : لا ، ولكنني نكلى . قال : على من ؟ قال : على أبي حنيفة .
 وقال مروان بن الحكم ليحيى ^(٤) : إِنْ ابْنَتِكَ تَشْكُو زَوْجِيكَ وَتَرْغُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِئَارِهِ . قال : فهو يبول منها فيما هو أعظم من دياره ^(٦) .
 وقال معاوية : هذا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فقال عَقِيلٌ : هذا معاوية عَمَّتُهُ
 حمالة الحطب .

قال : ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر فقارب في خطوه ، فقال
 أبو جعفر : كبرت سنك يا معن . قال : في طاعتك . قال : وإنك لجلد .
 قال : على أعدائك . قال : إن فيك لبقية . قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

(١) بعث بعهد إلى السكورة ، أى بعث إلى السكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهد إذا آمنه وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصة ؛ وسياق الكلام يقتضي إثباتها .
 (٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو اصل
 اسم القائل قد سقط من الناسخ كما يظهر لنا .

(٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أى زوجها .
 (٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضعين
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسفيان بن معاوية المهاجي ، ما أسرّع الناس إلى قومك ؟

قال سفيان :

إِنَّ الْعَرَانِينَ^(١) تَلْقَاهَا مُحْصَدَةً وَلَنْ تَرَى لِلثَّامِ النَّاسَ حُسَّادًا

فقال : صدقت .

قال للمدائني : حضر قوم من قریش مجلس معاوية وفيهم عمرو بن العاص وعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فقال عمرو : احمدا الله يا معشر قریش إذ جعل والي أموركم من يفضي^(٢) على القذى ، ويتصامم عن الغزواء ، ويجرؤ ذيلَه على الخدائع . قال عبد الله بن صفوان : لو لم يكن هذا لمشيئنا إليه الضراء ودبتنا^(٣) له الخمر ، وقلبنا له ظهر المجن ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مضر .

وقال معاوية : يا معشر قریش ، حتى متى لا تُنصِفون من أنفسكم .

فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عمرا وذوي عمرو أفسدوك علينا وأفسدونا عليك ، ما كان لو أغضبت على هذه ؟ فقال : إن عمرا لي ناصح ، قال أطعمنا ممّا^(٤) أطعمته ، ثم خذنا بمثل نصيحته ، إنك يا معاوية تُضرب عوام قریش بأباديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جاروك^(٥) دون لثامها ،

(١) عرانيين القوم : عليتهم ، تشبها بعرانيين الأنوف .

(٢) في نسخة : « يقضى على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون ب « ووهنا له الحمى » مكان « ودبتنا له الخمر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مضى إلى خصمه الضراء ودب إليه الخمر بفتح الحاء والميم إذا مضى إليه مستخفيا ليخنته . والضراء الشجر الملتف : والخمر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا منك تريد . وفي بعض المخطوط جاروك . يريد أنه يعطى كرامهم خوف منهم واتقاء لحربهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّكَ لتفرغر^(١) من إناء يُقْمَرُ في إناء صَخَم، وإكأنك بالحربِ قد حُلَّ
عِقالُها ثم لا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يا براح^(٢) ما أحوجَ أهْلَكَ إليكَ . ثم
أنشد معاوية :

أغرَّ رجالاً من قُرَيْشٍ تَشَابَعُوا على سَفَهٍ ، مِنَّا الحَيَا والتَّسَكُّرُثُم ؟
وقال المدائني : كان عمرو بنُ الزُّبَيْرِ عند عبدِ الملكِ بنِ مروانَ يحدثُهُ —
وعنده الحجاجُ بنُ يوسف — فقال له عمروٌ في بعضِ حديثه : قال أبو بكر
— يعني عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ — فقال الحجاجُ : أعندَ أميرِ المؤمنينِ تكفي ذلك
الفاسق ؟ لا أمَّ لك . فقال عمروٌ : ألي تقول هذا لا أمَّ لك ؟ وأنا ابنُ محاجرِ
الجنةِ خديجةٍ وصفيةٍ وأسماءَ وعائشة ؟ بل لا أمَّ لك أنت يا ابنَ المُستَقْرِمةِ^(٣)
يَعْجَمَ زَيْبِ الطَّائِفِ .

وقال : لما صَنَعَ هشامُ بن عبدِ الملكِ بَغِيلَانَ الواعِظِ ما صَنَعَ قال له
رَجُلٌ : ما ظلمَكَ اللهُ ولا سَلَطَ عَلَيْكَ أميرُ المؤمنينِ إلَّا وأنتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فقال
غِيلَانُ : قَاتَلَكَ اللهُ ، إِنَّكَ جاهِلٌ بأصحابِ الأخْدُودِ .

قال عمرو بنُ العاصِ : أعجَبَتْنِي كَلِمَةُ مِن أُمَّةٍ ، قلتُ لها ومعها طَبَقٌ :
ما عليه يا جارية ؟ قالت : فَلَمْ غَطِّيْنَاهُ إِذَا .

وَقَعَ ابنُ الزُّبَيْرِ في مُعاويةَ ، ثم دَخَلَ عليه فَأخْبَرَهُ مُعاويةَ بِبَعْضِهِ ، فقال :
أَتَى عِلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فقال مُعاويةَ : أَمَا عِلِمْتُ أَنَّ ظَنَّ الحَكِيمِ كِهَانَةٌ .

(١) كذا ورد قوله : « لتفرغر » في (١) التي وردت فيها وحدها هذه الفصة ؛
ولم تدب له معنى . (٢) كذا ورد قوله : « يا براح » في الأصل ؛ ولم تدب له معنى
ولعل صوابه يا نزاح أي كثر التزوح عن أهله كما تدل عليه بقية العبارة . (٣) المستقرمة
بمعجم زيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج في بعض كتبه لإيه .
وبمعجم الزيب : نواه . ويريد أن أمه كانت تستفرم به أي تضعه في فرجها ليضيق .

وقيل لعمرو بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجبل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فانا أكره أن أغمس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخندف امرأته أم الخندف ، فقالت له : يا أبا الخندف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك^(١) عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خفافيرك ! قال : كثيرة في مرج أفيح ، فإن شئت قريناك منها ، ثم قال الأخطل : يا أباحزرة ما فعلت أعنازك ؟ قال كثيرة في واد أزوح ، فإن شئت أنزيناك^(٢) على بقضها .

وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليًا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليًا فقال : زعم ابن النابغة أني تلماذة تمرأحة ذو دُعابة أعافس وأمارس ؛

هيئات ، يمتنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب ففي هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشر القول السكذب — إنه ليمد فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم البأس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمتنع القوم أسسته .

قال العدائني : بعث المفضل [الضبي] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحيتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لحا ولا دما

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تيا لك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أفريناك » بالغاف والراء ؛

وهو تصحيح صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المدائني: مرَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السلام ومعه نَيْسٌ، فقال له عَلِيٌّ: «إِنْ أَحَدَ ثَلَاثَتِنَا أَحَقُّ، فَقَالَ عَقِيلُ: أَنَا
أَنَا وَنَيْسِي فَلَا».

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ حُجْرَانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ لَهُ حُجْرَانُ: لَا أَكْثَرُ
اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ. فَقَالَ عَامِرُ: لَكِنْ أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ:
يَا عَامِرُ، يَقُولُ لَكَ حُجْرَانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَكْسَحُونَ طُرْقَنَا،
وَيَحْوُكُونَ^(١) ثِيَابَنَا، وَيَخْرِزُونَ خِفَافَنَا. فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنَّا نَرَى أَنَّكَ تَعْرِفُهُ
مِثْلَ هَذَا، قَالَ: مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا نَنْظُرُونَ بِنَا.

وقال: مرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَخْوَصِ وَهُوَ عَلَى بَغْلٍ، فَأَذَى الْبَغْلُ
فَقَالَ الْأَخْوَصُ: بَغْلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ. قَالَ جَرِيرُ: وَالْخَامِسَةُ
أَحَبُّ إِلَيْكَ.

ومرَّ جَرِيرٌ بِالْأَخْوَصِ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بِامْرَأَةٍ وَيُنْشِدُ:

يَقْرَأُ بِعَيْنِي مَا يَقْرَأُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرُ: فَإِنَّهُ يَقْرَأُ بِعَيْنِهَا أَنْ تَقْعُدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَسْكَرِ، أَفَتَرَكَ
تَفْعُلُ ذَلِكَ؟

فقال الوزير: مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْفَنَّ وَلَهُ فِيهِ
غَزَاةٌ وَأَنْبَعَاثٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِمْرَادِ. قُلْتُ: أَبْنُ عُبَادٍ عَلَى هَذَا، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ
أَنَّهُ يَفْعَلُ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ، فَقَالَ: السَّكْدُبُ لَا خَيْرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة: «ويعولون»؛ ولا ينبغي ما فيها
من تحريف ظاهر.

(٢) عبارة ب «ومرَّ جَرِيرٌ بِالْأَخْوَصِ وَهُوَ يَفْسُقُ» ثم ذكر البيت.

(٣) في ب «الكتاب». . (٤) في (١) «يتقل»؛ وهو تحريف

فيه ، ولا حَلَاوَةَ لِراويه ، ولا قَبُولَ عند سامعيه .

وقال : أَرْسَلَ بلالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ إِلَى أَبِي عُلَقَمَةَ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي لَأَيَّ شَيْءٍ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَتَضَعَّ بِي خَيْرًا . قَالَ : أَخْطَأْتُ وَلَكِنْ لِأَسْئَةٍ بِكَ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَكَّمُ الْمَسْلُومُونَ حُكْمَيْنِ ، فَسَخِرَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ : أُمِّيقَالَ سَخِرَ بِهِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ حَكَاهُ ، وَصَاحِبَ التَّضْيِيفِ قَدْ رَوَاهُ ؛ وَسَخِرَ مِنْهُ أَيْضًا كَلَامٌ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ هُوَ أَفْضَحُ ، لِأَنَّهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَّا فَكَلَامُهَا جَائِزٌ .

وقال حَمْزَةُ بْنُ بَيْضِ الْحَنْظَلِيِّ لِلْفَرَزْدَقِ : يَا أَبَا فِرَاسٍ ، أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَسْبِقَ الْخَيْرَ أَمْ يَسْبِقَكَ ؟ قَالَ : مَا أُرِيدُ أَنْ أَسْبِقَهُ وَلَا أَنْ يَسْبِقَنِي ، بَلْ نَكُونُ مَعًا . وَلَكِنْ حَدَّثَنِي أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَنْ تَدْخُلَ مَنْزِلَكَ فَتَجِدَ رَجُلًا عَلَى حِرِّ أُمِّكَ ، أَوْ تَجِدَهَا قَابِضَةً عَلَى قُمُذِّ الرَّجُلِ . فَأَمَحَمَهُ .

فَلَمَّا قَرَأَتْ الْجُزْءَ فِي ضُرُوبِ الْجَوَابِ لِلْفَحِيمِ . قَالَ : مَا أَفْتَحَ ^(١) هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْكَلَامِ لِأَبْوَابِ ^(٢) الْبَدِيهَةِ ؟ وَأَبْعَثَهُ لِرَوَاقِدِ الذَّهْنِ ؟ وَمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ عِنْدِي بِشَيْءٍ [أَحْسَنَ] ^(٣) مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْفَوَائِقِ الرَّوَاقِ ، مَا أَحْسَنَ مَا جَمَعْتَ وَأَتَيْتَ بِهِ .

الليلة الأربعون

وقال مرّةً أُخْرَى : حَدَّثَنِي عَنْ أَعْتِقَادِكَ فِي أَبِي تَمَّامٍ وَابْنِ بَحْتَرِي ، فَكَانَ (١)

(١) كَذَا فِي ب . وَالَّذِي فِي (١) « مَا أَصَحَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي ب « لِأَنْوَاعٍ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا لَمْ تَرُدْ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ ، وَالْبَيَاقُ يَفْتَضِيهَا ،

إِذْ لَا تَمُ الْمُبَارَاةُ بِدُونِهَا .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رفعه ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الفِرَازِ دَقِ وَجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَّاسِيفَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصِّدْرُ الْأَوَّلُ ، مع علوِّ مَرَاتِبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالْبَيَانِ ، لَسَكَنَ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَرَوْضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ وَالبُحْتَرِيِّ ؛ فَقُلْتُ : أَبُو تَمَّامٍ يَقُولُ عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سُقُوطًا قَبِيحًا ، وَالبُحْتَرِيُّ أَحْسَنُ الرَّجُلَيْنِ نَمَطًا ، وَأَعَذِبَ لَفْظًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَعَادَ ظَنِّي يَقِينًا

فَقُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مَفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالِمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلُوحُ مِنْهُ الْإِنْصَافُ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعْ ذَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ الْآفَةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتِرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّنْفِيسِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَبِالْقَذَعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ ؟ .

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَاغَ ^(١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلَمْ لَا يَسُوعُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سِوَاهُ ^(٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصِّدْقِ وَالْوَحْيِ الْمُؤْتَوَقُّ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصِّدْقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ .

فَقِيلَ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَافِعَ ^(٣) لَهُ ، وَلَسَكَنَ لَمَّا كَانَتْ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي ب « شَاع » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (١) وَلَا سِوَاهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِذَلِكَ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (١) وَلَا رَابِعَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الآراء ، والآراء ثمرات العقول ، والعقول منائح الله للعباد ، وهذه النتائج مُخْتَلِفَةٌ بالصفاء والكدر ، وبالكمال والنقص ، وبالقلة والكثرة ، وبالخفاء والوضوح ؛ وَجَبَ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى مَنَاهِجِ الْأَذْيَانِ فِي الْأَخْتِلَافِ وَالْأَفْتِرَاقِ ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنُوطَةً بِالنَّبُوءَةِ ؛ وَبَعْدَ ، فَمَا دَامَ النَّاسُ عَلَى فِطَرٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَادَاتٍ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَمَنَاشِئَ مَحْمُودَةٍ وَمَذْمُومَةٍ ، وَمُلَاحَظَاتٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي كُلِّ مَا يُخْتَارُ وَيُجْتَنَبُ ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَقَعَ الْأَتْفَاقُ فِيمَا جَرَى تَجَرُّى الْمَذَاهِبِ وَالْأَذْيَانِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَتْفَاقَ لَمْ يَحْضُرْ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَى أُورَى ، وَلَا فِي تَفْضِيلِ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ ، وَلَا فِي تَقْدِيمِ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّمَصُّبُ وَاللَّجَاجُ وَالْهَوَى وَالْمَحْكُ وَالذَّهَابُ مَعَ السَّابِقِ إِلَى النَّفْسِ وَالْمُؤَافِقُ [لِلْمَزَاجِ] وَالْخَفِيفُ عَلَى الطَّبَاعِ وَالْمَالِكُ لِلْقَلْبِ ، لَكَانَ كَافِيًا بَالِقًا بِالْإِنْسَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ .

وَشَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ كَثِيرًا : إِنَّ الدِّينَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّعْظِيمِ ^(١) وَلَيْسَ فِيهِ «لَمْ» وَ«لَا» وَ«كَيْفَ» إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يُؤَكِّدُ أَصْلَهُ وَيَشْدُدُّ أَرْزَهُ ، وَيَنْفِي عَارِضَ الشَّوْءِ عَنْهُ ، لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا يُوهِنُ [الْأَصْلَ] بِالشَّكِّ ، وَيَقْدَحُ فِي الْفَرْعِ بِالتَّهْمَةِ .

قَالَ : وَهَذَا لَا يَخْصُ دِينًا دُونَ دِينٍ ، وَلَا مَقَالَةً دُونَ مَقَالَةٍ ، وَلَا نِخْلَةً دُونَ نِخْلَةٍ ، بَلْ هُوَ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَكُلٌّ مِّنْ حَاوِلٍ رَفَعَ هَذَا فَقَدْ حَاوَلَ رَفَعَ الْفِطْرَةَ وَنَفَى الطَّبَاعَ وَقَلَبَ الْأَصْلَ ، وَعَكَسَ الْأَمْرَ ؛ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَا مُمَكِّنٍ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ » .

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَالتَّعْظِيمِ » بِالْوَاوِ ؛ وَهُوَ تَخْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْصِبُهُ السِّيَاقُ .

وقال لنا القاضى أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين فى أن أتحجّ عندهم أن بغداد أطيب من البصرة ، وأنا اليوم فى كلابى معهم كما كنت فى أول كلابى لهم ، وكذلك حالهم معى ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقطة الناس وسفلتهم — كيف لوج الناس بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرعوشيا وإما فضليا .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلق بعض هؤلاء المجان بلجام بقلته ، وقال : أيها القاضى ، عرفنا ، أنت مرعوشى أم فضلى ، فتجبر وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفة والفتنه ، وأن التخاص بالجوآب الرفيق أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرانى — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن فى محلة من ؟ قال : فى محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلتنا لا نختار على اختيارهم ؛ ولا نتميز فيهم . فقال العيار : امش أيها القاضى فى ستر الله ؛ مثلك من تعصب للجيران .

فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصب وهوى وتمأحك^(١) . ونكلفت . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : ولصلحة عامة نهى عن المراء والجدل [فى الدين] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينفصرون الدين^(٢) ، وهم فى غاية العداوة

(١) فى (١) « وتماسك » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى ب « الجدل » مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ الطُّمَآنِينَةِ وَالْيَقِينِ .

ثم حدث فقال :

اجْتَمَعَ رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا يَقُولُ بِقَوْلِ هِشَامٍ ، وَالْآخَرُ يَقُولُ بِقَوْلِ
الْجَوَالِيقِ ؛ فَقَالَ صَاحِبُ الْجَوَالِيقِ لِصَاحِبِ هِشَامٍ : صِفْ لِي رَبَّكَ الَّذِي
تُعْبُدُهُ ، فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ لَا يَدُّ لَهُ وَلَا جَارِحَةٌ وَلَا آلَةٌ وَلَا لِسَانٌ ، فَقَالَ الْجَوَالِيقِ :
أَيَسْرُوكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ بِهَذَا الْوَصْفِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ
تَصِفَ رَبَّكَ بِصِفَةٍ لَا تَرْضَاهَا لَوْلَاكَ ؟ فَقَالَ صَاحِبُ هِشَامٍ : إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ
مَا نَقُولُ ، صِفْ لِي أَنْتَ رَبَّكَ ؛ فَقَالَ : إِنَّهُ جَعَدُ قَطَطٍ فِي أَتَمِّ الْقَامَاتِ وَأَحْسَنِ
الصُّوَرِ وَالْقَوَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ هِشَامٍ ^(١) : أَيَسْرُوكَ أَنْ تَكُونَ لَكَ جَارِيَةٌ بِهَذِهِ
الصِّفَةِ تَطَوُّهَا ؟ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ عِبَادَةٍ مِنْ تَحِبُّ مُبَاضَعَةً
مِثْلَهُ ؟ ! وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ مُبَاضَعَتَهُ فَقَدْ أَوْفَعَ الشَّهْوَةَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : هَذَا مِنْ شَوْمِ الْكَلَامِ وَنَسْكَدِ الْجَدَلَ ، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ دِينَ لَكَانَ
لَا يَدُورُ هَذَا فِي وَهْمٍ ^(٢) وَلَا يَنْطَلِقُ بِهِ لِسَانٌ .

وَحَسْبِيَ أَيْضًا قَالَ : أُبْتَلِيَ غَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ بَوَجَّعٍ شَدِيدٍ ، فَعَمِلَ يَتَأَوَّهُ وَيَتَلَوَّى
وَيَصِيحُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ أَصْبِرْ وَأَحْمِدِ اللَّهَ تَعَالَى . فَقَالَ : وَلِمَاذَا أُنْحَدُهُ ؟ قَالَ
لِأَنَّهُ أَبْتَلَاكَ بِهَذَا ؛ فَاسْتَدَّ وَجْعُ الْغَلَامِ وَرَفَعَ صَوْتُهُ بِالتَّأَوُّهِ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ ،
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَلِمَ اسْتَدَّ جَزَعُكَ ؟ فَقَالَ : كُنْتُ أُخْلِنُ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ أَبْتَلَانِي بِهَذَا
فَسَكَنْتُ أَرْجُوهُ أَنْ يُعَافِيَنِي مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ وَيَصْرِفَهُ عَنِّي ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ هُوَ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ « الْجَوَالِيقِ » مَكَانَ « هِشَامِ » ،
وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا . وَعِبَارَةُ ب « فَقَالَ لَهُ » ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَهُ .

(٢) فِي ب « فِي خَاطِرِ » وَالْمَعْنَى نَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

الَّذِي أُبْتَلَانِي بِهِ مِنْ أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ؟ فَالآن أُشْتَدَّ جَزَعِي ، وَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أُبْتَلَاهُ هُوَ الَّذِي أُسْتَصْلَحُهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسَنٍ صَحِيحٍ وَعِلْمُهُ تَامٌ لَسَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَهُ وَتَوَهَّمَهُ لَا زَمًا .

وَحَكَى أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ نَظَائِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ وَالْهَوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَاطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمُ بِالْزَّامَةِ وَالْمَعَى وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ؛ فَوَتَّبِ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسْيُوهَ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَهُمُ النَّدَامَةَ ، وَالتَّعَارُفَ ^(١) فَخَلَوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَرِيقَةَ بِهِ ، فَرَجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَجَعَلَ يُبَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهَوَامَّ ، وَلَا سَاطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبِ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . فَوَثَبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَذْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَبَنَّمُ عَلَيَّ ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَبَنَّمُ عَلَيَّ . فَقَالُوا : هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شُؤْمِ الْكَلَامِ وَشُبْهِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَمَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ ، نَحْمُ يَدُلُّونَ وَيَحْتَكِلُونُ ، نَحْمُ رَاجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ التِّبَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَايِمَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « فارقوا مجلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في ب « لا يجب » . ولعلها بحرفة عن « لا يجب » ، بالبناء للجهول .

يُزَخَّرُ فُونُهَا وَيُمَوَّهُونَهَا لَتُقْبَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَسْحَابِ الرِّيُوفِ الَّذِينَ يُعْشُونَ
 التَّقْدَ لِيَنْفَقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الدُّعَاةُ^(١) بَيْنَهُمْ . قُلْتُ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ
 حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبِعُونَ^(٢) أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ . قُلْتُ :
 أَفَلَا تَهْتَدِي لِيَتَّبِعَنَّ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
 قَالَ : لَا أَجِبُهُ إِلَى حَقٍّ أَعْرِفُهُ بَعِيْنَهُ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُهُ أَيْضًا إِلَى
 بَاطِلٍ أَعْرِفُهُ بَعِيْنَهُ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
 بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مَتَكَافِئَةٌ ، وَإِنَّهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حَذَقِ الْحَاضِقِ
 فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكَيْفَ تَكُنْ قَدْ رَجَعْتَ عَنْ
 اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
 فَكَيْفَ تَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا مُجْمَلًا وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا مُجْمَلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُفَرِّقَ بِالتَّفْصِيلِ .
 قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا تَفْعَلُ^(٣) بِالْأَعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
 فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا نَفَعِي
 مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنْ أَقِفَ فَلَا أَحْكَمْ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّسْكَافُو ، لِأَنَّ
 الْبَاطِلَ لَا يَقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
 فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
 وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
 الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
 وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى النَّظَرِ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذَا فِي (١) وَالَّذِي فِي ب « الْعَامِلَةُ » .

(٢) فِي كَلِمَتَا النِّسَخَتَيْنِ « بَيْنَ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَا كَمَا يُوْخَذُ مِمَّا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَفْعَلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصَفَ لنا بعضُ النَّصَارَى الجَنَّةَ فقال : ليس فيها أَكْرَبُ ولا شَرُّبٌ ولا نِكَاح . فَسَمِعَ ذَلِكَ بعضُ المُتَكَلِّمِينَ فقال : ما نصف إلاَّ الحُزْنَ والأسَفَ والبلاء .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حُذَّاق المُتَكَلِّمِينَ — إِنَّ الأَمْرَ بما يَعْلَمُ أَنَّ المَأْمُورَ لَا يَفْعَلُهُ سَفِيهٌ ، وقد علم اللهُ مِنَ الكُفَّارِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، فليس لَأَمْرِهِمُ بالإِيمَانِ وَجْهٌُ فِي الحِكْمَةِ .

قال أبو سليمان : أُنْظِرْ كيف ذَهَبَ عَلَيْهِ السَّيْرُ فِي هَذِهِ الحَالِ ، مِنْ أَيْنَ أَتَوْا ، وكيف لَزِمَتْهُمُ الحِجَّةُ .

وقال أبو عيسى أيضاً : المُعَايِبُ الَّذِي لَا يَسْتَغْلِضُ بِمَعُوبَتِهِ مِنْ عَاقِبِهِ ، وَلَا يَسْتَغْلِضُ بِهِ غَيْرَهُ ، وَلَا يَشْفِي غَيْظَهُ بِمَعُوبَتِهِ جَائِرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَ العُقُوبَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . قال : لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَسْتَغْلِضُ أَهْلَ النَّارِ وَلَا غَيْرَهُمْ ، وَلَا يَشْفِي غَيْظَهُ بِمَعُوبَتِهِمْ ، فليس للعُقُوبَةِ وَجْهٌُ فِي الحِكْمَةِ . هَذَا غَرَضُ كِتَابِهِ الَّذِي نَسَبَهُ إِلَى القَرِيبِ المَشْرِقِ .

وقال أبو سَعِيدٍ الحَضْرَمِيُّ — وكان من حُذَّاق المُتَكَلِّمِينَ بِبَغْدَادَ ، وهو الَّذِي تَظَاهَرَ بالقَوْلِ بِتَكَاثُرِ الأدلَّةِ — إِنَّ كَانَ اللهُ عَدْلًا كَرِيمًا جَوَادًا عَلِيمًا رَءُوفًا رَحِيمًا فَإِنَّهُ سَيَصِيرُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا عَلَى اخْتِلَافِهِمْ يَجْتَهِدُونَ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ ، فَيَهْرُبُونَ مِنْ وَقَعِ سَخَطِهِ بِقَدْرِ عَلَيْهِمْ وَمَبْلَغِ عَقُولِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَرَكُوا اتِّبَاعَ أَمْرِهِ لِأَنَّهُمْ خَدَعُوا ، وَزَيَّنَ لَهُمُ البَاطِلُ بِأَسْمِ الحَقِّ ؛ وَمَتَّاهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ حَمَلَ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ ، فَعَرَضَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ قَوْمٌ شَانَهُمُ الخِدَاعَ وَالسُّكْرَ وَالْأَسْتِلَالَ^(١) ، فَتَصَبَّأُوا لَهُ رَجُلًا ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ المَلِكِ

UNP (١) فِي (أ) «وَالْأَسْتِلَالَ» وَفِي ب «وَالْأَسْتِرْسَال» ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كِتَابِنَا النُّسخَيْنِ .

الَّذِي كَانَ قَصْدَهُ ، فَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ إِلَيْهِمْ ؛ فَالْمَلِكُ الَّذِي قَصْدَهُ أَنْ كَانَ كَرِيمًا فَإِنَّهُ يَغْدِرُهُ وَيَرْسُخُهُ وَيَزِيدُ فِي كَرَامَتِهِ وَرِثَةٍ حِينَ يَقِفُ عَلَى قِصَّتِهِ ؛ وَهَذَا أَوَّلَى بِهِ مِنْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ وَيُعَاقِبَهُ .

وقال أبو سليمان : ذكروا أَنَّ رَجُلًا رَأَى قَوْمًا يَتَنَظَّرُونَ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَرَأَاهُمْ مُخْتَلِفِينَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ : أَتُلْزِمُنِي أَنْ أَقُولَ بِقَوْلِكَ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَنَّكَ مُحِقٌّ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ ، قُلْتَ لَكَ : إِنَّ بَعْضَ جُلَسَائِكَ يَدْعُونِي إِلَى مَخَالَفَتِكَ وَاتِّبَاعِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدِي عِلْمٌ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ؛ وَإِنْ أَلْزَمْتَنِي أَنْ أَتَّبِعَ كُلَّكُمْ فَهَذَا مُحَالٌ ، وَإِنْ قُلْتَ : لَا يَلْزِمُكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي وَلَا غَيْرِي إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِالْمُحِقِّ مِنْكُمْ ، لَمْ يَخْلُ الْعِلْمُ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلِي أَوْ فِعْلُ غَيْرِي ، فَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ فَمَلَا لِغَيْرِي فَقَدْ صِرْتُ مُضْطَرًّا ، وَلَا أَسْتَغْنِي عَنْهُ عَلَيْهِ حَدًّا وَلَا ذِمًّا [وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لِي] فَمَنْ أَكْبَرُ جَهَالَةٍ مِمَّنْ يَفْعَلُ مَا يَلْزِمُهُ الْأَمْرُ وَالنَهْيُ بِهِ ، وَإِنْ قَصَرَ صَيِّرَهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ أَكُونَ أَنَا لِمُعْتَرِضٍ عَلَى نَفْسِي ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَلْزِمُنِي ذَلِكَ إِذَا عَلِمْتُ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَعْلَمَ وَأَلَا أَعْلَمَ .

وَحَكِيَ لَنَا أَيْضًا قَالَ : سَأَلَ عِنْدَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُتَحَيِّرِينَ بِسَجِسْتَانَ فَقِيلَ لَهُ : [مَا دَلِيلُكَ عَلَى صِحَّةِ مَقَالَتِكَ ؟] فَقَالَ لَا دَلِيلَ وَلَا حُجَّةَ . فَقِيلَ لَهُ : [وَمَا الَّذِي أَحْوَجَكَ إِلَى هَذَا ؟] قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُ الدَّلِيلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ وَجْهِ ثَلَاثَةِ : إِمَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَثْبُتُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَلَمْ أَشْهَدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدِي مَقَالَتُهُ .

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ يَثْبُتُ بِالْكَلَامِ وَالْقِيَاسِ فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِذَلِكَ فَقَدْ

رَأَيْتُنِي مَرَّةً أَخْصِمُ وَمَرَّةً أُخْصَمُ ، وَرَأَيْتُنِي أُعْجِزُ عَنْ الْحُجَّةِ فَأُجِدُّهَا عِنْدَ غَيْرِي ، وَأَنْتَبَهَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لشيءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شيءٍ بِفَسَادٍ لِعَدَمِ الْحُجَّةِ .

وَبِمَا أَنْ تَكُونَ ثَبَتَ بِالْأَخْبَارِ عَنِ السُّكُتِ لَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِمِ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرَقَةِ الْوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدَّعْوَى وَالْحُجَّةِ وَالذَّبِّ وَالْمُضْمَرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ وَحَلِيَّتِهِ ، وَهَدْيِهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لغيرِهِ ، وَذَاكَ أَنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَتَشَرَّبْتُ خَلَاوَتَهُ ، وَأَلِفْتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنْ الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَيُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْفُنْدُقِ فَرَأَاهَا أَيْضًا تَسْكِفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَذَغَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَسْكَانَهُ وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [آخَر] وَيَرْبِجُ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُطْلَخُ رِجْلَيْهِ بِالرَذَغَةِ وَالْوَحْلِ اللَّذَيْنِ فِي الصَّحْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَالْمُقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا مَثَلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، ثُمَّ أَدْخَلَنِي أَبُوَايَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ غَيْرِ خِيَرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا فَتَقَشْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أَعَزَّ مِنِّي فِي تَرْكِهِ ، إِذْ كَفْتُ لَا أَدْعُهُ وَأُمِيلُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنِّي
لِذَلِكَ ، وَأَتَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ ؛ وَلَسْتُ أَجِدُ لَهُ حُجَّةً إِلَّا وَأَجِدُ لَغَيْرِهِ عَلَيْهِ مِثْلَهَا .

وَحَكَّى لَنَا ابْنُ الْبِقَالِ — وَكَانَ مِنْ ذُهَاةِ النَّاسِ — قَالَ : قَالَ ابْنُ
الْمَيْثَمِ : جُمِعَ بَيْنِي وَبَيْنَ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لِي : أَحِبُّ أَنْ أَنْظُرَكَ
فِي الْإِمَامَةِ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّكَ لَا تُنَاطِرُنِي ، وَإِنَّمَا تُشِيرُ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ : مَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ ، وَلَا هَذَا مَوْضِعُ مَشُورَةٍ ، وَإِنَّمَا اجْتَمَعْنَا الْمُنَاطَرَةَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : فَإِنَّا
قَدْ اجْتَمَعْنَا عَلَى أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْإِمَامَةِ أَفْضَلُهُمْ ، وَقَدْ سَبَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ يَنْتَزِعُ فِي
فَضْلِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ بِالْقُلِّ وَالْخَبَرِ ؛ فَإِنْ أُحْبِبْتَ سَلَّمْتُ لَكَ مَا تَرْوِيهِ
أَنْتَ وَأَهْلُ مَذْهَبِكَ فِي صَاحِبِكَ ، وَتُسَلِّمُ لِي مَا أَرْوِيهِ أَنَا وَفِرْقَتِي فِي صَاحِبِي ،
ثُمَّ أَنْظُرَكَ فِي أَيِّ الْفَضَائِلِ أَعْلَى وَأَشْرَفَ ؛ قَالَ : لَا أَرِيدُ هَذَا ، وَذَاكَ أَنِّي
أَرْوِي مَعَ أَصْحَابِي أَنَّ صَاحِبِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، وَيَعْلَمُ
وَيَجْهَلُ ؛ وَأَنْتَ تَقُولُ فِي صَاحِبِكَ : إِنَّهُ مَقْصُومٌ مِنَ الْخَطَا ، عَالِمٌ بِمَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ . فَسَكَيْتَ أَرْضَى هَذِهِ الْجُمْلَةَ ؟ قُلْتُ : فَأَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ تَرْوِيهِ أَنْتَ
وَأَصْحَابُكَ فِي صَاحِبِي مِنْ سَمْدٍ أَوْ ذَمٍّ ، وَتَقْبَلُ أَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ أَرْوِيهِ أَنَا
وَأَصْحَابِي فِي صَاحِبِكَ مِنْ سَمْدٍ أَوْ ذَمٍّ ؛ قَالَ : هَذَا أَقْبَحُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَذَاكَ
أَنِّي وَأَصْحَابِي تَرْوِي أَنَّ صَاحِبِكَ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ فَاضِلٌ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تَرْوُونَ
أَنَّ صَاحِبِي كَافِرٌ مُنَافِقٌ ؛ فَسَكَيْتُ أَقْبَلُ هَذَا مِنْكَ وَأَنْظُرَكَ عَلَيْهِ ؟

قَالَ ابْنُ الْمَيْثَمِ : فَلَمْ يَنْتَقِ إِلَّا أَنِّي أَقُولُ : دَعَّ قَوْلَكَ وَقَوْلَ أَصْحَابِكَ ،
وَأَقْبَلُ قَوْلِي وَقَوْلَ أَصْحَابِي ؛ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا ذَاكَ ؛ قُلْتُ : هَذِهِ مَشُورَةٌ ، وَلَيْسَتْ
مُنَاطَرَةً . قَالَ : صَدَقْتَ .

وَحَكَّى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟] قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْأَتْنَانِ اللَّذَانِ نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَعْقُولَانِ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَاحِدُ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ مَعْقُولٌ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرَنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَّى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَاظَرَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضَيَا بِأَوَّلِ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَّاهُ قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبَّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ صَنًا ، وَقَالَ لِلثَّانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفْ عَدَمًا ، وَكَلَّا كَمَا يَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ بْنُ كَعْبٍ : قَالَ ابْنُ الطَّحَّانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ وَكَانَ يَقُولُ يَقُولُ جَهَمَ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَدَّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيَسْتَدْمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَتْلُو عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَّى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُمَانَ الْأَدْمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَائِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَائِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلُّ مَانِعٍ رَاقَةٌ ، وَليست في الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رَوَى فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْخُورَ يُرَى مُخً سَائِقَهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
اَلْبَقْلَةُ إِذَا أُؤْتِيَ مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بُسَّ الْبَيْتُ الْحَمَامِ ، يُدْهَبُ الْحَيَاءُ ،
وَيُبْدَى الْعَوْرَةُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ رَبَاطٍ الْكُوفِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صُدِّقَ^(١) وَلَا أُخِذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَاهُ يَفْعَلُ فِعْلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمَ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهْمَ ، وَشَهِدَ
وَلَمْ يَقِبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سُئِلْتُ أُجِبْتُ ،
وَإِذَا سَكَتُ أُبْتَدِئْتُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبِلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبِلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُورُ بِفَنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِنِدَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَمَانَ : هَذَا جَوَابٌ مَبْتُورٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ قَدْ

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالنَّي فِي (١) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى أنحرف عن الغاية ؛ وليس يجوز أن يكون حال الإنسان كيف كان حال الشاة في إجابة الداعى وإياها^(١) ، فإن له دواعى وموانع عقلية [وحسية] .

فقال الوزير : هذا أيضاً باب قد مضى مستوفى ، ما الذى سمعت اليوم ؟
فقلت : رأيت ابن برمويه فى دعوة ، وترأى الحديث فقال : رأيت اليوم
الوزير شديد العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا على بختى ؟
فقال ابنُ جبلة : لعله كان ذاك لسبب ، وإلا فالبشرُ غالبٌ على وجهه ،
والْبَشَاشَةُ مألوفةٌ منه . فقال ابن برمويه : ما أحسن ما قال الشاعر :

أخو البشرِ محمودٌ على حُسنِ بشرِهِ ولن يقدّمَ البغضاءَ من كان عابِساً
فقال على بنُ محمد — رسولُ سجستان — : ما أدرى ما أتما فيه ، ولسكن يقال :
ما أَرْضَى الغضبان ، ولا أَسْتَعَطَفَ السلطان ، ولا مَلَكَ الإخوان ؛ ولا اسْتَلَّتْ
الشَّحْنَاءُ ، ولا رُفِعَتِ البغضاء ؛ ولا تَوَقَّى المخذور ، ولا اجْتَنَبَ السرور ؛
بمثل البشرِ والبرِّ ، والهديةِ والعتيةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس^(٢) .

فكان الجواب : قال أبو همام ذات يوم : لو كان الذئبُ لا يحْمِلُ
بعضه إلا الرُّطْبَ ، وبعضه [إلا] البُسْرَ ، وبعضه إلا الخلال^(٣) ، وكنا متى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « الوداع » . مكان قوله : « المجلس »

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار

تَمَاوَلْنَا مِنَ الشُّمْرَاحِ بُسْرَةً خَلَقَ اللَّهُ مَسَاجِدَ بُسْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ .
 ثم قال : أَسْتَمْفِرُّ اللَّهَ ، لَوْ كُنْتُ تَمَنَيْتُ بَدَلَ نَوَاقِ التَّمْرِ زُبْدَةً
 كَانَ أَصُوبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رَجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
 بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبُ » ، وَإِنَّمَا
 ضَاعَتْ هَذِهِ الصُّغَةُ عَلَى سَمَرِ الْأَيَّامِ بِغَلَبَةِ الْمُجْمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
 وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لَوْ كَانَ لِأَيِّهَا ذِكْرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ
 الْأَمْرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فقلتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
 وَالرِّوَايَةِ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
 لَكِنِّي أَحْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُمَانُ .

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَعَلَى فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَقْتُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 عُمَانُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَنَأْيِ كَيْدِهِ
 أَخْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةٍ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
 زَادَكُمْ اللَّهُ حِمَّةً فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَثَاقُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ؛ أَمَّا
 وَاللَّهِ لَهَدَمْتُ النِّعْمَةَ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزِّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ
 مِنْ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالسُّكْرِ ؛ أَمَّا لَنْ كَانَ فِيَّ أَكْلُهُ ، وَاحْتِرَمَ أَجَلُهُ ،
 إِنَّهُ لَصِهْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [خَلْقًا]
 تَزُوجَ أَبْنَتِي نَبِيٍّ غَيْرَهُ ؛ وَلَوْ غَيْرُ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صِفَاتَهُ لَوَجِدَ عِنْدَ تَلْطِئِ

الحربِ متَجَرِّدًا^(١) ، وَلِئُيُوفِ النَّصْرَ مُتَقَلِّدًا ، وَلَكِنَّهَا فِتْنَةٌ قُدِّحَتْ بِأَيْدِي
الظُّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكَدَّهُ ، وَعَصَّدَ الدِّينَ وَأَيْدَهُ ؛ وَلَقَدْ
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِيَ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَوَقَمَ^(٢) أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمَصِيبَةُ بِهِ ،
مَا أَنْجَمَهَا ! وَالْفَجِيعَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ! صَدَّعَ وَاللَّهُ مَقْتَلُهُ صِفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَمَتْ
مَصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ؛ تَبًّا لِقَائِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلَبُّسِ بِدَمِهِ ،
وَالرِّضَا بِقَتْلِهِ .

فقال الوزير : مَا أَفْصَحَ لِسَانَهَا ، وَأَشْجَعَ جَنَانَهَا ، فِي ذَلِكَ الْمُحْفِلِ الَّذِي
يَتَبَلَّبَلُ فِيهِ كُلُّ قَلْقُلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَتْ : مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ
الْبَاسِ^(٤) ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّذَمُّمُ لِلجَّارِ ،
وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَالْمُسْكَافَاةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَفِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكُنَّهَا نِعَمَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْهَمَهَا ،
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا !!

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَمْرَأَةً تَطَلَّعَتْ إِلَى مُسْلِمٍ بْنِ قُتَيْبَةَ بِخُرَّاسَانَ ، فَزَبَرَهَا ،
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إِلَى خُرَّاسَانَ لِتَنْظُرَ
هَلْ تَنْتُبُ خُرَّاسَانَ بِلَاعَمَلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَيْلَكَ ، فَظَلَامَتُكَ
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) فِي (١) : « مُتَحَرِّكًا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) وَقَمَ أَرْكَانَ الْكُفْرِ : كَسَرَهَا وَأَذَلَّهَا .

(٣) الْقَلْقُلُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ الْمَعْوَانُ .

(٤) فِي (١) : « النَّاسُ » بِالنُّونِ . وَوَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي (ب) لَا تَقُطُّ فِيهَا

وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَتَيْنَاهُ .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطَّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هَذِهِ الرَّأَةِ ، وَلَقَدْ آلَيْتُ
أَلَّا أَسْتَهِينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتَى .

وشبهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَأَزْدَرَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَيُّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَقَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنِّي يُقَالُ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرَّتْ كَلِمَتُهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجَوِّ وَنَسَكِرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَضِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُحَجَّبَ
عَنْ نِسَائِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبَّمَا أُجْتَزَأَتِ أُمْرَأَةٌ
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْعَيْنِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان هشام بن عبد الملك خَصِيٌّ
يقال له خالد ، وكان وَضِيئًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، نَحْمًا أَبْيَصَ ، فَأَمَرَ
هشامُ مَسْلَمَةَ بِالْغَدْوِ عَلَيْهِ ، فَغَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لَأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَأَسْتَخَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً سَمِعَهَا مَسْلَمَةُ ، فَحَقَّدَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْلَمَةُ إِلَى هِشَامٍ
لَمْ يَزَلْ يُذَاكِرُهُ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ
وَمَسْلَمَةُ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُعَمَّمًا بِعِمَامَةٍ
وَشَيْءٍ ؛ فَقَالَ مَسْلَمَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَضَمَّةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ مُجَامَعَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هِشَامٌ وَجَعَلَ يَتَصَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْلَمَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هِشَامٌ ، إِنِّي
نَحَيْتُهُ لِمَا بَلَغْتُكَ ، فَجَفَاهُ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالنَّفَرِ .

(٥)

وَجَرَى حَدِيثُ النَّفْسِ وَأَنْهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ ، فَقِيلَ : النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ عَلَّامَةٌ ، وَالْعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لَكِنَّهَا لَمَّا لَابَسَتْ الْبَدَنَ ، وَصَارَ الْبَدَنُ بِهَا إِنْسَانًا ، اعْتَرَضَتْ حُجُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَتِهَا كَثِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فَصَارَتْ تَخْرِقُ الْحُجُبَ بِكُلِّ مَا أَسْتَطَاعَتْ ، لِتَصِلَ إِلَى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فَصَارَتْ تَعْلَمُ الْمَاضِيَ بِالْأَسْتِخْبَارِ وَالتَّعَرُّفِ وَالبَحْثِ وَالمُسْتَلَّةِ وَالتَّنْقِيرِ ، وَتَعْلَمُ الْآتِيَ بِالتَّنَاقُيِ وَالتَّوَكُّفِ وَالتَّبْشِيرِ وَالإِنْذَارِ ، وَتَعْلَمُ الْحَاضِرَ بِالتَّعَارُفِ^(١) وَالمُشَاهَدَةِ وَبِحَالِ الْحِيسِ ؛ وَهَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ كُلُّهَا زَمَانِيَّةٌ ، وَلِهَذَا انْقَسَمَ بَيْنَ لَاضِيِ وَالْآتِيِ وَالْحَاضِرِ . فَأَمَّا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمَصَادِقَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، الْعَالِيَةِ عَلَى حَضَرٍ^(٢) الذَّهْرِ ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لَمَّا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنِي الحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنِي بِهَذَا السُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا فَقِدَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِخْبَارِ وَالْأَسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أَلْتَبَسَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الحَرَكَةُ ، وَأَعْتَادِ الحَرَكَةَ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فَصَارَ هَذَا الْجُزْءُ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمُنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِجَدْبِ^(٤) تَحَلُّلِ الْحِسْرِ بِمَنْ نَبَتْ^(٥) الْعَقْلَ ، وَخِصْبِ^(٦) مَرَادِ الْعَقْلِ بِكُلِّ مَا عُلِقَ بِالمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي الْأَصُولِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حَضَر » .

(٣) فِي (ب) : « الْحَبْرِ » مَكَانُ قَوْلِهِ : « الْجُزْءُ » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْءُ » مَكَانُ قَوْلِهِ : « الْجَدْبُ » .

(٥) فِي (أ) : « نَبَتْ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « وَخِصَّتْ مَوَادَّ الْعَقْلِ » ؛ وَمَا أُبَيِّنَاهُ هُوَ

مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

فقال الوزير : ما أَعْلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أَعَمَّقَ غَوْزَهُ ! وإني لأَعْدِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المسموعَ بالرَّدِّ ، وأَعَرَضَ عَلَى قائله بالتَّكْبَرِ ؛ وَلَعَمْرِي إِذَا تَعَايَتِ الأشياءُ بالأسماءِ والصفاتِ ، وعَرَضَ العَجْزُ عن إِبَانَتِهَا بِمَحَانِقِ الألقابِ ، حَارَ العقلُ الإنسانيُّ ، وخَيَّرَ الفَهمُ الحسِّيُّ ، وأَسْتَحَالَ المِزَاجُ البَشَرِيُّ وَتَهَافَّتَ التَّرْكِيبُ الطَّيْنِيُّ ، وَقَدَّرَ الناظرُ في هذا الفنِّ ، والباحثُ عن هذا المستمكنِّ ، أَنه حارِمٌ ، وَأَنَّ الحُلْمَ لا ثَمَرَةَ لَهُ ، ولا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هكذا ما دامَ مَقْبِيساً إلى الأمورِ القائمةِ ^(١) بشهادة الإحساس ؛ فأما إِذَا صَفَا الناظرُ ، أَغْنَى ناظرَ العقلِ مِنْ قَدَى الحسِّ ، فَإِنَّ المطلوبَ يَكُونُ حَاضِراً أَوْ كَثُورَ مَا يَكُونُ غَيْرُهُ ظاهراً مُسْتَبَاناً ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ الْعَبْدِ كَشَهَادَةِ الْمَوْلَى ، ولا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ الْقَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْبَاتاً غَرِيبَةً جَزَلَةً ، مَا أَنَشَدْتُ [لِهَذِهِ الْعُذْرَةِ] : ^(٢)

سَأَوِي إِلَى خَيْرٍ فَقَدْ فَاتَنِي الصَّبَا	وَصِيحَ بِرَيْعَانِ الشَّجَبَابِ فَنُفِّرَا
أُمُورٌ وَأُلُوانٌ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بَنَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَفَكَّرَا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَى أَصَابَهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وإِنْ نَتَجَّ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وإِنْ غَالَتَا دَهْرٌ فَقَدْ غَالَ قَبْلُنَا	مُلُوكٌ بَنَى نَصْرِي وَكِسْرِي وَقَيْصَرَا
وَزِي نَيْرِبٍ ^(٣) قَدْ عَابَنِي لَيْنَالِي	فَأَعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَأَقْصَرَا

(١) في نسخة : « الغائبة » مكان « القائمة » .

(٢) النيرب : الحقد . والذي في (١) : « نيرب » . وفي (ب) : « سرب » ؛

وهو تحريف في كلتا النسختين .

فَإِنْ بِكَ دَهْرٌ نَالْتِ فَأَصْـابْنِي بَرِيْبٌ فَمَا تُشَوِي^(١) الحوادثُ مُفْشَرَا
مَلَسْتُ إِذَا الضَّرَاءُ نَابَتْ بِجُبَا^(٢) وَلَا جَزَعٌ إِنْ كَانَ دَهْرُهُ تَفْسِيرَا
فَقِيلَ : مَا الْجُبَا ؟ فَقَالَ : الْجَبَانُ .

قال أبو سعيد : حكى العلماء إن فلاناً جبياً ، إذا نكَلَ .

فقال : مَا أَتَيْتَنَ هَذَا الْكَلَامَ ، وَالطَّفَ هَذَا الْجَدَدُ ! وَمَا أَبْعَدُهُ مِنْ تَلْفِيْقِ
الضَّرُورَةِ ، وَهَجْنَةِ التَّكَلُّفِ ، لَوْلَا أَنَّ سَامِعَهُ رُبَّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأَنْكَسَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فكان الجوابُ : قَدْ مَرَّ فِي الْقَالَ وَالزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ وَالْأَعْتِيَا فَمَا إِذَا
تُحْفِقَ لَمْ يُعْجَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْأَسْتِشَارِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنْ الْمَذْكَورَ وَالْمَسْمُوعَ
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمُحِبُّوْبًا وَمُتَمَتِّي ، كَانَ أَخْفَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْطَأَ
بِالنَّفْسِ ، وَأَعْمَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ^(٣) إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الصَّدِّ ، فَإِنَّهُ يُكَوْنُ
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَكِنَّ الْأُمُورَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ لَيْسَتْ
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَا فَةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَهِيَ عَلَى
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نَهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ بَنَيْتَهُ^(٤) ضَعِيفَةً ، وَمَادَّتهُ مِنَ الْعَقْلِ
طَفِيفَةً ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيفَةً ؛ وَإِلَّا فَبَأَى بُرْهَانٍ صَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ
يَجْلِبُ الْمُحِبُّوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ۖ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْخَبِيثَ يَجْلِبُ لِلْمَكْرُوهِ وَيَكُونُ

(١) تشوى : تخطى .

(٢) في (١) : « محبياً » . وفي (ب) : « محباً » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

صوابه ما أمئتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) كان الأولى أن يقول « ولا كذلك » أو « وليس كذلك » أو « وعكس ذلك »

فإن الآتي بعد ليس كالذي ذكره قبل .

(٤) كذا في (ب) . والذي في (١) : « نفسه »

عِلَّةَ له ؟! هذا خَوَرٌ في طباعِ قائله ، وتَأَنَّثُ^(١) في غُنْصُرِ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ ولو سَلَكَ العلماءُ والبُصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فسادِ عَامٍ ؛ وَآثَرُ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنِ أُعْجِبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يَمُوتُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطُ إِلَىهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهَمَّةٍ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ؛ وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَابُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فقال الوزير : قد أخذت المسئلةُ بحَقِّهَا ، والمستزِيدُ منها ظالمٌ ، والزائدُ عليها متكلفٌ .

وقال أيضاً : أريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ عَنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ^(٤) أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فكان من الجواب : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرُّجُحَانَ لَمَّا يُدْمُ بِهِ لَا لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَفِنْ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خِبْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْهَنْدَسَةِ ، وَتَشَبُّهُ^(٦) بِأَصْحَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكَرَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَتَأَنَّثُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَآكُثَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَاهُ كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ (١) : « وَهَمَّةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانُ قَوْلِهِ : « وَهَمَّةٌ صَاعِدَةٌ » ؛ وَمَعْنَاهَا

لَا يَنْبَاسِبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بِلَدٍ قَرِبَ الدِّينُورِ بَيْنَ هَمْدَانَ وَحُلَوانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانَ « وَهُنَاكَ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (١) : « وَنَسَبَةٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فِي الْمَحَابِلِ صَالِحَةً ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا كَلَّمَهُ مَرْدُودٌ بِالرَّعُونَةِ وَالْمَكْرِ^(١) وَالْإِيْهَامِ وَالْحِسَّةِ
وَالْكُذْبِ وَالغِيْبَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ قَرِيْنُهُ بَقَرْمِيسِينَ يَظُنُّ بِهِ خَيْرًا ، وَيَحْظُهُ
بَعِيْنًا مَا ؛ فَلَمَّا سَبَّرَهُ ذَمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالصَّرْفِ لثَلَاثًا يُحْكَمَ عَلَى اخْتِيَارِهِ
بِالْخَطَا ، وَعَلَى تَصَرُّفِهِ بِالْمَوَى . وَلِلْكُبْرَاءِ وَذَوَى الْقُدْرَةِ زَلَاتٌ فَاحِشَةٌ ،
وَقَعَلَاتٌ مُوَحِّشَةٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ [عَلَيْهَا] مَعِيْرٌ لِلْخَوْفِ مِنْهُمْ ؛ فَلَمَّا
تَمَادَى قَلِيْلًا وَجَهَ ابْنُ وَصِيْفٍ حَتَّى صَرَفَهُ^(٢) وَقَيَّدَهُ [بَعْدَ مَا وَبَّخَهُ وَقَنَدَهُ]
وَهَا هُوَ ذَا الَّذِي هُنَا لَا يُقْبَلُ بِقَبْصَةٍ^(٣) ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ بِلَحْظَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ
يَظُنُّ أَنَّ قَرَرَ الدَّوْلَةَ إِلَى نَظَرِهِ كَقَرَرَ الْمُدْنَفِ إِلَى عَافِيَتِهِ .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شرار^(٤) وقبقة^(٥) ، وتنديد وشنعة .

وحدثني أبو أحمد أسد بن فارس شارح في أمور خبيثة ، وعازم
على أشياء قبيحة ، ومضرب بين أقوام ضمتهم الألفة ، واستحكمت بينهم
الثقة ، وخلصوا^(٦) حَفَظَةَ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَا لِلنَّعْمَةِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْنَفُسِهِمْ ، وَمَا أَخُوْفَنِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِهِمْ عَذَبٌ

(١) في كلتا النسخين : « والفكر » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ضربة » .

(٣) في كلتا النسخين : « لا يقبل بقبضة » ؛ وهو تحريف في كلتا النسخين .

والقبضة : ما أخذ بأطراف الأصابع ، كما سبق ذلك في تفسير المؤلف لهذا اللفظ نقلًا عن
بعض اللغويين في الجزء السابق من هذا الكتاب . ويريد بهذه العبارة أنه رخيص :

(٤) شرار ، أي مشاركته بتشديد الراء . وفي نسخة : « سرار » بالسين المهملة .

(٥) من معاني القبقة : المدير ، وصوت أنياب الفيل ، والحق ؛ فلمله يريد ما يفيد

هذه المعاني من أن بينهما ماضية وملاحاة وخسومة . وفي (أ) : « وفنته » مكان « وقبقة »

« وتبديل » مكان « وتنديد » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

(٦) في كلتا النسخين : « وحصلوا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق

شُرِبْنَا ، وَأَمِنْ سِرْبُنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَاهُمْ فِينَا كُلَّ مَكْرُوهِ .

فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقْفًا مَنَظَرًا ، وَأَذَلَّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ
نَفَخْتُ عَلَيْهِ لَطَارَ ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَالَتَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،
حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأُسْتَبِينَ بَرَاعَتَكَ وَتَرْتِيبَكَ^(٢) بِهَا ؛ فَإِنَّا أَفْعَلُ
ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
الْعَجَبِيَّةِ إِلَّا رُفْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ
الْحَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهُتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَحَوَتْ حَدِيثَ
ابْنِ طَاهِرٍ وَصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اللَّهُمَّ حَلِّئِ بِالتَّوْفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالنُّصْرَةِ ، وَأَقْرِنْ
مَنْطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَمَالِكِ عُمِّيَّ فَارِجَةً^(٣) مِنَ
الْغُيُومِ ، وَخَاتَمَةً مُوصُولَةً بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .

كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدَمْتُ دَوْلَتَهُ ،
وَعَلَاهُ مِنْ صَدْرِي بِخَبِيرَتِهِ ، وَمِنْ فَوَادِي بِمَحِيطَتِهِ ، وَتَصَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلنا النسختين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وقرنتك

مكان « وترتيبك » .

(٤) في (١) : « فازحة » ؛ وهو تحريف .

بإذنه في شُجُونِهِ وفُتُونِهِ ، كلُّ ذلك آمِلًا في جَدْوَى آخِذُهَا ، وَحُظُورَةِ أَهْلِهَا
 بِهَا ، وَزُلْفَى أُمَيْسُ مَعَهَا ، وَمَثَالَةِ أَحْسَدُ عَلَيْهَا ؛ فَتَقْبَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَوَعْدَ هَالِكِهِ
 خَيْرًا وَلَمْ يَزَلْ أَهْلَهُ ، وَانْقَلَبَتْ إِلَى أَهْلِ مَسْرُورًا بِوَجْهِ مُسْفِرٍ ، وَنُحْيَا طَلْقُ ،
 وَطَرْفِ عَازِمٍ ^(١) ، وَأَمَلٍ قَدَسَدٌ مَا بَيْنَ أَفْقِ الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا
 قَلْتُ لِلنَّفْسِ : هَذَا مَعَانُ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَمَحْضَرُهُ ، [فَالشَّرِحِي
 مُسْتَفْتِحَةٌ ، وَتِيغْنِي مَقْتَرَحَةٌ ، وَأُطْمِئِنُّ رَاضِيَةً مُرَضِيَّةً ، لَا كِدْرَةَ الشَّرْبِ ،
 وَلَا مَذْعُورَةَ السَّرْبِ] ، حَصَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالضَّمَانِ ، عَلَى بَعْضِ نَعَلَاتِ
 الزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّمَانِ فَهُوَ بِمَثَلِهِ مَلِيٌّ ، وَلَهُ قَوْلٌ . وَبَقِيَتْ
 مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَعَادَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزَّهُ ^(٢)
 يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانٌ لَا أَرِيشَ وَلَا أُبْرَى ، ثُمَّ
 رَفَعْتُ نَظِيرِي ، وَسَدَّدْتُ خَاطِرِي ، وَفَتَلْتُ الْحِسَابَ لِي وَعَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعِذْرُ
 الْمُبِينُ ، الْمَانِعُ مِنْ اسْتِرَادَةِ الْمُسْتَرِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوُودُ ^(٣)
 سِرَّهُ ، وَتَتَعَبُ ^(٤) بِاللَّهِ ، وَالْمَمْلَكَةَ تَفْرَعُ وَلَهَى عَلَيْهِ ، وَتُلْقَى بِجِرَانِهَا ^(٥) لَهُ
 بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةِ أَسْتَمِدُّهُ التَّدْبِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُمُورٍ
 فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَجْرُرُهَا رَسْمُ رَاسِمٍ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسْمُ قَاسِمٍ ، وَلَا يَحْوِيهَا
 وَهْمُ وَاهِمٍ ، وَلَا يَفُوزُ بِهَا سَهْمُ مُسَارِمٍ ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ وَأَمْلَهَا تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَبَيِّنْ مَعْنَى وَصَفِ
 الطَّرْفِ بِهَذَا الْوَصْفِ .

(٢) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنْ » مَكَانَ « عَزَ » ؛ وَهُوَ
 تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « تَوَدَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَسْتَعِينُ » مَكَانَ « وَتَتَعَبُ » ؛
 وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « بِجِرَانِهَا » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

متأبطاً بواظظ الأثقال ، مفتتجاً عويص الأفعال ^(١) ، سايى الطرف ، مسيح الصدر ، بساتماً على العلات ، غير مُسكترث بهالك وهات ، يتلقى ما أعنيا من ذلك بالآى ^(٢) ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسد بالإصلاح ، وما أرق بالعنق ، وما خرق بالرتق ، وما خفى بالتكشيف ، وما بدأ بالتصريف ، وما أود بالتثفيف ، وما لبس التعريف ، حتى أجمع على هواء فاصيها وداينها ، وجرى على مراديه خافيتها وباديها ، واستجاب لأمره أيتها ومُنقادها ، وأتلف بلفظه نادرها ومُفتادها ؛ فلما تيمّنت ^(٣) ذلك كله وقتلته خُبراً ، أمسكت عن إذكاره — نفس الله مُدته — سالف عهده ، ومتقدّم وعده ، عالماً بأن أسرها ^(٤) مرعى عنده فى صدر الكرم ، ومكتوب لديه فى صحيفه المجد ، وثابت قبلة فى ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الأمتنان ^(٥) على رَغْم منى ^(٦) ، لأنى قتلت فى أنثائى بين جنبتى قلباً مغروراً الرجاء ، ومنزوراً القراء ، على عوارض لم تَسْمَح فى خلدي ، ولم أُعْقِد على شىء منها يدي .

فالحمد لله الذى جعل معاذى إلى الوزير الكريم ، البرّ الرحيم ، والمِنَّة لله الذى جعلنى من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، وواردى عده ، وقادحى زنده ،

(١) فى الأصول «الأفعال» ؛ وهو تصحيف .

(٢) فى كلتا النسختين : « بالكى » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل صوابه ما أنبتنا .

(٣) فى الأصول « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى كلتا النسختين : « أسرها » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصول ؛ ولا معنى للامتنان هنا ، ولعل صوابه السكتان أو « الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) فى (١) على زعم من أبى فلبت إلى أنياه . مكان قوله على رَغْم منى لأنى قتلت فى أنثائه .

وَمُقْتَدِسِي نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَائِلِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلِ
خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللِّسَانِ الْأَبِينِ ، وَنَشَرَ فِصَالِهِ
بِالْثَّنَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آيَاتِهِ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجِ لِسَدَادِ أَرَائِهِ
بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَالِكِ — مَمْدُوحًا فِي أَطْوَارِ
الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ ، مَا آبَ
آمَبٌ ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنْعِهِ وَلُطْفِهِ .

فَدَنَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَيًّا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَنْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ،
وَشَهَابًا سَاطِعًا ، وَاسْتَفْتَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنُقَاخًا ^(٢) سَائِلًا ،
وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَبِّبَنِي مِرَارَةَ الْخَلِيمَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ التَّسْوِيفِ ،
فَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّحْرِ الْحَلَالِ ، وَالْعَذْبِ الرَّضَالِ ، جُهْدَ الْمُقَلِّ الْحِتَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى
بِمَجْدِهِ ، فِي تَذْيِيرِ عَبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا آخِرُ الرَّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُولَهَا إِلَيَّ بِهَرَامٍ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمْتُ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ
وَنَنْنَ نَيْتَهُ ، فَمَا كُنْتُ آمَنُهُ ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ
مِنْ شَوْمِ نَاصِيَتِهِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْمِ طَبْعِهِ ، وَخُبْنِ
أَصْلِهِ ، وَسُموطِ فَرْعِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنْظَرِهِ ، وَلَآمَةِ تَحْبِيرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ
مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرَّسَالَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْنَائِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ بِأَلْيَاءٍ وَالفَاءِ ؛ وَلَمَّا صَوَّبَهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « آمَلُهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْضِي مَا أَتَيْنَاهُ

في الخطابة بالكاف ، حَتَّى يَجْرَى الكلامُ على سَنَنِ الأَسْتِزْسَالِ ، ولا يُغَيَّرُ في طريقِ الكتابةِ بما يُزاحمُ عليه من اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، وهى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، جَعَلَ اللَّهُ أَفْذَارَ دَهْرِكَ جَارِيَةً عَلَى تَحَكُّمِ أَمَالِكَ ، وَوَصَلَ تَوْفِيقَهُ بِمَبَالِغِ مُرَادِكَ فِي أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ ، وَمَكْنَنِكَ مِنْ تَوَاصِي أَعْدَائِكَ ، وَثَبَّتْ أَوَارِجِي دَوْلَتِكَ عَلَى مَا فِي نُفُوسِ أَوْلِيَائِكَ .

يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ رَأْيًا ثاقِبًا ، وَنُصْحًا حَاضِرًا ، وَتَنْبَهَا نَافِعًا ، أَنْ يَخْدُمَكَ مُتَجَرِّيًا لِرُسُوخِ دِعَائِمِ الْمَمْلَكَةِ بِسِيَّاسَتِكَ وَرِيَادَتِكَ ^(١) ، فَاصْبًا بِذَلِكَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي تَقْوِيَتِكَ وَحَيَاطَتِكَ . وَإِنِّي أَرَى عَلَى بَابِكَ جَمَاعَةً لِبَسَتْ بِالْكثِيرَةِ — وَلَعَلَّهَا دُونَ الْعَشْرَةِ — يُؤَثِّرُونَ لِقَاءَكَ وَالْوُصُولَ إِلَيْكَ ، لَمَّا تُجِنُّ صُدُورُهُمْ مِنَ النَّصَائِحِ النَّافِعَةِ ، وَالْبَلَاغَاتِ الْمُجْدِيَةِ ، وَالذَّلَالَاتِ الْمُفِيدَةِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَهْلَوْا لَذَلِكَ فَقَدْ قَضَوْا حَقَّكَ ، وَأَدَّوْا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حُرْمَتِكَ ، وَبَلَّغُوا بِذَلِكَ مُرَادَهُمْ مِنْ تَفَضُّلِكَ وَأَصْطِنَاعِكَ ، وَتَقْدِيمِكَ وَتَكْرِيمِكَ ؛ وَالْحِجَابُ قَدْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ وَسِيلَةٌ شَافِعَةٌ ، وَخِدْمَةٌ لِلْخَيْرَاتِ جَامِعَةٌ ؛ مِنْهُمْ — وَهُوَ أَهْلُ الْوَفَاءِ — ذَوُو كِفَايَةٍ وَأَمَانَةٍ ، وَنَبَاهَةٍ وَلَبَاقَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، وَلِرَتَقِ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْتَمِعُ إِذَا نَادَمَ ، وَيَشْكُرُ إِذَا أَصْطَنَعَ ، وَيَبْذُلُ الْمَجُودَ إِذَا رُفِعَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُمُ الدَّرَّ إِذَا مَدَحَ ، وَيُضْحِكُ الشَّعْرَ إِذَا مَزَحَ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَعَّدَ بِهِ الدَّهْرُ لِسِنِّهِ الْعَالِيَةَ ، وَجَلَّابِيئِهِ الْبَالِيَةَ ، فَهُوَ مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ، وَنَاطِقٌ بِالشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ؛ وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى قَدْ عَسَّكَفُوا فِي بُيُوتِهِمْ

(١) في كلتا النسختين : « وزيادتك » ، بالزاي للعجمة ؛ وهو تصحيف .

عَلَى مَا يَغْنِيهِمْ مِنْ أحوالِ أَنْفُسِهِمْ ، فِي تَرْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خِصَاصِيَةِ مُرَّةٍ ، وَمُؤْنِ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مَتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَهُمُ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَثِقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ إِلَيْكَ حَظُّوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَسَّمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَعُفَتْ مُشْتَبَهُهُمْ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَّ التَّرَابِ ، أَخْفَى مِنَ الْوُقُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَظْتَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَذْنَيْتَهُمْ بِسَعَةِ ذَرَعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَصْغَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَالَتَهُمْ بِمِلَّةِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَصِيَتْ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَنَوَابِ مُؤَجَّلٍ^(١) فِي حَمِيْفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مَعْجَلٌ عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالتَّقَلُّبِ ، وَالْإِلَّاهِيُّ مَاخِضَةٌ بِمَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ ذُو اللَّبِّ ، وَالْمُجْدُودُ مَنْ
جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِحَظِّهِ مِنَ الْآخِرَةِ ،
وَلَّانَ يُوَكِّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتِبَارِ بَغْيِرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكِّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتِبَارِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلَّ مَنْ يَنْبَغِي بَرِّهَا^(٢) ،
أَوْ يَتَأَنَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُوْرَيْنَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مَنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ «بُوجِد» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بَعْدَ «مَعْجَل» .

(٢) فِي (١) : «يَسْتَقْرِئُ تَرْبَهَا» مَكَانَ «يَنْبَغِي بَرِّهَا» . وَفِي (ب) : «بَرِّهَا» بِالْيَاءِ

شَدَّةً ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّفِيْعَةِ يَرْبُهَا — بِضَمِّ الرَّاءِ — إِذَا
عَمَّاها وَتَمَهَّدَهَا .

وَسَجَلَى الصَّنَاعِ ، وَارْتَأَحَ لِلذِّكْرِ الطَّيِّبِ ، وَاهْتَزَّ لَمَدِّحٍ ، وَطَرَبَ عَلَى نَفْمَةِ السَّائِلِ ، وَأَغْتَمَّ خَلَّةَ الْحَمَاجِ ، وَأَتَهَبَ الْكَرَّمَ اتِّهَابًا ، وَأَتَهَبَ فِي عِشْقِ الشَّنَاءِ اتِّهَابًا ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ ، فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْمًا وَنَوَّهَ بِهِمْ ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِمْ ، وَأُخْوَجَ الْفَاضِلِينَ فِي أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِمْ ، وَإِلَى كِفَايَتِهِمْ ، مِنْهُمْ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَمِنْهُمْ ابْنُ مَعْرُوفٍ الْقَاضِي ، [وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَمْرُوتِيُّ] ، وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ ، وَأَبُو الْخَطَّابِ الصَّابِيُّ ، [وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الطَّوِيلُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ ، وَمِنْهُمْ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ الْهَيْثَمِ ، وَابْنُ حَفْصٍ صَاحِبُ الدِّيَّانِ] ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ، هَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِ هَؤُلَاءِ ^(١) ، [كَأَبِي تَمَّامِ الزَّيْنَبِيِّ ، وَابْنِ بَكْرِ الزَّهْرِيِّ] ، وَابْنُ قُرَيْبَةَ ، وَابْنُ حَامِدِ الْمَرْوَزُودِيِّ ، [وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ] ، وَابْنُ سَعِيدِ السَّيْرَانِيِّ ، [وَابْنُ مُحَمَّدِ الْفَارَسِيِّ] ، وَابْنُ دُرُسْتُوتِيهِ ، [وَابْنُ الْبِقَالِ] ، وَالسَّرِيئُ ، وَمَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةُ مِنَ التَّجَارِ وَالْعُدُولِ .

وَقَالَ لِي [ابْنُ سُورِينَ] : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَطْرَبُ عَلَى أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ كَمَا يَطْرَبُ سَامِعُ الْغِنَاءِ عَلَى الشَّبَابِيرِ ^(٢) ، وَيَرْتَأَحُ كَمَا يَرْتَأَحُ مُدِيرُ الْكَأْسِ عَلَى الْعَشَائِرِ . وَقَالَ عَنْهُ : [إِنَّهُ] قَالَ : وَاللَّهِ لَا كَوْنَنَ فِي دَوْلَةِ الدَّلِيلِ أَوَّلَ مَنْ يُبْذَرُ ، إِنْ فَاتَنِي أَنْ كُنْتُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ آخِرَ مَنْ يُبْذَرُ .

فَلَوْلَا أَنْكَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَكَ — أَذِنْتَ لِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كُلَّ مَا هَجَسَ فِي النَّفْسِ ، وَطَلَعَ بِهِ الرَّأْيُ ، مِمَّا فِيهِ مَرَدٌّ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا

(١) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « هَذَا إِلَى غَيْرِ هَذَا » .

(٢) فِي كِتَابِ الدُّخَانِ : « الشَّبَابِيرُ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَبْتَنَّا كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . وَالشَّبَابِيرُ : جَمْعُ شَبُورٍ ، وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْمَوْسِقِيِّ .

الثَّقَلِ الْبَاهِظِ ، وَنَنْبِيهِ عَلَى مَا تُبَاشِرُهُ بِكَاهِلِكَ الصَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ خَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بِلَفْظٍ يَنْقُلُ ، وَإِشَارَةٍ تَغْلُظُ ، وَكِنَايَةٍ تَخْدِشُ ^(١) ، لَكُنْكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرُنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ — قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلِذَلِكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِداً عَلَى حُسْنِ تَقَبُّلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ نَسْكَائِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَقِظٍ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَنْفَى لِلْفَسَادِ وَأَقْعُ ،
مِنَ الْإِعْتِبَارِ الْمَوْقِفِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى اخْتِذِ الْحَزْمِ ، وَتَجَرِيدِ الْعَزْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوِكَالَ ^(٤) وَالْهُوْبَنَاءَ قَلَمًا يُفَضِّيانَ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلِ مَرَادٍ ،
وَإِصَابَةِ مُتَمَعٍّ . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْحُنُوكَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَّقَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أُعْتَبِرَ مِنْ تَأَخَّرَ بَيْنَ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَقْظَةٍ وَنَوْمٍ ، وَبَيْنَ فَرَحٍ
وَفَرَحٍ ، وَبَيْنَ حَيَاطَةٍ ^(٦) وَوَرْطَةٍ ، وَبَيْنَ حَزْمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ زِرَاعٍ وَسَلْوَةٍ ،
لَكِنَّ الْآخِذَ بِالْحَزْمِ — وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ — أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَخْرُسَ » ؛ وَهُوَ مُحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَقْبَلُكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكْلُفُكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوِكَالُ » بِالْوَاوِ . وَفِي (ب) : « الْوِكَالُ » بِالْكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كِلَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا » .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « غُطَّةٌ » ؛ وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ ، إِذِ الْغُطَّةُ لَا تَقَابِلُ الْوَرْمَةَ ،
وَالَّذِي يَقَابِلُهَا الْخِطَّةُ كَمَا أَثْبَتْنَا .

كلٌّ من كان في مَسْكِه ، مِنَ الْمُتَمَيِّ بِيَدِهِ وَالْمُتَدَلَّى بِغُرُورِهِ ، وَالسَّارِعِ فِي ثُبُورِهِ ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ الْعَقْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَّضَهُ لِلنَّجَاةِ ، وَلَا حَلَاةَ بِالْعِلْمِ إِلَّا وَقَدْ دَعَاهُ إِلَى الْعَمَلِ بِشَرَائِطِهِ ، وَلَا هَدَاهُ الطَّرِيقَيْنِ (أَعْنَى الْعَيَّ وَالرُّشْدَ) إِلَّا أَيْزَحَفَ إِلَى أَحَدِهِمَا بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ .

هذا بالأَمْسِي أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَزِيرِ — وَهُوَ فِي وَزَارَتِهِ وَبَسْطَ قَاسِمِهِ وَنَهَيْهِ — قِيلَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : هَذَا التُّرْكِيُّ سَاسَنَكَرَ ^(١) تَفْتِيًّا بِظُلْمِهِ ، وَاعْتَصِمَ بِحُبْلِهِ ، وَاسْتَسْقَى بِسَجْلِهِ ، وَارْتَوَى مِنْ سُورِهِ ، وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْكَ ، مَا يَوْحِشُهُ مِنْكَ ، وَيُجَفِّهِهِ ^(٢) عَلَيْكَ . وَقَدْ قِيلَ :

”أَسْجُدُ لِقَرْدِ السُّوءِ فِي زَمَانِهِ“

وَإِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَطْعِ يَدِ جَائِرَةٍ ، فَقَبِّلْهَا مُتَهَمَةً ^(٣) مُنْجِدَةً غَائِرَةً . فَلَمْ يَقْمَلْ ، حَتَّى وَجَدَ أَعْدَاؤَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، فَسَلَكُوهُ وَأَوْقَعُوهُ .

ثُمَّ قِيلَ لَهُ فِي الْوِزَارَةِ الثَّانِيَةِ : قَدْ ذُفَّتْ سَرَارَةُ النَّسَكِبَةِ ، وَتَحَرَّقَتْ بَنَارُ الشَّمَاةِ ، وَتَأَرَّقَتْ عَلَى فَرْطَاتِ ^(٤) الْعَجْزِ وَالْفَسَالَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا كَانَ ، وَدَارَ لَكَ بِمَا تَمَنَّيْتَ ^(٥) الزَّمَانُ ؛ فَأَنْظِرْ أَيْنَ تَضَعُ الْآنَ قَدَمَكَ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُدِيرُ لِسَانَكَ وَقَلَمَكَ ، فَإِنَّ مُحَلِّصَكَ مِنْ وَرَطَمَتِكَ بِالْمُرْصَادِ ، وَقَدْ

(١) لَمْ يُجِدْ هَذَا الْاسْمَ فِيهَا رَاجِعًا مِنْ مَعْجَمَاتِ الْأَعْلَامِ التُّرْكِيَّةِ ؛ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ « سَنَجَر » بِالسِّينِ وَالْجِيمِ وَبِلَا سِينٍ وَأَلْفٍ فِي أَوَّلِهِ .

(٢) فِي (أ) : « وَيُخَفِّهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِهِمَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فَطَرَات » ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي حُرُوفِهِ قَلْبًا وَقَعَ مِنَ النَّاسِخِ .

كَأَنَّ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَارَقَتْ » مَكَانَ « وَتَأَرَّقَتْ » ؛ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَوَّلَى الْعِلَامَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ قَبْلَ : « وَتَحَرَّقَتْ » .

(٥) فِي (ب) : « ظَنَنْتَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِنَّ أُعَادَ اللَّهُ بِدَكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرِيرِ
وَالْغُبْطَةِ ، أَنْتَ تَجُولُ الْمَعَامِلَةَ ، وَتَنَسِي^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيَّكَ وَعَدْوَكَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَتَسَاوَا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا
لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

فكان من جوابه ما دلَّ على عتوه وثباته^(٣) ، لَأَنَّهُ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ
نَعَالِي حَيْث يَقُولُ : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] ؟
وَقَالَ لِي الْقَوْمَسِيُّ^(٤) — وَلَمْ يَعْلَمْ مَا فِي فَحْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَلِكَ ؟
قُلْتُ : خَوَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ .
وَصَدَّقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَبِثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ
إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُوْرِدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْدِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْعِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى
أَسْتَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ ، شَافِيًا بِهِ وَمُشْتَفِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهَ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وهذا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ طَفَى وَبَغَى ، وَافْتَحَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ،
وَطَارَ بِمِحْنَةِ الْإِهْوِ وَالْعَزْفِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَصَلَّ
بَيْنَ إِمْنَالِ اللَّهِ وَإِمْلَانِهِ ، خَاقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرَّبَ بَيْتُهُ ،
وَافْتَضَحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أُعَادَ اللَّهُ بِكَ أَيَّامُكَ الْبَسِيطَةَ » ؟ وَفِي بَعْضِ كَلَامَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنَسَى » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنَسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيَّ لَا تَقَابِلَ الذَّنْبِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَعْفُو .

(٣) وَثَبَاتُهُ ، أَيُّ ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كَلَامِنَا النَّسَخَتَيْنِ : « الْمَسِي » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أُوْرِدَهُ وَلَمْ يَصْدِرْهُ فَاعِلُ الْفَعْلَيْنِ ضَمِيرُ يَهُودٍ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ . أَيُّ

أُوْرِدَهُ كَلَامُهُ الْخ .

بلا ذنب ، والجَرَ جَرَّائِيٌّ ^(١) بلا حِجَّة ، وضَرَبَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَاطِ
وأبا القاسم — أحمأ لأبي محمد القاضي — وشَهْرُهُ على تَجَمُّلٍ في الجَارِبِ الشَّرْقِيِّ ؟ !
والتَّشَقَّى حُلُوُّ الْعَلَانِيَةِ ، وَلَكِنَّهُ مُرُّ الْعَاقِبَةِ ، وَكَأَنَّ الْحَفِيزَةَ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِتُعْتَمَدَ ^(٢) ، وَالْحَقْدَ إِنَّمَا وَجِدَ لِيُبَلِّغَ بِهِ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وَكَأَنَّ الْعَفْوَ حَرَامٌ ، وَالسَّكْظُ ^(٣) مُحْظُورٌ ، وَالْمُكَافَاةُ مَأْمُورٌ بِهَا
وَهَذَا بِالْأَمْسِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ ذُو السَّكَايَتَيْنِ ، اغْتَرَّ بِشَبَابِهِ ، وَلَهَا عَنْ
الْحَزْمِ وَالْأَخْذِ بِهِ فِيمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَحْفَظُهُ ، وَنَسِيَ مِنْ
أَبِيهِ يَكْنُفُهُ ، وَبَرَاءَتَهُ تَحْتَجُّجُ لَهُ ، وَذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُنْقَرُ ؛ إِبْلَائُهُ الْمَذْكُورُ ،
وَعَفْوَانُهُ الْمَشْهُورُ ؛ وَمَشَى قَمَرٌ ، وَرَأَبٌ ^(٤) نَفْثٌ ، وَالْأَوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبُوءَةً لَمْ يَسْتَقْبَلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَاخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجْرٌ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرَى

وَقَالَ لِي الْخَلِيلُ — وَكَانَ لَطِيفَ الْمَحَلِّ عِنْدَهُ ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ
أَخْتِصَاصِ أَبِيهِ لَهُ ، وَلِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عِنْدَهُ — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ؟ ! وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعَلَّلُ ؟ ! وَقَدْ شُحِذَتْ الْمَوَاسِي ، وَحُدِّدَتْ
الْأَنْيَابُ ، وَفُتِلَتْ الْمَرَائِرُ ^(٥) ، وَنُصِبَتِ الْفِخَاخُ ، وَالْعَيُونُ مُحْدَقَةٌ نَحْوَ الْقَطِيعَةِ .

(١) فِي (١) : « الْجَرَّائِيٌّ » .

(٢) فِي (١) : « لَتُعْتَمَدَ » . وَفِي (ب) : « لَتُنْفَذَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « وَالطَّم » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَدَابَّ غَسْر » . وَفِي (ب) : « وَذَابَ نَفْثٌ » ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٥) فِي (١) : « وَقَبِلَتْ » . وَفِي (ب) : « وَقَتَلَتْ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا :

النُّسَخَتَيْنِ . وَفِي (١) : « الْمَدَابِرُ » مَكَانُ الْمَرَائِرِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَالْمَرَائِرُ :
الْجِبَالُ ، جَمْعُ مَرِيرَةٍ .

والأعناق صُور^(١) إلى الفَظِيعة ، وأنتَ لَاحِ سَاحٍ عَمَّا يُرَادُ بِكَ بَعْدُ ؛
يَسْمِيكَ^(٢) هذا المَزْرُوقَ^(٣) وهذا المُرْخِي^(٤) وهذا المَعْرَضَ^(٥) ، وهذا الحَلِيقَ ،
وهذا النَتِيفَ ، وهذا المَعْرَبُ الصَّدْعَ ، وهذا المَصْفُوفُ الطَّرَةَ ، وبالكاس^(٦)
والطاس ، والفناء والتَّصَفَ ، والنَّايَ والعُودَ ، والصَّبُوحَ والغَبُوقَ ، والشرابِ
المُرُوقَ العَتِيقَ ؛ وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَصْنَعُ ، إِنْ سَكَتُ عَنْكَ كِمَدْتُ ، وَإِنْ
نَصَحْتُكَ خِفْتُ مِنْكَ ؛ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَشْتِبَاهِ الرَّأْيِ ، وَاشْتِبَاكِ الْأَمْرِ ،
وَقِلَّةِ الْأَحْتِرَاسِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا يَجْرِي مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ .

يا هذا ، سُوِّهِ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الْعَمْرِعة ، وَتَلَقَّى الْأَمْرَ بِالْحَزْمِ
وَالشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ بِالْحُسْرَةِ وَالْفَدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجْرِبَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
يَمِّنُ لَهُ تَجْرِبَةَ ، فَإِذَا نَقِبَ الْخُفُّ دَرَمَى الْأَظْلَ . يقال : قد فَرَّغَ اللَّهُ مِمَّا هُوَ
كَانَ ، وَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

قال : قُلْتُ لَهُ : مَا أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَى كَائِنَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَا أَعْلَمَكَ بِعَوَاقِبِ
الْأَحْوَالِ ، وَإِنَّمَا عَرَفْتُكَ حَظُّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَّرَ عَقْلَكَ ، وَأَخْضَرَكَ اسْتَطَاعَتَكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ مَا عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَكَكَ

(١) صور ، أى ماثلة . إلى الفظيعة ، أى إلى النكبة الفظيعة . وفي كلتا النسختين :
« العظيمة » . وما أُنْبِتْنَاهُ هُوَ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ السَّجْعُ الَّذِي التَزَمَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي بَعْضِ فُحْرَاتِهِ .
(٢) فِي (أ) : « يَدُ تَشْبِيكِ » . وفي (ب) : « يَمْسُدُ بِسَبِيكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كُلِّتَا النِّسَخَتَيْنِ .

(٣) المَزْرُوقَ الَّذِي يَجْمَلُ صَدْعِيهِ كَالْمَزْرُوقِ ، وَهِيَ الْحَلْفَةُ .
(٤) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) « الْمَزْرُوقِ » ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا .
(٥) الْمَعْرَضُ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ الَّذِي نَبَتَ شَعْرُ عَارِضِيهِ . كَمَا يُقَالُ عَذْرُ الْغَلَامِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ
إِذَا نَبَتَ شَعْرُ عَذَارَتِهِ .

(٦) وَبِالْكَاسِ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ قَبْلَ : « لَا » .
(٧) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « مَقْدَار » مَكَانَ « بَعْدَ أَنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الْقَوَاصِي حَتَّى تَمُنَّ^(١) وَتُرْسِلَ ، وما طَالَبَكَ إِلَّا بعد أن أَرَّاحَ عِلَّتَكَ ، ولا عَاقِبَكَ إِلَّا بعد أن أُنْذَرَكَ وَأَنْظَرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَاكَ وَأَعْدَانِكَ ، وهذا الذي أُعْذِلْتُ عَلَيْهِ هُوَ الذي به تَفْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، متَعَرِّضًا لِمَهْلِكِهِ .

فقال : أَيْظَلِمُنِي وَلِيٌّ نَعَمَتِي صُراحًا بلا ذَنْبٍ ، وَبِحُجَّتَاخِي^(٢) بلا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيَتَلَمَّ دَوْلَتَهُ بلا حُجَّةٍ ؟

قلتُ : اللهُ يَبْقِيكَ وَيَكْفِيكَ ، تَرَكَ بلا ذَنْبٍ ، وَنَجِدُكَ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بهذه العَيْنِ ، ولا يَحْكُمُ لَكَ بهذا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَانْهَزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ بِفُصْصَةٍ^(٣) فَاحْتَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ التَّجَارَةِ مُفْتَحَةٌ . وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْإِحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرُبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ . وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْإِرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعِرِيْرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقَشْعِرِيْرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحَسَنِ ، وَالْفَالُ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَعُنْوَانُ الْجِدْنَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَنْوَاءِ إِلَّا مَا يُوحِبُ الْخُذْرَ ، وَيَبْقَعُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتَقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قال : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نِسَابُورَ ، وَبِفَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ هَمْدَانُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَلْ وَتُرْسِدْ » . وَفِي (ب) : « تَعِدْ » مَكَانَ « تَلْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النِّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَعْنِ وَتُرْسِلْ ، أَيْ تَعْنِ بِالْمَعْنَى عَنْ أَسَاءِ ، وَتُرْسِلْ مِنْ أَمْسَكَتَهُ ، أَيْ تَطْلُقُهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (أ) : « يَجْنِينَا » .

(٣) فِي (أ) : « بَعْضُ » بِالْمَعْنَى وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بَقِصَّةٌ » بِالْفَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

وهو بمدينة السَّلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِبٌ ، ورَّابَ رَائِبٌ ، أُوتِ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أَسهَلُ مِنْ هذا وإن كان أَهْوَلَ ، وأنجَى وإن كان أَشَجَى ، وأقرب وإن كان أَعزَبَ .

قال : ما هو ؟ فرَّجْ عَنِّي وأهْدِنِي .

قلتُ : لما يَدْخُلُ هذا الوارد [الدَّارَ] ، ويَذْنُو من طَرَفِ البساطِ ، تُنْذِرُ رأسه عن كاهله ، وتُلْقِي شِلْوَهَ في مزيله ، فإنَّ الهَيْبَةَ تَقَعُ ، والنَّائِرَةُ تَخْبُو ، والمعْجَبُ يَفْجُرُ ، والظُّنَّةُ تَرْوُلُ ، والصَّدْرُ يَشْتَفِي ، والأَعْقَدَارُ يَنْتَفِي ؛ وَيُكْتَبُ إلى مُوفِّده بأنَّ الرَّاى أَوْجَبَ هذا الفعلَ ، لأنَّه غَلَبَ على الظَّنِّ أَنَّهُ وَافَى لِسَكَيْدِ يُوْصِلُهُ إِلَى ، وبَلَاهُ يُفْرِغُهُ عَلَى ، فَأَزَلْتُ هذا الظَّنَّ بِالْيَقِينِ ، ودَفَعْتُ الشُّبْهَةَ بِالْجَلَاءِ ، واستَخَلَصْتُ النُّورَ مِنَ الظُّلَامِ ؛ وَلأنَّ تَبْعِدَ ساقطاً مِنْ خَدَمِكَ ، يَسُوهُ ظَنِّي بِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَيَقْدَحُ في طَاعَتِي لَكَ ، | وَيُضْرِمُ في نارِ التُّهْمَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ خَيْرٌ لِي في نصيحتي لِدَوْلَتِكَ ، وخَيْرٌ لَكَ | في بَقَائِي ^(١) على أَمْرِكَ وَهَيْبِكَ ، مِنْ أنْ يَلْتَأَتْ ضَمِيرِي في سِيَّاسَةِ دَوْلَتِكَ ، وَتَحُولَ نَيْتِي ^(٢) عما عَهَدْتَ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَحِفْظِ قَاصِدَتِكَ وَدَانِيَتِكَ .

فقال : هذا أَعْظَمُ ، واللهُ المُسْتَعَانُ .

ولَيْتَنِي أَصَبْتُ بهذا الرَّاى ^(٣) أَمْراً عَلَا عَقْلُهُ ، فَيَقْبَلَهُ بَيَّانٌ ، أَوْ يَرُدَّهُ

(١) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ثنائى » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « بيني » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين هكذا « ولينى أصبت من أمر بهذا الرأى على عقله » ؛ وفيها تقديم وتأخير وتحريف إذ لا معنى لها على هذا الوجه ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

بِرْهَان ، فَكَانَ يَقْوَى أَوْ يَضُمُّف ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُحْجِمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ
أَفْوَى مِنَ السَّجِيل ، وَالسَّمِينَ أَحَدُ مِنَ النَّحِيل ؛ ثُمَّ كَانَتْ مَا كَانَ .
وَكَانَ مَشَايِخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَقَى أَمْرًا قَرِيبًا ،
وظلمًا عَظِيمًا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمَ بِذَلِكَ أَمْرٌ ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنٌ ، وَلَكِنْ
لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِسْكَاءٌ ، وَسُتِرَتْ السَّكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَعْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ
فِي الْمَبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لُمْتُ نَفْسِي عَلَى
فَوْتِ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِحَزْمٍ ، وَلَا أَحْدَثْتُهَا عَلَى ذَرَكٍ أَمْرٍ بَدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .
هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَافَوْا يَنْفُثَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكِتَابَةٌ ،
وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَمْلِي^(١) الْخَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ
مَكَانَ الرِّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ بِصَحِّ كُلِّ مَا يَقَالُ فَيُرْوَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَجْرِي فِيمَسَاكٍ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَّةٌ ، وَالصُّدُورُ حَرَجَّةٌ ، وَالْأَحْقَاسُ

(١) عبارة (١) : « ومسلم الحديث من الحالين فوق مشرعة » ؛ وفيها تحريف ظاهر
وفي (ب) : « الحبيب » مكان « الحديث » ؛ وهو تصحيف أيضا . ويريد بالحديث ابن يوسف .
(٢) . ورد في (١) قبل قوله : « وليس يصح » قوله : « فصل » .

واجب ، والنصح مقبول ، والرأى مشترك ، والثقة بالله من اللوازم على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ على كُلِّ حال .

والله أسألُ الدفاعَ عنكَ ، والوقايةَ لَكَ ، في مُصَنِّحِكَ ومُنْصَاكِ ، وفي مَمِيئَتِكَ ومَقِيلِكَ ، وشهادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، ولذوى مليح^(١) في هذا الباب نَفَخٌ وإيقاد ، وتناقل^(٢) وأثمار^(٣) ، ومسئلة وجواب .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هذا الحديث ومن غيره مما يتصل به من ناحية ابنِ اليزيدي ما يجب أن يُصَاحَ له بالأذن الواعية ، ويُقابَلَ بالنفسِ الراجعة ، ويُدَاوَى بالدواء الناجع ، وتُحْصَمَ مَادَّتُهُ مِنَ الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الْفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلاح . وليس بَعْدَ الْمَرَضِ إِلَّا الْإِفْرَاق ، ولا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الْإِفْرَاق .

إلى هاهنا انتهى نَفْسِي بالنُّصْحِ وإن كانت شَفَقِي^(٤) تتجاوزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عليه ، لِسَكَنِي خَادِم ، وكما يجب على أن أَخْذُمَ بَنِيَّاتِ^(٥) الصدر ، فينبغي أن أُلْزِمَ الْحَدَّ بِحُسْنِ الْأَدَبِ .

والله إني لَوَادٌّ مُخْلِص ، وَعَبْدٌ طَائِع ، وَرَجَائِي الْيَوْمَ أَقْوَى مِنْ رَجَائِي أَمْس ، وَأُمْلِي غَدًا أَبْسَطُ^(٦) مِنْ أُمْلِي الْيَوْمَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ فَكُفِّرَا فِيمَا يُقَال ، وَتَحَفَظَا^(٧) مِمَّا يُنَال ، وَتَوَهَّمَا لِمَا لَا يَكُون [إِنْ كَانَ] ، وَشَرُّ الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ لِأَوَّلِي نِقْمَتِهِمُ الرَّدَى ، وَيَبَيِّتُونَ النَّسْكَاثَ^(٨) ،

(١) كذا وردت هذه العبارة في (ب) ولم ندين من هم ذوو مليح .

(٢) في كلتا النسختين : « وتناقل وأغار » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في كلتا النسختين : « شفتي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : « تبيان » . وفي (ب) : « بثبات » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) : « أنشط » . (٦) في (ب) : « وغيظا » .

(٧) في (ب) : « البليات » ؛ وهو تحريف .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١) ، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا ، وَيَتَهَامَسُونَ بِالْأَلْسُنِ إِذَا تَدَانَوْا ، وَاللَّهُ يَصْرِعُ جُدُودَهُمْ ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ .
بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مَتَى وَالْحَفَاوَةُ ، وَهَذِهِ الرَّعْشَةُ وَالْقَلَقُ ، وَهَذَا التَّقْبُعُ
وَالْتَفْرِعُ كُلُّهُ ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ، وَلَا شَاهَدْتُ شَيْئَكَ ، كَرَّمَ خَيْمَ ،
وَلَيْنَ عَرِيكَةَ ، وَجُودَ بَنَانِ ، وَحُضُورَ بَشَرِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهَهُ ، وَحُسْنَ وَعْدِ ،
وَقَرَبَ إِنْجَازِ ، وَبَذَلَ مَالِ ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢) .

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا ، فَمَا
شَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ ، وَيَرْتَدِي بِالْعَفْوِ ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) .
بِالْحِلْمِ ؛ وَيُعْطَى بِالْجَزَافِ ، وَيَفْرَحُ بِالْأُضْيَافِ ، وَيَصِلُ الْإِسْمَاعِفَ بِالْإِسْمَاعِفِ ،
وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ ، غَيْرُكَ .

وَاللَّهُ إِنَّكَ تَهَبُ الدَّرْهَمَ وَالدينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا ، وَتُطْعِمُ الْوَادِرَ
وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا ؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى
الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ ، وَالخَلْعِ النَفِيسَةِ ، وَالخَيْلِ الْعِتَاقِ ، وَالْمَرَآكِبِ الثَّقَالِ ، وَالغِلْمَانِ
وَالْجَوَارِي ، حَتَّى السُّكُتَبِ وَالدَفَاتِرِ وَمَا يَصْنُ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ ؛ وَمَا هَذَا مِنْ
سَجَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا ، وَوَلِيًّا لِلَّهِ مُجْتَبَى ، [فَإِنَّ اللَّهَ
قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ] ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِمْ

(١) في (١) : « الْأَطْفَار » ؛ وهو تحريف .

(٢) كَذَا في (ب) . والذی في (١) : « وَبَذَلَ مَا أَوْجَبَ حِكْمَةً » ؛ وهو تحريف .
كما لا يخفى .

(٣) في كلتا النسختين : « وَيَتَحَلَّى » ؛ وهو تحريف . صوابه ما أثبتنا ، إذ ليس انتحال .
الجدود مما يمدح به .

(٤) في كلتا النسختين : « وَيَبَارِزُ » ؛ وهو تحريف .

الإفراجَ عن كلِّ مُنْفِسٍ^(١) ، ياقونًا كان أو دُرًّا ، ذهبًا كان أو فضّة ؛
كفالك الله عَيْنَ الحاسِدين ، ووقاك كَيْدَ المُفسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْسِ
على رُءُوسِ الشَّهَادِ ، وكانوا كَحَقِّي خِمْلَتَهُمْ كَالْأَطْوَادِ ؛ وَهُمْ يَسْكُرُونَ
أَيَادِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعَادِيكَ ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنْ اللَّهُ يَعْصِبَهُ بِرُءُوسِهِمْ ،
وَيُنْزِلُهُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَرَاهُمْ
وَيَسْمَعُ بِهِمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ .

أُطْلُتُ الْحَدِيثَ تِلْكَذَا بِمَوَاجَهَتِكَ ، وَوَصَلْتُهُ خِدْمَةً لِدَوْلَتِكَ ، وَكَرَّرْتُهُ
تَوْفَعًا لِحُسْنِ مَوْفَعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدْتُهُ وَأَبْدَيْتُهُ طَلِبًا لِمَكَانَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو أَنْ شَاءَ اللَّهُ الْإِخْرَمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيمًا مِنْ سَحَرِكَ ،
وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَتَوْقُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمْرُؤُ فِي يَأْسٍ مِنْ
إِنْعَامِكَ وَأَوْفُوهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَغْتَرِبُنِي وَهُمْ فِي الْخِيَمَةِ لَدَيْكَ مَا تَلَفَاهُ بِالْأَمَلِ .
إِنَّمَا فُصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِّمْتُ أَنْ أُعْطِيَ فَيْكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ
الرَّشِيدِ ، وَالْعَدْوِ الصَّرِيعِ ، وَالْوَلِيِّ الرَّفِيعِ ، وَالِدَوْلَةِ الْمُسْتَتَبَّةِ ، وَالْأَحْوَالِ
الْمُسْتَحْبَةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِي الْمَذْرُوكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الْذَاقِينَ ،
بَيْنَ أَهْلِ الْخَافِقِينَ ؛ وَاللَّهُ يُبْلَغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنَّةٍ .

وَأَخِرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مُرُّ بِالسَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا مَجْلِبَةُ السَّلَامَاتِ
وَالْكَرَامَاتِ ، مَدْفَعَةٌ لِلْكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْجُرِ الشَّرَابَ ، وَأَدِمِ النُّظَرَ
فِي الْمُصَحَّفِ ، وَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى الثَّقَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا
تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلًا فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلًا فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالَّذِي فِي (ب) : « مَسْر » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْكَلَامُ إِلَّا فِي بَعْدِ .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالدَّرَةِ الَّتِي رُبَّمَا ^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَرْبَلَةِ ، وَقَلَّ مِنْ فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالْإِسْعَادِ ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرَّسَالَهَ : يَا أَبَا مَرْيَدَ ^(٣) ، بَيَّضْتُهَا ، وَعَجِبْتُ مِنْ تَشْقِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ ^(٤) إِيرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بَلَوِّ رِيقِكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يُحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَتَرْجُوهُ لَأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنَّا هَذَا الضَّيْبُ الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ النِّعَمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة ووجه بها المؤلف إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها .

أيها الشيخ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَ لَكَ وَفِيكَ وَبِكَ غَايَةَ الْمَأْمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرَّسَائِلَيْنِ ، وَيَتَقَرَّرُ جَمِيعُ مَا جَرَى وَدَارَ ^(٥) عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَّمْتُ بِهِ شَقًّا ، وَزَبَنْتُ ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزَيْدْتُ

(١) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « إنا » ؛ وهو تحريف والبيان يقتضى ما أثبتنا .

(٢) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « بالإسماع » ؛ وهو تحريف .
وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « يا أبا مريد » .

(٤) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « لطف » ؛ وهو تحريف .

(٥) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ودان » ؛ وهو تحريف .

(٦) وَ (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ورتبت » ؛ وهو تحريف .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمَ معْنَى بالتَّحْرِيفِ ، ولا مِلْتُ فيه إلى التَّحْوِيرِ ^(١) ؛ وأرجو أن يَبْيُضَّ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرِّضَا عَنِّي ، فقد كادَ وَعْدُكَ في عُنَايَتِكَ ^(٢) يَأْتِي عَلَيَّ ، وأنا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عُنَايَتَكَ عَلَيَّ ، كسابقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ، ^(٣) حَتَّى أُمْلِكَ بِهِمَا ^(٤) ما وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكْرِمَةٍ هَذَا الْوَزِيرُ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَانِعٍ ، وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ خَامِلٍ ، وَنَفَقَ ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَلِيلٍ ؛ ولم يَنْبَقِ فِي هَذِهِ الْجُمَاعَةِ عَلَى قَرْنِهِ وَبُؤْسِهِ ، وَنَمْرَةٍ وَبَنَاسِهِ ، غَيْرِي ؛ مع خِدْمَتِي السَّالِمَةِ وَالْآيَةِ ، وَبَذَلِي كُلَّ مَجْهُودٍ ، وَنَسَخِي كُلَّ عَوِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَغَبٍ ؛ وَالْأُمُورُ مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُطُوطُ أَقْسَامُ ، وَالكَذْحُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا فِي الْأَوْحِ .

فصل

خَلَّصْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٧) مِنَ التَّكْثُفِ ، أَنْقِذْنِي مِنْ لُبْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي مِنْ قَيْدِ الشُّرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ لِسَانِي بِفُنُونِ الْمَدْحِ ، اكْفِنِي مُؤَوَّنَةَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « التجويز » — بالجيم والزاى ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « غائلك » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « بأمر يرسي » ولا معنى لها على هذا الوجه ؛ والصواب ما أثبتنا . كما يقتضيه السياق .

(٤) بهما ، أى بالعناية والاهتمام .

(٥) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « شيء » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « وفقق » ؛ وهو تحريف .

(٧) يريد بالرجل أبا الوفاء وهو الذي قربه إلى الوزير

إلى متى الكسيرة اليابسة ، والبقيلة الذابية ، والقميمصُ المرقع ، وباقي
دَرْبِ الحَاجِبِ ، وسَدَابُ دَرْبِ الرُّؤَسِيْنَ ؟

إلى متى التأدُّمُ بالغُيْبِ والزَّيْتُونُ ؟ قد والله بَحَّ الخلقُ ، وتَغَيَّرَ الخلقُ ؛
اللهُ اللهُ في أَمْرِي ؛ اجْبُرْنِي بِإِنِّي مكسور ، اسْقِنِي بِإِنِّي صَدِرٌ ، أَغْشِنِي بِإِنِّي
ملهُوف ، شَهِّرْنِي بِإِنِّي غُفْلٌ ، حَلِّئِي بِإِنِّي عَاطِلٌ .

قد أَذْنَنِي السَّفَرُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، وَخَذَلَنِي الْوُقُوفُ عَلَى نَابِ بَابٍ ،
وَنَسَكِرْنِي الْعَارِفُ بِي ، وَتَبَاعَدَ عَنِّي الْقَرِيبُ مِنِّي .

أَعْرَكَ مِسْكُونَهُ حِينَ قَالَ لَكَ : قد لقيتُ أبا حَيَّانَ ، وقد أخرجته مع
صَاحِبِ الْبَرِيدِ إِلَى قَرْمِيسِينَ ؟ !

واللهِ ثم وَحْيَاتِكَ الَّتِي هِيَ حَيَاتِي ، مَا انْقَلَبْتُ مِنْ ذَلِكَ بِنَفَقَةٍ شَهْرٍ ، وَاللهِ
نَظَرْتُ لِي بِالْعَوْدِ ، فَإِنَّ الْأَرَاخِيفَ اتَّصَلَتْ ، وَالْأَرْضَ اقْشَعَرَّتْ ، وَالنَّفُوسَ
أُسْتُوحِشْتُ ، وَتَشَبَّهَ كُلُّ ثَعْلَبٍ بِأَسَدٍ ، وَقَتَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لَعْدُوَّهُ حَبْلًا
مِنْ مَسَدٍ .

أَيُّهَا الْكَرِيمُ ، اذْهَبْ ؛ وَاللهِ مَا يَكْفِينِي مَا يَصِلُ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ
هَذَا الرِّزْقِ الْمُقْتَرِّ الَّذِي رَجَعَ بَعْدَ التَّقْيِيرِ وَالتَّيْسِيرِ إِلَى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا مَعَ هَذِهِ
الْمَوْوَنَةِ الْغَلِيظَةِ ، وَالسَّفَرِ الشَّاقِّ^(١) ، وَالْأَبْوَابِ الْحُجَّابَةِ ، وَالْوُجُوهِ الْمَقْطُوعَةِ ،
وَالْأَيْدِي الْمُسْمَرَةِ ، وَالنَّفُوسِ الضَّيِّقَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الدَّيْنِيَّةِ .

أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَقْصِرْ تَأْمِيلِي ، ازْعَ ذِمَامَ الْمَلْحِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَذَكَّرْ

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « والسفر
الشاق » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا أخذاً من سياق الكلام .

العَهْدَ فِي مُحَبَّتِي ، طَالِبَ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَعْنِي مِنَ التَّعْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَسْرَى ، وَكَرَّزَ عَلَى أُذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةً مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى .

رَافَعَ عَلَيْهِ بَابًا يُغْفِرُ^(١) الرَّغَبَ فِي اصْطِنَاعِ الْعُرُوفِ لَا يَسْتَفْنِي عَنْ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلَ لِلْخَيْرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعَثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجُدْ أَيْضًا بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانُ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِيِّ^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجِبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَقْدِ الْعَالِي بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمِيلِ مَا أُحْمِلُ ، وَأَدَاءِ مَا أُوْدِي ؛ وَتَرْبِيعِ مَا أُزِينُ ، حَدًّا^(٤) أُمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ ، وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعْ هَذَا ، وَدَعْ لِي أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقَلُّ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمْ إِلَى كَسَجِ^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَعِينَ بِي لِأَيْمِ الدَّقَاتِرِ . قَالَتْ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) أَلْتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَفْنَى » بِالضَّمِّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ سِوَاهُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٢) فِي (١) أَلْتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأَسْمُ فِي (١) أَلْتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) أَلْتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « جِدَا » بِالْجَمِّ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْأَسْمُ بِالْكَسَفِ وَالْبَدِينِ وَالْجَمِّ فِي (١) أَلْتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ نَقِفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

مَشْغُولٌ . فَمَا أَصْنَعُ بِهِ إِذَا فَرَغَ ، فَالشَّاعِرُ يَقُولُ :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قَدْ وَاللَّهِ نَسِيتُ صَدَرَ هَذَا الْبَيْتِ ، وَمَا بَالُ^(١) غَيْرِي يُنَوِّلهُ وَيُمَوِّلهُ مَعَ شُغْلِهِ^(٢) وَأُخْرِمَ أَمَا ؟ ! أَمَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَبَرَقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ
وَاللَّهِ إِنَّ الْوَزِيرَ مَعَ أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَثْقَالِهِ الْبَاهِظَةِ ، وَمَكْرِهِ الْمَفْضُوزِ^(٣) ،
وَرَأْيِهِ الْمَشْتَرَكِ ، لِكَرِيمٍ مَاجِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرَعَى الْقَائِلَ مِنَ الْحُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعَةِ ، وَيَحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الذَّمِّ ، وَيَتَقَبَّلُ مَذَاهِبَ
السِّكْرَامِ ، وَيَتَلَذَّذُ بِالنِّقَمِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُنْتَجِعٍ ،
وَيَزْرَعُ الْخَيْرَ ، وَيَخْصُدُ الْأَجْرَ ، وَيُوَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيُثَابِرُ عَلَى
اجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَيَخْجِدُ لِسَائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمَلِ ، وَلَا يَتَبَوَّأُ مِنَ
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَايٍ وَرَائِحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وَأَنَا الْجَارُ الْقَدِيمُ ، وَالْعَبْدُ الشَّاكِرُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَخْبُورُ ، وَلَكِنَّكَ مُتَقَبِّلٌ
كَالْمَمْرُوضِ ، وَمُقَدَّمٌ كَالْمُوَخَّرِ^(٤) ، وَمَوْقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تُذَرِّبُنِي إِلَى حَقِّي
بِشِمَالِكَ ، وَتَجَذِّبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِيَمِينِكَ ، وَتُغَدِّبُنِي بِوَعْدِكَ كَالْمَسْلِ ، وَتُعْشِبُنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا . وما نال

غَيْرِي سَوَّلَ وَتَحَوَّلَ مَعَ شُغْلِهِ وَأُخْرِمَ مِنْ أَنَا ؟ ؛ وَفِيهَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٢) يَنَوِّلهُ وَيُمَوِّلهُ ، أَيْ يَنَوِّلهُ الْوَزِيرُ وَيُمَوِّلهُ . مَعَ شُغْلِهِ ، أَيْ مَعَ شُغْلِ الْوَزِيرِ .

(٣) الْمَفْضُوزُ ، أَيْ الْمُنْفَرَقُ غَيْرِ الْمَجْتَمِعِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَمُوَخَّرٌ كَالْقَدَمِ » ؟ وَفِي

كَلَامِ الْكَلِمَتَيْنِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَهْبَتْنَا .

بَيَّاسُ كَالْحَنْظَلِ ، « وَمَنْ ^(١) كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِظَنَّةِ عَمِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى تَيْقَنِهِ ^(٢) بِنَصْرِكَ » .

نَمْ ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبَرَاءَةَ فَهَلَّا نَفَقْتُ ؟ ، اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ ، إِنْ شَكَرْتُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَذَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حَمِدْتُكَ عَلَى أَوَّلِكَ الْجَمِيلِ ، أَفْسَدْتُ لَأَخْرُكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَسَكُنْ مَا شُفِيتُ ، وَنَهَلْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَسَكُنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِرُ مَا أَقُولُ : إِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَخْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ،
فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لَأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ
بِالْيَاسِ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ
لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ،
في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ،
أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والعاهات ،
ومن عوادي الزمان . آمين يارب العالمين .

تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهتد إلى وجهه
الصدواب فيه

(٢) على تيقنه ، أى مع تيقنه . « ويكون » هنا قامة .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

ابن حجاج الشاعر — ١٥٣ ح
ابن حذقيار — ١٤٨ ح
ابن حريار = أبو محمد
ابن حسان القاضي — ١٥٤ ، ١٥٧
ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣
ابن درستويه — ٢١٣
ابن الدقاق — ١٦١
ابن دينار — ٤٧
ابن رباط السكوفي شيخ الكرخ ونايب
الشيعة — ١٥٣ ، ١٩٧
ابن الزبير — ١٨٢
ابن زرعة النصراني = أبو علي
ابن زياد = عبيد الله
ابن السراج — ٢١٦
ابن سكرة — ٧٧
ابن السكيت = يعقوب
ابن سلام — ٢٩
ابن السماك — ١٥٨
ابن ميمون — ١٤٧
ابن سورين — ٢١٢ ، ٢١٣
ابن سيار القاضي = أبو بكر
ابن سيرين — ٣
ابن شاهويه = أبو بكر
ابن صفي — ١٦٥ ح
ابن ضيمون الصوفي — ٧٦
ابن الضحاك بن قيس الفهرى — ١٦٥

الأمدي — ٢٧
إبراهيم بن الجنيد — ٤
إبراهيم (الخليل) — ٣ ، ٧٨
الأبرش السكلي — ١٧٣ ، ١٧٤
ابن أبي البخل — ٤٧
ابن أبي مكرة — ٥
ابن أبي عمرة الصرابي — ٧٦ ح
ابن الأثير — ٧٢ ح
ابن أحمد — ٢٠٦
ابن الأخشاد — ١٩٦
ابن آدم — ٢٨
ابن آدم التاجر — ١٥٣
ابن أسادة — ٢٨
ابن الأعرابي — ١٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٨ ،
٨١ ، ٧٣ ، ٥٤
ابن أيوب القطان — ١٥٣
ابن بدر — ٤١
ابن برمويه — ١٩٨
ابن البقال — ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣
ابن التلاج — ١٩٦
ابن جبلة — ١٩٨
ابن الجصاص الصوفي — ٧٧
ابن حبيب — ٢٧ ، ٣٥ ، ٤١

أبو أحمد الموسوي — ١٦١
 أبو أحمد بن الهيثم — ٢١٣
 أبو الأرضة — ١٦٠
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩ ، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلي — ٣٣ ، ١٧٦
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصاري — ١٠
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨ ، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازي — ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 أبو بكر الزهري — ٢١٣
 أبو بكر بن سيار القاضي — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠ ، ١٠٣
 ١٦٦ ، ١٩٩
 أبو بكر = عبد الله بن الزبير
 أبو تمام الزينبي — ١٠٠ ، ١٥٣ ، ٢١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥ ، ١٨٦
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢ ، ٥٥
 ١٧٦
 أبو جعفر للنصور (الحليفة) — ١٥٩ ح ،
 ١٨٠ ، ١٨١
 أبو الجوزاء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حميد — ٣٩
 أبو الحارث = الليث بن سعد
 أبو حازم المدني — ٦
 أبو حامد البروروذى القاضي — ١٠٠ ،
 ١٨٨ ، ٢١٣
 أبو حذرة = جرير الشاعر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الضرير — ٩٤
 أبو الحسن الطوسي — ١٢ ، ١٣ ، ١٤
 أبو الحسن العاصري — ٩٤

ابن طاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصري — ١٩٦
 ابن ظبيان التيمي = عبيد الله زياد بن ظبيان
 ابن عامر — ٨٤
 ابن عباد (الصاحب) — ٧ ، ١٨٤
 ابن عباس — ٧٢ ، ٧٦
 ابن عبد الله المنصورى — ١٠٠
 ابن عبيد — ٥١
 ابن عبيد الكاتب — ٧٤
 ابن عطاء — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٠ ، ٥٩
 ابن عياش (المتوفى) — ١٧٢ ، ١٧٦
 ابن غسان البصري — ٧٨
 ابن غسان القاضي — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن فريفة — ٢١٣
 ابن قرارة العطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف القاضي — ١٠٠ ، ١٥٣ ،
 ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١٧
 ابن مقلة = أبو علي
 ابن مكرم — ٦٩ ، ١٥٣
 ابن نورة — ٧٣
 ابن هبيرة = عمر
 ابن الهيثم — ١٩٥
 ابن وصيف — ٢٠٦
 ابن اليزيدي — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجاني — ١٥٤

أبو الحسن = علي بن عيسى الرماح
 أبو الحسن الهيثم — ١٨
 أبو الحسين البقي — ١٠٠
 أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
 أبو حيان — ٢٢٧
 أبو خالد أسيد — ١٦٦ ح
 أبو خالد الكاتب = أحد
 أبو خالد مروان بن الحسك — (كذا)
 ١٨٠، ١٦٥
 أبو الخطاب الصافي — ٢١٣
 أبو خليفة الفضل بن الحباب — ٧
 أبو الخندف — ١٨٣
 أبو الخير — ١٠٦
 أبو دلامة الأسدي — ٢٤
 أبو الدود — ١٦٠
 أبو الدياب — ١٦٠
 أبو زكرياء الزاهد — ٩٢
 أبو زيد (التحوي) ٣٧، ١٨٥
 أبو زين = بكر بن نطاح
 أبو سعيد الحضرمي — ١٩٢
 أبو سعيد الخدري — ٥
 أبو سعيد الحراز — ٩٧
 أبو سعيد السيرافي — ٨٣، ١٢٩، ١٥٤
 ١٥٨، ١٧٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٣
 أبو سعيد بن العاص — ١٦٦
 أبو السمر — ١٦٦
 أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
 أبو سليمان المنطقي — ٨٦، ٩٧، ٩٩
 ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤،
 ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠،
 ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥،
 ١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣،
 ١٩٧

أبو السؤل السكردي — ٢٢٨
 أبو شاكر بن هشام بن عبد الملك — ١٧٢
 أبو صالح — ٧٦
 أبو الصلت — ٦١
 أبو طفيلة الحرمازي — ٨١
 أبو الطمحان القيني — ٧٣
 أبو العباس (صاحب جيش آل سامان) — ٩١
 أبو العباس المبرد — ٥٤، ١٧٣ ح، ١٨٦
 أبو عبد الله البصري — ٢١٣
 أبو عبد الله (هشام) — ١٢
 أبو عبد الله اليزيدي — ٧٥
 أبو عبد الله البغوي — ٢١٣
 أبو عبيدة — ١٣، ٣٨، ٤٨
 أبو عثمان الأدمي — ١٩٦
 أبو الملا صاعد — ٢١٣
 أبو علقمة — ١٨٥
 أبو علي — ١٢٩
 أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي —
 ١٤٨
 أبو علي = عيسى بن زرعة
 أبو علي = عامر بن الطفيل
 أبو علي القالي (صاحب الأمل) — ٣٦ ح
 أبو علي بن مقلة — ٧٥
 أبو عمر الشاري — ٧٦
 أبو محرو — ٣٣، ٥٩
 أبو عمرو بن أمية — ٥٣
 أبو عيسى الوراق — ١٩٢
 أبو العيلاء — ٦٩
 أبو الفتح بن فارس — ٢٠٦، ٢٠٥
 أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨، ١٨٥
 أبو فرعون الشامي — ٣٤، ٧٠
 أبو فرعون الصدوي — ٧
 أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
 العباس بن الحسين الوزير

أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠
 الأحنف بن قيس — ١٧٣ ، ٥٩
 الأحوص الشاعر — ١٨٤
 الأخطل الشاعر — ١٨٣
 أردشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استابنجاس — ٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (النبي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٨٠ ، ٧٩
 أسد بن عبد العزيز — ٥٣
 أسد المحاسبي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارجة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢ ،
 ١٨٢
 أسود الزبد — ١٦٠
 الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزيز
 ٥٣ —
 أسيد = أبو خالد
 الأصمعي — ١٨ ، ١٦ ، ١٣ ، ٦ ح
 ٨١ ، ٥٨ ، ٤٢ ، ٣٩ ، ٣٨
 الأعشى — ١٧٤ ، ٤٨ ، ١١
 الأمشش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الجلال — ١٧٤
 أم الحنف — ١٨٣
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاضي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو قحافة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤ ، ١٥٦ ،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حربنبار (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد المروزي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاضي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد المهلب — ٢١٣
 أبو مرزوق — ٢٦
 أبو مزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيد الله بن زياد بن ظبيان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور الفطاني — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥ ، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو النوايح — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤ ، ١٥٩
 ٢٠٧ ح ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبيد الملك بن مروان)
 ١٦٨ —

التورى — ١٣ ، ٢٢

(ج)

جابر (ابن عبد الله) — ٢٠ ، ٦٠

جابر بن قبيصة — ٢٥

الحاظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥ ح

جالينوس — ١٢٩

المرجاني — ٢١٧

المرجرائي — ٢١٧

جرير (الشاعر) — ٥٨ ، ٩ ح ، ١٦٧ ح ،

١٨٣ ح ، ١٨٢ ، ١٨٦

جمل — ١٥٢

جعفران الموسوس — ٨٣

جيز — ١٠٢

جميل — ١٦٨

الجنيد بن عبد الرحمن — ١٧٩

الجنيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧

جهم — ١٩٦

الجواليقي — ١٨٩

(ح)

حاتم الأصم — ٣ ح ، ٤٤ ، ٨٥

حاتم الطائي — ٤٢

الحائمي — ١٢٦ ، ١٢٧

الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧

حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩

حامد الكفاف المتزهد (كذا) — ٣

الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠

١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢

الحجابي — ٧١

حذيفة — ١٠٢

حسان (ابن ثابت) — ٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٥

أم عبّاد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١ ح

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأنصاري بن كعب — ١٩٦

أيوب بن ظبيان — ١٦٧ ح

(ب)

بثينة جميل — ١٦٨

البهترى — ١٨٥ ، ١٨٦

بختيار (عن الدولة) — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٩

بشار (ابن برد) — ٣١

بكر بن عبد الله المزني — ٣

بكر بن نطاح — ٥٠

بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —

١٧٧ ، ١٨٥

بهرام — ٢١٠

بهرام جور — ١٧٥

بيان التبيان بن سمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

التوزي — ١٣ ح

(ث)

ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤ ،

١٦٦

الثعالبي — ١٦٧ ح

ثعلب — ٥٢ ح

ثمامة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الحلبي — ٢١٧

خيشمة — ٣

(د)

دقيق (كذا) — ٤٩، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الربضي — ١٥٠

رجاء بن سلعة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجم) — ١٠٢، ١٠٤

رقية بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩، ١٨٠

الزبرقان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيري — ١٤، ١٥٣

زفر بن الحارث السكابي — ١٧٠، ١٧١

الزحفري — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١، ١٨٦

الزهيري — ١٩٦

الحسن — ٥

الحسن البصري — ٣٥، ٣٧، ١٥٨، ١٦٠، ٢١٤

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن علي بن أبي طالب — ٢، ١٨٠

الحسن بن علي القاضي التنوخي = أبو علي

الحسك بن أبي العاص — ١٦٤

حماد بن أبي سليمان — ٥

حماد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حماد الراوية — ٦٧

حمالة الخطب من — ١٨٠

هدان — ٧٧

هجران — ١٨٤

هزة بن بيض الحنفي — ١٨٥

هزة المصنف — ٨٣

همة ابن عاد (كذا) — ٤٩

هيد — ٨٣

الحنبلوني (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦، ١٧٠، ١٧١

خالد البرمكي — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (الفسري) — ١٧٧

خالد القرشي — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خدش بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خدبجة (أم المؤمنين) — ١٨٢

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ،
١٧٤

(س)

سابق الزبيري — ٧٤
ساسنكر التركي (كذا) — ٢١٥
سالم — ١٥
سالم بن دارة — ١٦٧
السري — ٢١٣
سعد بن أبي وقاص — ١٠٢ ، ١٠٣
سعد بن عباد — ١٠ ، ١٦٩
سعد المعالي — ٢٢٨
سعيد بن سلمة — ٨٤
سعيد بن العاص — ١٧ ح ، ١٦٦
سعيد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ،
١٦٩
سعيد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
سعيد بن أبي عروة — ٨٠
سعيد بن المسيب — ٣١
السفاح بن بكر — ٨٢
سفويه القاص (صوابه سمويه) — ٢٢
سفيان الثوري — ٣٧
سفيان بن معاوية المهدي — ١٨١
سليمان (أي سليمان) — ٨
سليمان الفارسي — ٨٣
سلمة — ٦٩
سليمي — ٣٦
سليمان بن ثوبة — ٧
سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ،
١٠٣
سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ،
٢٢١
سماعة بن أشول — ٥١

سمعان التميمي — ١٧٦ ح
سنان بن أبي حارثة — ٨٢
سنان بن مكمل — ١٦٧ ح
سنجر — ٢١٥ ح
السيرافي = أبو سعيد

(ش)

الشالوسي = أبو محمد
شرف بن ميرة — ٢٣٠
شريك بن محمد — ١٦٧ ح
الشمي — ٣٢ ، ١٨٣
شقيق الباغي — ٨٥
شمر (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
الشنوذى — ١٤

(ص)

الصابي = أبو إسحاق
صمصمة — ١٧٨
صفية (أم المؤمنين) — ١٨٢
صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس الفهري — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
الطبري — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
طفيل (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
طفيل الغرائس — ٥٦
طلحة بن عبد الله — ١٧٩

طلحة بن عبيد الله — ٤٥

الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩

عاصر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن

كلاب العامري — ٦٩

عاصر بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤

عائشة (أم المؤمنين) — ٧ ، ٦٩ ، ١٨٢ ،

١٩٩

عباد بن زياد — ١٦٨

العباس بن الحسين الوزير — ٢١٥ ، ٢١٣

المبداني — ١٨٠

عبد الأعلى القاسم — ١٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ،

١٦٩ ، ١٦٨

عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥

عبد الرحمن بن سميد القرشي — ٢٠١

عبد العزيز بن يسار — ١٨

عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ،

٢٢١ ، ١٤٩

عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ،

١٨٢

عبد الله بن صفوان بن أمية الجمعي — ١٨١

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

— ٧٦

عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١

عبيد الله بن زياد — ١٧٦

عبيد الله بن زياد بن ظبيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سليمان — ٨٩

عبيد الله بن عباس — ٤٢

عتبة بن أبي سفيان — ١٧٨

عثمان بن خالد — ١٩٥

عثمان بن رواح — ٤٠

عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،

١٨٣ ، ١٩٩

عدة الدولة — ١٥٦

عرام بن شخير — ١٦٧

عروة بن الزبير — ١٨٢

الريان بن الهيثم الهجيمي — ١٧٧

عن الدولة — بمختيار — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

عصدة الدولة — ١٤٨

عطاء بن أبي سفيان — ١٦٥

عقبة — ٥٣

عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤

عقيل بن علفة — ٥٩

عكرمة بن ربيع الشيباني — ١٩

الملوى (صاحب الزنج) — ٤٣ ح

علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣

علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩

علي بن عبد الله — ١٧٨

علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

علي بن عيسى — ١٦

علي بن عيسى الرماني (أبو الحسن) — ١٣٠ ،

١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨

علي بن محمد (رسول سجدتان) — ١٩٨

علي بن محمد دو السكاهيتين — ٢١٧

عمار — ١٩

عمار (ابن عاد) (كذا) ص ٤٩

العماني الشاعر — ٥٦

عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ،

٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ،

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قتادة — ٦٧

قتيبة (ابن سلم) — ٣٢ ، ١٧٢

قرزعة بن عاد (كذا) — ٤٩

القومسي — ٢١٦ ، ٢٢١

قيس بن سعد بن عبادة — ١٦٩ ، ١٧٠

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كذا) — ٢٢٨

كسري — ١٧٥ ، ٢٠٣

الكلابي — ١٤

كلثوم بن الهدم — ١٠

الكميت — ١١

الكندى — ١٣٣

كهس (كذا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة ٦٩ ح

لقمان (الحكيم) — ٨٥

لقمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زرارة — ٧٢ ، ١٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٧٨

عمر بن عبد العزيز — ٦ ، ١٨٣

عمر بن عمران — ٧

عمر بن هيرة الفزاري — ٣٩ ، ١٦٧

١٧٦

عمرو بن الأهم التميمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ٤٥ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٣

عمرو بن عثمان السكي — ٩٧

العوامي — ٢٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧

عيسى بن زرة — ٦٣ ، ٦٦ ، ١٢٧

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤

١٩٧

عيسى بن عمر — ١٦

عيسى بن مسلم (عليه السلام) — ٣

١٧٩

(غ)

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصل — ٩٧

نفر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣

فرج الرخبي — ١٢

الفرزدق — ٣١ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ١٦٨

١٨٥ ، ١٨٦

فريفة — ١٦٦

فضل (رئيس الفرقة التي تنسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد العزيز — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 الطبيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥ ، ٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢
 معاوية بن صفصة — ١٦
 معاوية المهلب — ١٨١
 المتصم الخليفة — ١٠٥
 المتضد (الخليفة) — ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥
 الملقبي بن أيوب — ٢٠١
 ممن بن أوس — ١٧
 ممن بن زائدة — ١٨٠
 المقيرة بن شعبة — ٤٥
 المقجع — ٣٤
 المفضل الصبي — ١٨٣
 المقوقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦ ، ١٠٥ ،
 ١٥٩ ، ١٨١
 منظور بن أبان — ١٧٨
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥
 مهلهل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 مويرس — ١٣٠
 الموصلي (أبو إسحاق) — ١٦١
 ميسرة الرأس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(ن)

النابغة الشاعر — ٧٣ ، ١٨٦
 نصر بن سيار — ١٠١
 نثنى (ابن عاذ كذا) — ٤٩ ، ٥٠

مالك بن مسمع — ١٧٢ ، ١٧٣
 المأمون (الخليفة) — ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٠١
 المبرد = (أبو العباس)
 المنفي الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 المحبي — ٦٠ ح
 المحسن الضبي — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٩
 محمد بن بشر — ٢٨
 محمد بن بقة — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشي — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيبان — ١٥٣
 محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣ ، ١٥٥
 محمد بن عمار — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 المدائني — ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤
 مرند (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح
 مرغوش (رئيس الطائفة المرعوشية) — ١٨٨
 المرقش الأكبر — ٤٣
 مروان بن الحكم = أبو خالد
 مزيد — ٧١ ، ٧٨
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية — ٥٣
 مسمر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الدارمي — ١٧٧
 مسلم بن قنينة — ٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 مسلمة بن عبد الملك — ١٦٣ ، ٢٠١
 المسيب (عليه السلام) — ١٩٧
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح ، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٧٢ ح
الوليد المنبري — ١٦٧

(ي)

ياقوت — ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكنم — ٧٦
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن معاذ — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبدالله
يمقوب بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح
٣٩ ، ٨٤ ، ١٠١
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(هـ)

هدية المنبري — ٢٠٣
هرمز — ١٠٣
هشام — ١٢
هشام بن عبد الملك — ١٥ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هشام المتكلم — ١٨٩
هشيم — ٣٠
هلال بن مكلثم النيرى — ١٦٧
الهلالى — ٤٦
هميان بن قحافة — ٣١
الهيثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن عطاء — ١٥٨
الواقدي — ٩

تم فهرست الأعلام

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

بلاق — ١٧٠ ح
البيت (بيت الله الحرام) — ٣٠
البيضاء — ١٥٠
بين السورين — ١٦١

(ت)

تباله — ١٧٢
تستر — ٦٨
تكرت — ١٨ ح
تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
جامع البصرة — ١٠٠
الجيل — ٦٨ ح
جبال شمام — ١٤٦
الجيل — ١٥٥ ، ٢٢١
جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
الحرم — ٣٠
حلاوان — ٢٠٥ ح

(١)

ابنا شمام — ١٤٦ ح
أجباد — ١٦٥
أحد — ١٦٩
أذريجان — ١٥٥
الأراك — ١٧٢ ح
أردبيل — ٤٥
الإسكندرية — ١٧٩
أصبهان — ٦٨ ، ٢٨ ، ٩١ ح
الأهواز — ٦٨ ، ٧٨
أوربا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،
١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ٨٨ ، ١٨٨
باجيرى — ١٨
البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧١ ،
١٨٨ ، ٢٢٨
البطائح — ٢٢٨
بطن مر — ١٧٢ ح
بنداد (دار السلام) — ٦٩ ، ١٥٣ ح ،
١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧
البقيع — ١٣

الصيمرة — ٦٨ ح
الصين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢
طبس — ٩١ ح

(ع)

المراق — ٧ ح، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٨،
٢٢١
العقيق — ٧٠
عمان — ١٧٣

(غ)

الغضا — ٣٩

(ف)

فارس — ٦٨، ٩٩، ١٠٤

(ق)

قايين — ٩١ ح
قيا — ١٠
قزمسين — ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٧
قزوين — ٤٥
قنطرة البطريق — ١٦٠ ح
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

الكرخ — ١٥٣، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح، ١٠١، ١٥٧،
١٧١، ١٧٩، ٢٠٠
خوزستان — ٧ ح، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح
درب الحاجب — ٢٢٧، ٢٢٨
درب الرواسين — ٢٢٧
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رجى البطريق — ١٦٠
الرصافة — ١٥٣ ح، ٢٠١، ٢٠٧
الري — ١

(س)

سجستان — ١٧١، ١٩٣، ١٩٨
سامي — ٢٠٣
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩، ١٦١، ١٦٤، ١٧١، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠
صفين — ١٨٣
صنعاء — ٢٠٨

مكتب الرضى — ١٥٠
مكة — ٣٠، ٧٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤،
١٦٦، ١٦٥
مهرجان قنق — ٦٨
الموصل — ١٨ ح، ٩٧، ١٥١، ١٥٥

(ن)

النباج — ٥٤
نجران — ١٤٦
نصيبين — ١٥١
التقيع — ١٣
نهر الصراة — ١٦٠
نيسابور — ٩١، ١٨٠، ٢١٩

(هـ)

هذان — ١٤٨، ٢٠٥ ح، ٢١٩

(ي)

اليمين — ١٥٧، ٢٠٨

الكعبة — ١٩٠
الكوفة — ٥٩، ٧٩، ١٠٣، ١٥٢،
١٥٣، ١٥٤

(ل)

ليبزج — ١٧ ح

(م)

المجمع العلمي العربي — ٢٦ ح
المدینة — ١٣، ١٥، ٢٣، ٣٩،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧١
مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣،
٢٢٠

المرج — ١٧٢ ح
مرج راعط — ١٧١ ح
مسجد ابن رغبان — ١٦١
مصرعة الروايا — ٢٢١
مصر — ١٥٧، ١٨١، ٢٣٠
المطبعة العلمية — ٩ ح

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

ديوان حسان — ٣٨ ح

ديوان الحماسة — ٢٨ ح

ديوان ذى الرمة — ٦١ ح

ديوان معن بن أوس — ١٧ ح

(ش)

شرح القاموس — ٥٣ ح

شعر أعشى ممدان — ١٧٤ ح

شعر الأعشى — ٤٩ ح ، ١٧٤ ح

(ع)

العقد الفريد — ١٠٢ ح ، ١٦٧ ح

١٧٠ ح

عيون الأخبار — ١٠٢ ح ، ١٧٦ ح

(ف)

الفرق بين الفرق — ١٧٦ ح

(ك)

الكامل لابن الأثير — ١٧٦ ح

الكامل للمبرّد — ١٧٣ ح

(١)

إصلاح المنطق لابن السكيت — ٢٤ ح ،

٣٠ ح ، ٣٢ ح

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ١٧٢ ح ،

١٧٧ ح

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى —

٢٣٠

(ب)

البيان والتبيين للجاحظ — ٢٩ ح

(ت)

التاجى لأبي إسحاق الصابى — ١٥٩

تاريخ الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح

التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحیوان للجاحظ — ٢٥ ، ٣٧ ح

(د)

ديوان جرير — ٩ ح

١٨١ ، ١٧٦ ، ١٧٢ ، ١٧١

١٨٢

قيس — ١٧١

(ك)

السكر — ١٢٩

كعب — ١٦٧ ، ١٦٨

كلاب — ١٦٧ ، ١٦٨

كلب — ١٧٣

كليب — ٩ ح

كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مجامع — ٥٨

مزينة — ١٧٨

المسلمون — ١٥١ ، ١٨٥ ، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧

النصارى — ١٩٢

نمير = بنو نمير

(هـ)

هدان — ١٧٤

(ي)

اليهود — ١٧٩

يونان — ١٠٠

(س)

سخينة (لقب لقريش) — ١٧٢

(ش)

شيبان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩ ، ١٠٣

العجم — ١٧٦ ، ١٩٠

عدنان — ٨

العرب — ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ح ، ١٨ ح ،

٢٩ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٨ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٩ ،

١٣٥ ، ١٦٧ ح ، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

القحاطنة — ٨ ، ١٢٥

قريش — ٥٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(ت)	(ا)
الترك — ١٨ ، ١٢٩ ، ١٧٥	آل أبي طالب — ١٠٤
تيم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩١ ، ٩٢
(خ)	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الخزرج — ١٧٨	الأعاجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩
	(ب)
(د)	باهلة بن يعفر — ١٧٢
الديلم — ٢١٣	بجيلة — ٩ ح
	بكر بن وائل — ١٧٣
(ذ)	بنو أسد بن خزيمه — ٢٤ ح ١٧٩
ذوو مليح (كذا) — ٢٢٢	بنو بدر — ٤٥
	بنو تيم الله — ١٩
(ر)	بنو الجلاح — ١٦
الروم — ٧٢ ح ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢	بنو دبير — ٥٠
	بنو عبادة — ١٤
(ز)	بنو العباس — ١٠٥ ، ٢١٣
الزنج — ٤٣ ح	بنو فاضرة — ٥١
	بنو النجار — ١٦٥
	بنو نصر — ٢٠٣
	بنو نعيم — ١٦٧ ، ١٦٨

مجموعة المعاني — ٢٤ ح ، ٤٣ ح ، ٤٤ ح

١٠٤ ح

الحاسن والأمداد للجاحظ — ٢٤ ح

محاضرات الأدباء للراغب — ٣٨ ح

المخصص لابن سيده — ٣١ ح ، ٧١ ح ،

٨٤ ح

معجم البلدان لياقوت — ١٨ ح ، ١٦٠ ح

المعجم الفارسي الإنجليزى لأستاينحاس —

٧٠ ح ، ٧٤ ح ، ٧٥ ح ، ١٧٥ ح

(ن)

النقائض — ٥٨ ح

النهاية لابن الأثير — ٧٢ ح

نهاية الأرب للنويرى — ١٦٧ ح

(ي)

يتيمة الدهر للشمالي — ٧٧ ح

كتاب بندان للاستاذ لوستراخ — ١٦٠ ح

كتاب التنبيه على أغلاط أبي على القالى —

٣٦ ح

السكناية والتعريض للشمالي — ١٦٧ ح

(ل)

لسان العرب لابن منظور — ١١ ح ،

١٣ ح ، ٢٠ ح ، ٢٤ ح ، ٢٩ ح ،

٣٠ ح ، ٣٣ ح ، ٣٦ ح ، ٤٤ ح ،

٤٥ ح ، ٥٢ ح ، ٥٨ ح ، ٦٠ ح ،

٧٣ ح ، ٧٠ ح

(م)

ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه للمحيى

— ١٣ ح ، ٦٠ ح

مجملة المجمع العلمى العربى — ٢٦ ح

مجم الأمثال للميدانى — ٣٥ ح ، ٣٩ ح ،

١٧٠ ح

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا ببغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة ننشرها فيما يلي.
مع جزيل الشكر لكتابها الفاضل على حسن نيته وجمل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا
الكتاب من جهد معتذرين إلى حضرته من ذكرنا تلك الملاحظات مجردة عما كتبه حضرته
على كل ملاحظة من الشروح والاستدلالات وأسماء المصادر التي رجع إليها ، نظراً إلى ندرة
الورق وقلة وجوده .

الجزء الأول

- ١ — ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأبي على الحسن التنوخي »
والصواب « المحسن » .
- ٢ — س ٦ س ٥ « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ — س ١٣ س ٨ « ويكون سبباً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب
« قوياً إلى حسن الحال وطيب العيش » .
- ٤ — س ١٦ س ٦ « الدهر الخالي من الديانين » . الديان هو الله والأولى « الربانيين »
و « الديانين » وهم المنسوبون إلى الديانة . وهذه الكلمة من كلمات
القرن الرابع للهجرة تجدونها في أول صفحة من صروج الذهب للمسعودي .
- ٥ — س ٢١ س ١ « ولا محاربة ولا انخياش » وفي الحاشية من التعليق على « محاربة »
ما نصه « لعله مواربة » وفي آخر الكتاب (س ١) من الاستدراك
للأستاذ محمد كرد علي أن صوابها « محابة » ، فالصواب « محاربة »
بالتاء ، قال الزمخشري في أساس البلاغة « ومن الهجاز : حاوتني
فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوغك » وظل فلان يحاوتني
بمخدعته ومعناه يداورني فعل الحوت في الماء .
- ٦ — وفي س ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح بردع الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب
« يتضرع » .
- ٧ — وفي س ٤٠ س ٣ « والأمر الربوبي » بضم الراء . والذي أعلمه بفتح الراء .
- ٨ — س ٤٤ س ٦ « تأجل المنأ » . والذي أراه لمراعاة الأصل « تعجيل المنشأ » .
أي المبادرة باظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ — س ٤٥ س ٨ « كيف استكني هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنفيت » ..

«الصواب» استنكفت هذه الجماعة حوله . وفي أساس البلاغة :
« واستنكف الناس حوالبه : أحذقوا به » .

١٠ — من ٥٠ س ٧ « ويشرى » . والأولى « ويسرنى » أى أتاح لى اليسر .

١١ — وجاء فى ص ١٠٥ س ٧ ذكر « الناسومة » ولم تجدوها فى كتاب لغة . والصحيح أنها وردت فى غير مادتها فقد ذكرها الهروى مؤلف الفريدين فى مادة « نعل » من غريب الحديث ، ونقلها عنه المبارك بن الأثير فى « النهاية » ونقل عن أحدهما الفيوفى فى « نعل » من المصباح المنير .

١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى العارية » الخ . ولا محل للتشيع أبداً والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع ومنه الحديث النبوى الشريف « المتشيع بما ليس فيه كلابس ثوبى زور » .

١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أى بانكاره ،

١٤ — وفى ص ٧٠ س ٥ وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام . صحيفة وكانت جرت فى عهد بنى أمية فصيرها التصحيف مما جرى فى عهد بنى العباس . وفى الحكاية ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف اسم أمير من أمراء بنى أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كريز » الوارد فى السطر ٧ فصوابه « كردين » وهو من رجال الدولة الأموية كما فى عيون الأخبار ج ١ ص ١٧١ « وأما « دوست » الوارد فى السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال العهد الأموى أيضاً كما فى البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٧ .

١٥ — من ٧٢ س ١٦ « وم يحاضون به » والصواب « يتحاضون » .

١٦ — وفى ص ٧٩ س ٢ « ويتعاونون » . والصواب « يتعاونون » أى يفسر بعضهم على بعض .

١٧ — من ٨٧ س ١٠ « وقع باليسر ورخى العيش » . والصواب « باليسر من رخى العيش » .

١٨ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخط فى هواه » وفى الحاشية أنه « يخط » وأنه تصحيف استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو القصب ، قال الزمخشري فى أساس البلاغة « وخط فى هواه وانخط فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانخط فى أهوائهم » .

١٩ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشجاع أقرانه إذا حل عليهم فقرق جمعهم ، والصواب « ماصع ماصع » أى ضرب بالسيف خاصة .

٢٠ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبرر لهم ماصح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبرز لهم ماصح » .

٢١ — من ١٣٩ س ٧ « ويقسم فيهم » والصواب « يشتم » من الشتم .

- ٢٢ — ص ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أى ترفق وتلطف .
- ٢٣ — ص ١٤٢ س ١٤ « أو أفلح عن كبيرة رغبة » . والصواب « رهبة » .
- ٢٤ — ص ١٤٤ س ١٣ « وسمن بمروا » والصحيح « سمن اليمر » وهو مذكور في حياة الحيوان .
- ٢٥ — ص ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطلبه ويتوفاه » . : الصواب « ويتوخاه » .
- ٢٦ — ص ١٦٢ س ٩ « المقاب يجلس » والصواب « تجلس » .
- ٢٧ — ص ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس المراد بالحكاية والصواب « يترجل » أى يملو ويرتفع .
- ٢٨ — ص ١٧٠ س ٤ « ويستخني في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
- ٢٩ — ص ١٧٥ س ١١ « ثم انعد في لين » . الصواب « أنقعه » ومصدره الانقاع أى رطبه وريبه باللين .
- ٣٠ — ض ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى الموت ، لأنه يماوت وينهاك .
- ٣١ — ص ١٨٠ س ٤ « دابة يقال لها بالفارسية درباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
- ٣٢ — ص ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « القردان » جمع القراد .
- ٣٣ — ص ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « لإعناء أجنحته » .
- ٣٤ — ص ١٩٧ س ١ « بما حاج الحبيب حبيب » صوابه « كما حاج الحبيب حبيب » .
- ٣٥ — ص ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتحسه » . الصواب « تحشته » .
- ٣٦ — ص ٢٢١ س ١٢ « من لقبه الخرسى إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللازم صرابة الخرسى إلى أى شيء تنسب .

الجزء الثانى

- ٣٧ — ص ٥ س ١٠ « ولقنوها للناس » . والصواب « لقنوها الناس » فالعمل متعد إلى المفعولين بنفسه .
- ٣٨ — ص ١١ س ٥ « لكن الحريرى غلام ابن طرارة هيجه يوماً فى الوراقين . الصواب « الجريرى » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبرى المشهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تشديدها .
- ٣٩ — ص ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتممين » . والصواب « وفرقتم بين مجتممين » .
- ٤٠ — ص ٢١ س ٦ « وإن هذا النعت من قولى .. » . الصواب « وأين » .
- ٤١ — ص ٣١ س ١٨ « الأفي تأخذ السم من الأصيلة » . صوابه « من الأصيلة » وهى نوع من الحيات .

- ٤٢ — ص ٥١ س ٥ « طالحات بالسلام » . صواب « طالحات بالسلام » .
- ٤٣ — ص ٥٩ س ١٤ شرح كلمة « الصراة » بأنه نهر بالعراق ، وكان الأول أن يقال « نهر كان ببغداد » .
- ٤٤ — ص ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلامستاه » . الصواب « المستاة » وهي البنية التي تبني بين القصور وماء النهر لتخفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في ص ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... » والذي في تاريخ بغداد « ج » ص ٢١٣ « للخطيب البغدادي وأنساب السمعاني بمكة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — ص ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — ص ١٣٦ س ٩ « ظاهرة النعم في معاينة الروح » . والصواب « معاينة الروح »
- ٤٨ — ص ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة الحُرقة » . والصحيح « الحرفة » أي الفقر والعوز .
- ٤٩ — ص ١٥٦ س ٥ « فلما أجمعنا على العجن والمك لم نجد الحراق » ، والصواب « المِل » وهو الاختباز على « الملة » أي الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — ص ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — ص ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . الصواب « الريح » .
- ٥٢ — ص ١٦٧ س ٦ « [القاطن] في دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن في دار القطن كما هو في الأصل .
- ٥٣ — ص ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب عندي « تشعب الحاطر » .
- ٥٤ — ص ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن مُصبر القاضي » . قلت : الصواب « ابن مُصبر » بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — ص ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهذا هم كما كنا » . والصواب « هم » بفتح الهاء وهو موضع النكتة التي جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل « هم » الصامية العراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة القواص « ويقولون للمخاطب هم فعلت وهم خرجت » فيزيدون هم في افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، وعن الأخفش أنه قاله لتلامذته : جنبوني أن تقولوا هم : وأن تقولوا بس وأن تقولوا ليس لفلان بحت . ولتلك قال أبو حيان : « وأصحابنا يستعملون قوله هم ها هنا » . ولا استصلاح مع « هم » .
- ٥٦ — ص ١٧٦ أيضاً س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من الغموض . قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — ص ١٨٠ س ٣ « والبرارد والموزيات » . قلت : أما البرارد فقد ذكرها محمد بن الحسن بن الكريم البغدادي في كتابه « الطيخ » ص ٦٦

فقال «الباب الخامس في المطبونات والبوارد...» وشرحها بلا داع
طابع الكتاب فقال « هي البقول المطبوخة الموضوعة في الأشياء
الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) ... » وأما
«الجوزيات» فالظاهر أنها تصحيف «جودابات» جمع «جودابة»
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والحلوى .

٥٨ — ص ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الشكر » والصواب « يَكْسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — ص ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنيه » . والصواب « مستنفر » من الاستنفار
وهو معروف .

٦٠ — ص ٢٠٢ س ١١ « وللقديم قدم » . وعندى أن الأصل « وللعديم عدم » .
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى مبراد

ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

الجزء الأول

- ص ٣٨ : ٤ : بُكْش ، والصواب : بَكْش (= Bakksus) .
 ٥٨ : ١٠ : ابن نُوبِخت — ابن نُوبِخت .
 » تعليق ٢ : كان علي بن ربن الطبرى نصرانياً لا يهودياً أسلم .
 ٧٩ : ٩ : يَفْقور ، صححه كردعل فقفور ، والصحيح : يَفْقور .
 ١٦٤ : ٣ : أدْيوس ، والصواب : أدْيوس (Odysseus) .
 » ٧ : المتصب ، والصواب المصت كما في السميرى .
 ١٩٨ : ١٤ : و ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثانى

- ص ٧٧ : ٦ : وهذا أشجى ، والصواب : إسحاق ، والاسعافية فرقة من غلاة الشيعة قريبة المنصب من النصيرية ، ذكرها الشهرستانى والجرجانى فى التعريفات وغيرها ومؤسسها أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أبان النخعى الكوفى المتوفى سنة ٢٨٦ هـ .
 » : » : قَطْمِي . والأصح : السِقْطَمِي .
 ٧٨ : تعليق ١ : ليست الراوندية من أتباع ابن الراوندى الملحد بل هم فرقة من أتباع عبد الله الراوندى قالت بألوهية الخليفة منصور من آل بنى عباس ، راجع مقالات الأشعرى ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثير فى وقائع سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
 ٨٤ : ١٥ : و ٨٥ : ٢ : استنبأها ، وفى الأصل « أسأب إنبأها » أو « إنبأب إنبأها » — أما الصواب بلا شك أنه « إنبأب أَرْنَبَاتُها » .
 ص ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إنبأها ، وفى الأصول : ما ينالها أو مسأبتها — والصواب : إلى تحقيق مائيتها ، والمائية تقابل الأنية .
 ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهى ترد هكذا فى كثير من الكتب المترجمة من اليونانية ومنها « مثل » .
 ٨٧ : ٥ : والمُرتَبان ، والصواب : والمرتبان ا أعنى المرة السوداء والمرة الصفراء .
 ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب : الاستمرار .
 • ١٠ : ١٠ : ورضا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصوا كما في س ١٢ .
 ١٠٥ : ١٢ : لعل الصواب : أحذر لهن الذب (أو القراب) وألس [من العقق راجع
 الأمثال للبيداني .
 ١٠٧ : السطر الأخير : الطلق ، والصواب الطلق .
 ١٠٨ : ٥ : يرسخ ؟ لعله يرشح ؟
 ١٠٨ : ٧ : اللك والصواب اللك .
 ١١٣ : • : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
 • ١٠ : ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائيته أو ماهيته .
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو إيبقيس (Ibykos) كما في
 الأصول وقصته مع الكراكى مشهورة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد
 اختارها Sohieer موضوعا لفصيدة له — أما اسم الملك فلا شك أنه
 محرف وكان المنتظر أن يكون Polykrates الذي عاش لإبيقس الشاعر
 في أيامه ويلا حفظ أن اسم إيبقيس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .
 فراجع .
 ١٥٧ الخ : ينهني صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة الجوسى واليهودى)
 وردت في رسائل يخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها
 (ص ٤٦ من القسم الثانى من الجزء الأول من طبعة بجاي .
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب ، كما في رسائل يخوان
 الصفاء : بقله له عليها [كل ما يحتاج إليه المسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- ص ١٠٨ : ١٦ : النفس عدد محرك بذاته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى
 تصحيح « عدد » بـ عركس — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ،
 راجع الترجمة العربية للآراء الطبيعية لفلوطرخوس التى نشرتها في ملحق
 بحثى عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثانى) : « وأما فوثاغورس
 فبرى أن النفس عدد محرك ذاته ويعنى بقوله العدد العقل » — ولعل
 الأصح أن يقرأ فى « الإمتاع » محرك ذاته أو متحرك بذاته .

- ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
 ١٤٢ : ٢ : وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع
 الحس .

- ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى رئيسها :
 الذى يلى فى الترتيب الإمام الغائب بابا .

فهرست بما عثرنا عليه من الخطأ
في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١	٥	وَيَضْجَرُونَ	وَيَضْجَرُونَ
٣	٥	معهودة	معهودة
٣	٥	الترهّد	الترهّد
٥	١٠	المسلم	المسلم
٧	١٥	نَبَط	وَنَبَط
١٠	٩	صُهَيْب	صُهَيْب
١٤	٩	المضمر	المضمر
١٤ ح ٧		نسبق	نسبق
٢٢	٩	لِسَفَوِيه	لِسَفَوِيه
٢٩	٦	فضى	فضى
٣٢ ح ٥		والشويق	والشويق
٦٧	١١	حُسَانَة	حُسَانَة
١٠٩ ح ٤		وودت	وردت
١٢٨	٣	والكبير	والكبير

١٨٢ سطر ١ : وإيم الله انك لتفرغ في إناء يفر في إناء ضخم . وكتب في الحاشية رقم ١ : كذا ورد قوله لتفرغ في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة ولم تتبين له معنى الخ . والصواب : انك لتفرغ من إناء فقم في إناء ضخم كما في العقد الفريد .

١٨٢ سطر ٢ : « يا براح ما أحوج أهلك إليك » . وكتب في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة : كذا ورد قوله : يا براح في الأصل ولم تتبين له معنى الخ .

والصواب كما في العقد الفريد « يا ابن أخي » مكان قوله : « يا براح » وبعد قوله : « ما أحوج أهلك إليك » قوله : فلا تفجعهم بنفسك .

ص ١٩٦ من ١٣ ابن كعب الأنصاري . والصواب : أبو كعب

وورد في صفحة ٣١ : أبو الحارث حميد ، صوابه مُجْمَز بالميم والزاي

